جامعة القاهرة
كلية الآداب

شعر تميم بن المعز لدين الله الفاطمي

بحث

يتقدم به ابراهيم الدسوقي جاد الرب

للحصول

على درجة الماجستير في الآداب من قسم اللغة العربية

١٩٥٩ / ١٩٦٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمـــــة

ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي جدير بترحيب الدارسين للأدب ؛ لأنه أقدم الدواوين المصرية التي وصلتنا . وقد راقني أن يكون موضوع بحثي لأنه نص مصري من جهة ، ولأنه جدير بالبحث من جهة أخرى . وما أجدرنا - نحن المصريين - أن ندرس أدب بيئتنا ، فهو أحق بجهودنا ، وأقرب الى نفوسنا ، وأحرى أن نثمر جهودنا فيه .

وقد بدأت العمل بقراءة الديوان ، فلما فرغت منه عزمت منذ البداية أن أبرز صلته بالأدب العربي ، وأن أبين تأثره بمصر ، وأن أتحدث عما فيه من تشيع ، وأن أتناوله بالنقد . واذ لم يكن منهج البحث الراهن قد وضح في ذهني وضوحا تاما ، فقد مضيت في القراءة وجمع المادة .

ورأيت من الخير أن أقرأ كثيرا من الشعر السابق لتميم والمعاصر له والمتأخر عنه ؛ لأرى أكبر عدد ممكن من العلاقات بينه وبين الشعراء المختلفين ؛ ولأقلل - قدر المستطاع - من الأخطاء الناتجة عن عدم المعرفة . وتصورت أن هذه القراءة الواسعة ستفصل في الحديث عن العروبة والمصرية والتشيع والنقد . واقتضى البحث أن أقرأ مراجع أخرى غير الشعر منها الكتب الاسماعيلية ، والمؤلفات التاريخية والجغرافية والبلاغية القديمة ، وأن أراجع كتب الرجال ومعاجم اللغة ، وأن أقرأ بعض الكتب غير العربية . وأحببت أن أوازن بين الشعر والنثر في القرن الرابع فقرأت بعض الكتب النثرية .

وفي المرحلة الثانية من البحث أخذت أقرأ الكتب الحديثة . ثم عن لي أن أعرف أكبر مجموعة من الكتب تتصل ببحثي ، فاستعرضت فهارس الأدب في مكتبة الجامعة ، وانتخبت منها ما يتصل بموضوعي .

وعند ما بدأت الكتابة حددت لنفسي المنهج الذي سرت عليه . فجعلت البحث ثلاثة أبواب ، الباب الأول يتناول ظروف الشاعر ، وهو ذو فصلين يدور الفصل الأول منه حول الظروف العامة ، ويدور الثاني حول ظروف الشاعر الخاصة . ويعالج الباب الثاني تحليل الديوان وهو ذو فصلين ، يحلل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فى الفصل الأول منه الجانب الحزبى أو الشخصى منه ، ويحلل فى الفصل الثانى الجانب غير الحزبى • وأما الباب الثالث فنظرات متفرقة فى الديوان ، للمصرية منها نظرة وللزينة نظرة وللنقد نظرة ثالثة • وينتهى البحث بخاتمة فيها خلاصته وما لم يصح المنهج بمعالجته فى أبوابه وفصوله •

والباب الأول هو ظهيرة الشعر أو أرضيته بلغة علماء النفس • والثانى نظرتان جانبيتان متكاملتان ؛ تتقيد إحداهما بالتشيع فتتعرض لأساليبه ومعانيه فى ثلاثة أطر هى : تاريخ الحزب ، وآماله ، وعقائده • وتتقيد الثانية بما كان غير شيعى ، فتبين أساليبه ومعانيه فى أطر الفنون الشعرية المعروفة • وتتعاون النظرتان معا على تبيان ما فى ديوان تميم من معان وأساليب ، وما كان منها ملائما له وما كان متخرطا • والباب الثالث ثلاث نظرات طليقة ، لا تتقيد الواحدة منها بفن أو عقيدة ، بل تنطلق فى الديوان تستشف ما يصنعها •

وقد رأيت أن أرجع الى المصادر المعاصرة للشاعر ما أمكن ، فسند ما أردت الحديث عن ظروفه انتقيت كتابى " أحسن التقاسيم " و " صورة الأرض " للمقدسى وابن حوقل — وهما معاصران لتميم — لأنهما قد عاينا الأحوال فى المغرب ومصر إبان حياة الشاعر ، فصار حديثهما عن هاتين البيئتين ذا قيمة عظيمة • وتابعت الأستاذ الدكتور محمد كامل حسين فى الانتفاع بسيرة جوذر ، لأنها ترجع الى الحقبة التى عاش فيها تميم أيضا • ولاشك أن كتابى المقدسى وابن حوقل خير للبحث من أمثال " المغرب " للبكرى الذى يرجع الى زمن متأخر ، كما أن سيرة جوذر أفضل من أى مرجع تاريخى يتناول حياة تميم • ومن أهم المواضع التى اهتممت فيها بمعاصرة المراجع للشاعر فصل التشيع • فقد كان فى الامكان أن أستعين على تفسير التشيع فى شعر تميم بالمجالس المؤيدية أو المجالس المستنصرية ، ولكنى آثرت الرجوع الى " دعائم الاسلام " و " تأويل دعائم الاسلام " و " الهمة " للقاضى النعمان — وهو مؤلف أقدم مولدا ووفاة من تميم — ليكون لما أذهب اليه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سند مادي . وهناك مواضع أخرى اتبعت فيها هذه الخطة .

والهوامش مما عنيت به كثيرا ، فهي تعاون المتن معاونة كبيرة على خدمة البحث ، وتحمل عنه ما لم يسمح له المنهج بحمله . وقد بذلت فيها جهودا ، وكنت كثيرا ما ألجأ الى الحصر ، أو أقترب منه .

ومن صدف البحث أن بيئة الشاعر الأولى غامضة في كثير من جوانبها ولا سيما الأدب ، وحياته هو نفسه غامضة . وقد تحايلت على إلقاء بعض الضوء على ظروف تميم العامة والخاصة ، فاستعنت بالكتب القديمة والحديثة فأفادتني في تحقيق الغرض المطلوب . وستظهر الحاجة الى الفصل الاول (الأول) كلما مضينا في قراءة البحث .

ومن صدف البحث أيضا أن تميما ليس شاعرا مصريا خالصا ، لأنه وفد على مصر شابا . وهذا من شأنه أن يضعف المصرية في شعره ويصعب التماسها . ثم إن الحاجة ماسة الى إثبات أن شعره مقول في مصر ليستقيم البحث عن المصرية فيه . والبحث عن المصرية في الشعر المصري عموما من القضايا الأدبية المعقدة ، إذ اختلفت حولها الآراء وتباينت وجهات النظر . وكان في الإمكان أن أكتفي بالحديث عن أوصاف البيئة المصرية في شعر تميم ، ولكنني لم أقنع بهذا المستوى ، وطمعت في مصرية من الدرجة الأولى . ورأيت أن أطلع على ما يكتفي الاطلاع عليه من الشعر المصري ، فكان مما قرأت جزءا اليتيمة المتعلقان بمصر ، وما في الجزء الأول من اليتيمة من الشعر المصري ، وما في "خريدة" الشابشتي منه . وقرأت كذلك دواوين : الشريف العقيلي وابن وكيع وابن مطروح وابن النبيه والبهاء زهير وابن نباتة ومعظم ديوان الشاب الظريف . وكان الهدف من هذه القراءة أن أتبين كيف تتراءى مصر في شعر أبنائها . ولم يفتني أن أقرأ ما عرفته من كتابات المحدثين في هذا الموضوع . ولما شرعت في كتابة فصل المصرية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقيت مشقة ، واضطررت الى اعادة كتابته عدة مرات . وجعل هذا الفصل يتضاءل كلما أعدت كتابته حتى انتهى الى وضعه الراهن . وقد خرجت منه بنتيجة هامة ، هي أن المصرية قضية يمكن حلها حلا مرضيا . وأرجو أن أنتفع بمعالجتي اياها هذه المرة عندما أعود اليها في بحث آخر .

وأهم المراجع التي أعانتني على البحث مؤلفات الأستاذ الدكتور محمد كامل حسين ولاسيما " في أدب مصر الفاطمية " و " المؤيد في الدين داعي الدعاة " " ونظرية المثل والممثول " . وقد رأيت في الكتاب الأول دراسة واسعة للأدب المصري الفاطمي ، وفي الثاني دراسة أخرى للتشيع فانتفعت بهما أيضا انتفاع ، وان سلكت طريقا خاصا . وفي ضوء نظرية المثل والممثول فهمت أكثر كثيرا من الحقائق في شعر تميم . وقد نشر المعهد الأستاذ طائفة من الكتب الاسماعيلية أفادتني افادة جمة ، وأغرتني بالرجوع الى مخطوطين منها هما " المجالس والمسايرات " و " تأويل دعائم الاسلام " للقاضي النعمان . ومن يطالع هذه الرسالة يجدني كثير الاعتماد على كتب القاضي النعمان في الباب الأول والباب الثاني ، وما ذلك إلا لأنها كانت موجودة بين يدي تميم نفسه .

وقد انتفعت في فصل المصرية بكتاب الأستاذ أمين الخولي " في الأدب المصري : فكرة ومنهج " (1) ، وبما قرأت من كتابة الدكتور عبد اللطيف حمزة في هذا الموضوع فحاولت أن أحقق شيئا مما دعا اليه الأول ، وأفادني تصور الثاني للمصرية ودفاعه عنها .

وكان لكتابي " الفاطميون في مصر " و " المعز لدين الله " يد على هذا البحث ، اذ ألقيا الضوء على المجال الذي عاش فيه تميم ، وكذلك فعل كتابا

---

1 — راجع مقدمة " الحركة الفكرية في مصر " و " بحث بذور الشخصية المصرية " بمجلة كلية — المجلد الخامس عشر ج ٢ ديسمبر ١٩٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" الحالة الاقتصادية في مصر في عهد الفاطميين " للدكتور راشد البراوي ، وكنوز الفاطميين " للدكتور زكي محمد حسن " .

أما ديوان تميم فحسبي أن أقف عنده قليلا لأحدد مقدار انتفاعي به ، لهذا الديوان مقدمة ، وعليه شروح لغوية وأخرى تتعلق بالتشيع . وقد أفادتني مقدمته في الفصل الثاني من الباب الأول فأخذت منها حقائق بعد أن رجعت الى المصادر الأولى ، ولكنني رأيت رأيا مخالفا لرأي فيها مرة ، وعرفت لأحد نصوصها مصدرا أقدم من المصدر الذي أشارت إليه مرة أخرى . وكانت فائدة الشروح محدودة بالنسبة الى في الباب الثاني ، لأن ما جاء فيها من التشيع قد سبق أن قرأته في كتب مثل " ديوان المؤيد في الدين ، ولأن أعتمادي في تحليل الجانب غير الحزبي من شعر تميم انما كان على معلوماتي وقراءاتي في العصر الفاطمي . ولكن هذه الشروح أفادتني في الحديث عن انحرافات تميم اللغوية ، وان كنت قد أضفت إليها ، وأكثرت من ضرب الأمثلة .

وراح الأستاذ الدكتور محمد كامل حسين يرقبني وأنا أبحث ويزودني بنصائحه ويشجعني على المضي في البحث ، حتى فرغت من موضوعي مدينا لمؤلفاته ومنشوراته وارشـــاده .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفهـــــرس

ص

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ص

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البـــــــــاب الأول

ظـــــــروف الشاعـــــــــر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــــل الاول

الحـــــياة العامـــــة

عاش تميم فى ظلال ثلاثة من الخلفاء الفاطميين ، فلقد ولد فى الاعوام الاخـــيرة من حكم الا/ المنصور ، وشب فى كنف والده المعظم ، واستغرق كل أيامه ، وذهب بضعة أعـوام من عهد أخيه . فكانـت الفترة التى عاشها الشاعر هى خير أيام الدولة الفاطمية .. فلننظر نظرة عامة الى الحياة من حوله .

الحـــــالة السياسيـــة

سياســة المغـــرب :

الحالة الداخليـــة : عرف المغرب عصبية تشبه تلك التى كانت فى شبه الجـــزيرة العربية ، فقد كان البربر طائفتين متنافرتين : بتر (1) وبرانس . وبرزت من البتر قبيلة زناتة ، ومن البرانس قبيلتا كتامة وصنهاجة . ولما اتصل الدعاة الفاطميـــون بالبربر وجدوا من كتامة ترحيبا .. وحينما نزل عليها أبو عبد الله الشيعى وعبيد اللـــه المهدى التفت حولهما ، واحتضنت الدعوة الفاطمية ، وقدمت من أجلها كثيرا مـــن التضحيات ، لانها كانت تريد أن يقوم فيها ملك يعتز به جانبها ، وترجح به كفـــة البرانس (2) . وقد فطن البتر لمرامى خصومهم ، فعارضوا الدعـوة الجديدة وحاربوهـــا (3) حربا سافرة منذ أيام المهدى . ولما كان الفاطميون يجتهدون فى نشر مذهبهـــم (4) فى المغرب فانهم قد اصطدموا بأهل السنة والخوارج المنتشرين هناك ، فواجهوا عـدوا تدفعه العصبيـــة ، وتحفزه العقيـدة . وكانت ثورة أبى يزيد الجامحـــة هى ذروة الصراع بين الفـريقين . وقد لعبت صنهاجـــة دورا بارزا فى هذه الثورة ، وكان لها فضل كبير فى مقاومتها (5) . ولم تنته حركة أبى يزيد بموته ، فقـــد اتفـــق ابنه فضل مع محمد بن خـــزر على تجديد الثـورة . وهـــزم المنصـــور محمدا أولا ،

---

١ ـ تاريخ ابن خلدون جـ ٦ ص ٨٩ . ٢ ـ المصدر السابق جـ ٤ ص ٣٢

٣ ـ راجع بحث الدكتور حسن أحمد محمود عن "بنى زيرى" وتاريخ ابن خلدون جـ ٦ ص ١٥٣

٤ ـ تاريخ ابن خلدون جـ ٤ ص ٣٦

٥ ـ المصدر السابق جـ ٦ ص ١٥٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم هزمه وفضلا ثانيا • وعاد فضل بن أبي يزيد (١) فثار مرة ثانية في جبال أوراس معقل الثائرين ، ولكنه قتل غيلة • ومضى بعده زميله محمد بن خزر (٢) في الثورة حتى هزم أخيرا ، وأرسل مع ابنه الى المنصور فقتلهما عام ٣٤١ هـ •

وبعد لأي انقلب على المعز واليه محمد بن يعلى الزناتي • ثم هبت الثورة المغرب الأقصى ، فنجم هناك خليفة رابع • فانطلق جوهر في حملته الكبيرة يصحبه زيري بن مناد الصنهاجي وغيره ، وأخذت الحملة تخضع الثوار وتتوغل في المغرب حتى بلغت المحيط الأطلسي •

وفي الوقت الذي كان فيه جوهر يرتعد من خوف القرامطة في المشرق ويحثه سيده على التقدم ، كان المعز يقاوم الفتنة التي أشعلها محمد بن خزر • فقد راح هذا الثائر يجاهد الفاطميين جهادا عنيفا ، فلما واجهته الهزيمة تحامل على سيفه وانتهى عام ٣٦٠ هـ (٣) • فسر المعز بموته سرورا عظيما ، وجلس ليتلقى التهنئات من الناس (٤) ، وأنشده ابن هانئ قصيدة طويلة في تلك المناسبة السعيدة • ورأى الخليفة حينذاك أن وقت الانتقال الى مصر قد حان • وما أن أزمع الرحلة حتى نشب الخلاف بين جعفر بن علي والي المسيلة وزيري بن مناد • وارتمى جعفر في أحضان احدى القبائل البترية ، وتمرد على المعز وخلع طاعته ، فسار اليه زيري الصنهاجي • ولكن النصر كان حليف البتر (٥) هذه المرة ، فأوقعوا الهزيمة بخصومهم التقليديين ، وقتلوا الزعيم المتهد • وما أسرع ما قام في صنهاجة بلكين ابن الزعيم المقتول ، فلم (٦) شعث قومه واندفع نحو البتر ، وروى غلته من دمائهم ، وانتزع منهم النصر (٧) • فاطمأن المعز الى زعامته ، وولاه شئون المغرب ، وتركه يصارع الثائرين •

الفاطميون والأمويون : لما ظهر عبيد الله المهدي وأعلن خلافته جعل يشيع في الناس أنه الخليفة الحق • وكان يطمع أن يدحر سائر الحكومات ويسترد

---

١ — تاريخ ابن خلدون جـ٤ ص ٤٤ — ٤٥ ٢ — المصدر السابق جـ٤ ص ٤١
٣ — ابن الأثير المصدر السابق جـ٤ ص٤٩ ٤ — تبيين المعاني في ديوان ابن هاني ص٥٩٣
٥ — تاريخ ابن خلدون جـ٦ ص١٥٤
٦ — المصدر السابق جـ٦ ص ١٥٥
٧ — ابن الأثير الكامل جـ ٨ ص ٢٦٤ وتاريخ ابن خلدون جـ٦ ص ١٥٥ — ١٥٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حقه الالهي في حكم المسلمين . وما كان الأمويون ليهدأ لهم بال وقد قامت على مقربة منهم خلافة جديدة متوثبة ، تريد السيطرة على العالم الإسلامي ، فساءت العلاقة بينهم وبين الفاطميين منذ وقت مبكر . وأخذ المهدي يتدخل في شئون الاندلس ويحرض الثائرين (١) . وراح الناصر يستغل العصبية البربرية ، ويحرض الخارجين على الفاطميين ، فمالأ موسى بن أبي العافية (٢) ومحمدا بن خزر (٣) . وظل ينهج هذه السياسة في أيام القائم والمنصور (٤) . فلا عجب أن يدعو أبو يزيد نفسه لعبد الرحمن ، وأن يتآمر مع الخليفة الأموي محمد بن يعلى (٥) ، وأن يرسل جعفر بن علي رأس زيري بن مناد الى قرطبة .

ولم ينحصر نشاط الأمويين في المغرب بل انتقل الى البحر الأبيض المتوسط ففي عام ٣٤٣ هـ هاجم أسطول الناصر إحدى السفن الفاطمية قرب صقلية ، فأرسل المعز أسطوله ليطارد سفن أعدائه ، فتمكن أن ينتصر عليهم أمام شواطئ الأندلس وأن يعود بالغنائم . وتربص الناصر ثم فاجأ شواطئ المغرب بأسطوله وأحرق مرسى الخزر وهي احدى الموانئ المغربية . وبعد عام آخر عاد أسطوله فانتصر على الأسطول الفاطمي ونزل جيشه المغرب (٦) . فلم يجد المعز بدا من أن يرسل حملة جوهر الكبيرة ، فأخضعت المغرب كله الا مدينة سبتة التي ظلت تابعة للأمويين (٧) .

وكانت الظروف تضطر الناصر والمعز الى المهادنة أحيانا (٨) ، فتغدو الرسل بينهما وتروح ، وتدور المفاوضات ، ثم لا يطرأ على الموقف تغير ذو بال ، فقد كان الصدع بين الجانبين أكبر من أن يلتئم . وما هي الا برهة ثم تنقضي الهدنة ويعود الطوفان الى الصراع . ولم يتحسن الموقف برحيل المعز الى المشرق (٩) فقد ورث بلكين كره سيده للأمويين ، وسار فيهم سيرته .

---

١ - الدكتور حسن ابراهيم والدكتور طه شرف - المعز لدين الله ص ٣٧
٢ - تاريخ ابن خلدون جـ ٦ ص ١٣٥ ، ٣٠ ٣ - المصدر السابق جـ ٦ ص ١٣٥ - ٣٦
٤ - المصدر السابق جـ ٤ ص ٤١ ٥ - المصدر السابق جـ ٦ ص ١٥٤ - ٥٥
٦ - المصدر السابق جـ ٤ ص ٤٦ والدكتور حسن ابراهيم والدكتور شرف - المعز لدين الله ص ٣٩ . ٧ - Lane-Poole; A History of Egypt, P. 112
٨ - الدكتور حسن ابراهيم وطه شرف - المعز لدين الله ص ٤٢
٩ - تاريخ ابن خلدون جـ ٦ ص ١٥٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفاطميون والـــروم : استولى الفاطميون على صقلية منذ قيام دولتهم ، وراحوا يغيرون على شواطئ ايطاليا التابعة لبيزنطة (١) ، فأحس الروم خطرهم ، ونابذوهم العداء منذ البداية (٢) . وقد حمل القائم لواء الصراع بعد أبيه ، وتناوله بعده ابنه المنصور (٣) . واحتدم النزاع بين الفاطميين والبيزنطيين أيام المعز ، فحالفوا الأمويين وشاركوهم محاربته (٤) .

وكانت صقلية ميدانا من الميادين التي اقتتل فيها جنود المعز والبيزنطيون فوقعت هناك حروب عنيفة من أهمها تلك التي دارت رحاها في أوائل النصف الثاني من القرن الرابع . فقد استولى أحمد بن الحسن على طبرمين وبعض المدن ، وحاصر رمطة ، فاستصرخت المدينة المحصورة القسطنطينية ، فجاءها مدد يبلغ أربعين ألفا . وأمد المعز جيش صقلية بمدد على رأسه الحسن والد حاكم الجزيرة . وقاتل الفاطميون بشجاعة فائقة حتى انتزعوا النصر من الأعداء وأسروا الألوف منهم ، وقتلوا ماو ماتويل القائد وأسروا زميلا له ، ووقعت في أيديهم غنائم جمة ، واستسلمت لهم رمطة الحصينة . ثم طاردوا فلول البيزنطيين وانتصروا عليها في معركة بحرية تسمى معركة ذي المجاز عام ٣٥٤ هـ (٥) . ولم تقر أعصاب الحسن على تحمل النصر فمات من شدة السرور .

وفي تلك الأثناء ظهر في أوربا أرتو الجرماني ، وكان يسعى الى توحيد ايطاليا والقضاء على نفوذ الفاطميين والبيزنطيين فيها ، فرأى الامبراطور نقفور فوكاس أن يحالف المعز ليدفع به خطر أوتو من جهة وليأمن عداوة الفاطميين من جهة أخرى . فأرسل رسوله الى المنصورية ، ورحب المعز بالرسول الرومي لأنه كان يوشك أن يغزو مصر ، فمن الخير له أن يوادع الروم ويتفرغ للمشرق (٦) .

---

١ ــ تاريخ ابن خلدون جـ ٤ ص ٢٠٧ ــ ٢٠٨
٢ ــ المصدر السابق جـ ٤ ص ٢٠٨ والمقريزي ــ اتعاظ الحنفا ص ١٠٨
٣ ــ تاريخ ابن خلدون جـ ٤ ص ٢٠٨ ــ ٢٠٩
٤ ــ الدكتور حسن ابراهيم والدكتور شرف ــ المعز لدين الله ص ٤٥
٥ ــ تاريخ ابن خلدون جـ ٤ ص ٢٠٩
٦ ــ الدكتور حسن ابراهيم والدكتور شرف ــ المعز لدين الله ص ٥٩ ــ ٦٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سياسة المشرق :

الفاطميون والدولة العباسية : روى القاضي النعمان عن المعز قوله " ... وسمعت المنصور بالله صلعم (أمر المهدي بالله القائم بأمر الله ع م بالنهوض الى مصر فقال : يا أمير المؤمنين قد خولك الله وملكك ، وأعطاك من الدنيا ما فيه سعة وكفاية ، فعلام تعب نفسك وتشغل صدرك . دع هذا حتى يأتي به الله عفوا . فقبض ع م كفه اليسرى وقال : نعم هذا المغرب في قبضتي هذه ، وبسط اليمين وقال : ولكن كفي من المشرق صفر . أن تقل عليك ما أمرت به خرجت له بنفسي . قال : بل أنفذ لما أمرت به يا أمير المؤمنين وأسارع اليه " (١) . وهذه الرواية تصور طمع المهدي في المشرق خير تصوير . والحق أن التوسع الشرقي كان أكبر أهداف الخلفاء الأول ، فحاول مرارا أن يستولي على مصر ليخرج العباسيين أغلى الاقاليم ، وليتخذها معبرا الى الشام والعراق (٢) ويعبر شاعره الورجلي عن أمنية سيده هذه فيقول :

قل عن التشهيد اني زائر	من أهل بيت الوحي خير مزور
هذا أمير المؤمنين تضعضعت	لقدومه أركان كل أمير
هذا الامام الفاطمي ومن به	أمنت مغاربها من المحذور
والشرق ليس لشامه وعراقه	من مهرب من جيشه المنصور
حتى يفوز من الخلافة بالمنى	ويفاز منه بعدله المنشور (٣)

وقد حاول القائم أن يفتح مصر في أول عهده ، ثم شغلته فتنة أبي يزيد (٤) عن اعادة الكرة ، فمات دون أن يحقق أمنيته . وورث ابنه المنصور ملكا مضطربا فلم يفرغ للعباسيين . فلما آلت الخلافة الى المعز كانت الدولة الفاطمية في أوج قوتها ، فكان حريا أن يطمع في التوسع شرقا والقضاء على الخلافة العباسية ، لذلك لهج بمطمعه كثيرا . قال لشيوخ كتامة " ... واعلموا أنكم اذا لزمتم ما آمركم به رجوت أن يقرب الله علينا أمر المشرق كما قرب أمر المغرب بكم (٥) " .

---

١ - القاضي النعمان - المجالس والمسايرات جـ ٢ جـ ١ ورقة ١٩ - ٢٠
٢ - الدكتور حسن ابراهيم - الفاطميون في مصر ص ٨١ - ٨٦
٣ - المقريزي - اتعاظ الحنفا ص ١٦٦
٤ - المصدر السابق ص ١٢٨
٥ - ...

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال متحدثا عن جوذر " ... وأرجو أن يمد الله في عمره حتى يحج معنا ، ونصحبه مما يضرب لنا بغداد (١) " . وبهذا المطمع تغنى شاعر البلاط ابن هانئ الأندلسي (٢) .

وكانت الدعاية الفاطمية في ذلك الوقت نشيطة في المشرق ، تبشر المسلمين بالدولة المهدية ، وتعدهم بالعدل والهدى (٣) . وكانت موفقة حتى انها استمالت كافورا نفسه فقبل عددا من الدعاة في بلاطه ، كما اجتذبت قلوب البويهيين وحببتهم في الفاطميين (٤) . وفي عام ٣٥٦ هـ رأى المعز أن فتح مصر قد حان ، فقد مات كافور ، وانتشرت المجاعة وفشا الطاعون (٥) ، فحفر الآبار وأنشأ المحطات للجيش ، ثم سيّر جوهرا الصقلي ففتحها عام ٣٥٨ هـ . وأرسل جوهر جعفرا ابن فلاح الى الشام فقضى على الاخشيديين هناك (٦) ، وأرسل زعيمهم الحسن بن عبيد الله بن طغج أسيرا الى مصر . وقد بادر حسن بن جعفر الحسني (٧) - وهو ممن شملهم احسان المعز - فسيطر على مكة ودعا فيها للمعز (٨) .

وورث العزيز ملك أبيه الواسع فحافظ عليه وزاده اتساعا (٩) . وكان يريد الاستيلاء على بغداد كما تدل الأحداث وكما يدل شعره (١٠) . فحاول أن يستميل البويهيين الذين تنكروا لأبيه ، وأرسل اليهم الرسل ، ولكن حكام بغداد كانوا لا يزالون يخشون أن يصيروا غثاء التيار الاسماعيلي فلم يستجيبوا للعزيز ولم يتمكن هو من اغتصاب بغداد لقوة البويهيين وانشغاله بفتن الشام المتصلة (١١) فاستحال ما كان يريده حلما أورثه ذريته من بعده .

---

١ - سيرة الأستاذ جوذر ص ١١٠ انظر كذلك ص ١١٢ و ١٣٧
٢ - تبيين المعاني في ديوان ابن هانئ ص ٣٣٥ - ٣٥١ ، ٤٥٧ ، ٤٣٢ - ٤٣٧ و ٤٠٥ - ٤٠٦ ، ٦٨٢ - ٦٨٣ ، ٧٣٨ - ٧٤٠
٣ - O, Leary ; a short History of Egypt , P. 94
٤ - الدكتور حسن ابراهيم - تاريخ الاسلام السياسي ج ٣ ص ١٠٢
٥ - Lane Poole ; a History of Egypt ; P. 101
٦ - ابن الأثير - الكامل ج ٨ ص ٢٣٣
٧ - المقريزي - اتعاظ الحنفا ص ١٤٦
٨ - تاريخ الاسلام السياسي ج ٣ ص ٢٥٧
٩ - الدكتور محمد كامل حسين - أدب مصر الفاطمية ص ١٣٢
١٠ - شذرات الذهب ج ٣ ص ١٦٨ ١١ - انظر مؤامرة البساسيري ص ٤١ - ٤٨ من ديوان المؤيد في الدين وانظر الخطط للمقريزي ج ١ ص ٤١٨ .

٣٠١٥٢٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحـــالة الداخلية : بذل جوهر للمصريين مبالغة طيبة [1] ففرحوا به وعقدوالـــوا بالعهد الجديد فقد وعدهم جوهر بالعدل وحرية العقيدة فيه • ولكن ما حــدث أن الفاطميين لم يدعوا المصريين أحرارا في عقيدتهم ، فبعــد شهور قليلة مـــن الفتح أدخل جوهر على الصلاة سننا شيعـــية [2] ، وفى جمادى الأولى عام ٣٥٩ هـ أدخلت عبارة " حى على خير العمل " فى الأذان [3] فأذن بها فى جامع ابن طولـــون ، وعمت جوامع الجيزة • وانتقلت هذه العبارة الى جامع عمرو بن العاص فى آخـــر الشهر فأذن بها هناك [4] • ولم يشر جوهر أن يجرى طريقة الفاطميين فى الصيـــام وطريقتهم أن يصوموا الشهر ثلاثين يوما فأفطر جوهر فى العام الأول من الفتح بلا رؤية للهلال • ولما بلغه أن القاضى السنى أبا طاهر قد راقب الهلال مـــن فوق سطح الأزهر هدده [5] • ولما اضطر الفاطميون إلى الإبقاء على أبى طاهـــر قاضيا مراعاة لشعور السنيين أشركوا معه عبد الله بن محمد بن أبى ثوبان فـــى القضاء [6] • فلما مات عبد الله أحلوا محله عليا بن النعمان الشيعى وظلـــوا يضيقون على أبى طاهر طيلة حياته [7] • وكانت سياستهم منذ البداية أن يجعلـــوا شريكا شيعيا لكل عامـــل سنى [8] • وكانوا يرمون من وراء هذه السياسة الى نشـــر المذهب الاسماعيلى فى مصر • ولكن المصريين — وان أحبوا أهل البيت — لـــم يكونوا مستعدين لتقبل الاسماعيلية أو الرضا بما فيها من التواء وانحـــراف • ثـــم ان مصر والشام لم تخلوا من فلول الاخشيديين وأنصارهم فقام هؤلاء وأولئك بمناهضة الحكام الجـــدد •

لم يكتف المصريون بطعن الفاطميين بألسنتهم ، فكان لهم نشاط عملى مضـــاد للحكومة الجديدة [9] ، لذلك نرى جوهرا يلجأ الى الاعتقال والصلب والقتل • ويحدثنا المقريزى عن عجـــوز خرجت تنشد فى الطريق فى شهر رمضان عام ٣٦١ هـ ، فالتـــف حولها الناس وراحـــوا يعرضون بعلى بن أبى طالب [10] ، كما يحدثنا عن ثورة قام بهـــا

---

١ — المقريزى — اتعاظ الحنفا ص ١٤٨
٢ — المصدر السابق ص ١٦٢
٣ — المصدر السابق ص ١٦٩ — ١٧٠
٤ — المصدر السابق ص ١٧٠
٥ — المصدر السابق ص ١٦٥
٦ — المعز لدين الله ص ١٩٧
٧ — المقريزى — اتعاظ الحنفا ص ١٧٠
٨ — المصدر السابق ص ١٦٨
٩ — المصدر السابق ص ١٦٨ — ١٧٢
١٠ — المصدر السابق ص ١٨٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أهل تنيس[1] • وكان الجنود المغاربة غلاظا فلم يتورعوا عن النهب والاعتداء ، وهذا كان يؤدي الى حدوث اشتباكات بينهم وبين المصريين[2] • والإشارات متكررة الى وقوع الاشتباكات قبل قدوم المعز وبعد قدومه مما حمله على عزل جنوده في القاهرة[3]

أما الإخشيديون فلم يلقوا على الكفاح بعد أن هزمهم جوهر أول الأمر ، اذ يحدثنا المقريزي أن الزعماء الإخشيديين الباقين في مصر جمعوا شملهم في نهاية عام الفتح وهموا بالثورة • فتحايل عليهم جوهر وقبض عليهم وأرسلهم الى المغرب[4] • ويحدثنا في موضع ثان أن ثائرا الإخشيدي ثار في الوجه البحري ، فاضطر جوهر أن يرسل اليه جيشا هزمه في الدقهلية ، فهرب الى الشام حيث قبض عليه ، وأعيد الى مصر فانتحر[5] •

لكن الفتن الثائرة إنما كانت في الشام ، فقد تظافرت عوامل مختلفة على الحكم الجديد وحاولت القضاء عليه • وكانت هذه العوامل تتمثل في القرامطة وبقايا الإخشيديين والقبائل العربية وأهل الشام مضافة اليها دسائس العباسيين • وكان من صالح كل فريق من هؤلاء ألا يستقر النفوذ الفاطمي في الشام ، فالقرامطة كانت لهم أتاوة على الاخشيديين ، وكان الفريق الذي يتزعمه الحسن الأعصم منهم خارجا على المعز[6] ... ، والإخشيديون ما كانوا ليغفلوا عينا برؤية جعفر بن فلاح يحكم الأرض التي كانت لهم ، والعرب كان لهم نفوذ في مناطق من فلسطين وشمال سوريا ... الحكم الفاطمي ، فقضى عليه ، وأهل الشام كان أكثرهم سنيين فما يرضيهم حكم الفاطميين ، والعباسيون هم أعداء الفاطميين وهم الذين كانت تحكم مصر والشام باسمهم ، فلا غرو أن يعملوا مع العاملين على هدم سلطان الفاطميين • فلما صار جعفر بن فلاح لفتح الشام بادر القرامطة الى الرملة فاحتلوها ولكنهم هزموا وانقطعت الضريبة التي جعلها لهم الاخشيديون • فتجهز الأعصم لمناهضة الفاطميين وساعدته حكومة بغداد ، وطلبت

---

١ — المقريزي — اتعاظ الحنفا ص ١٨١   ٢ — المصدر السابق ص ١٨٣ و ١٩٧ و ٢٠١

٣ — المصدر السابق ص ١٨١   ٤ — المصدر السابق ص ١٦٦

٥ — المصدر السابق ص ١٧١ و ١٨١   (٦) انظر المعز لدين الله للدكتور حسن ابراهيم والدكتور طه شرف ص ٩٨

من أبي تغلب الحمداني أن يمده بأربعمائة ألف درهم . وسار الأعصم الى دمشق فهزم جعفرا وقتله ، واستولى على كثير من مدن الشام ، ثم دخل مصر حيث التف حوله الطائيون وبقايا الاخشيديين ، وحاصر القاهرة نفسها . ولكنه هزم . وارتاع المعز لما بلغته أخبار القرامطة فحضر الى مصر . وفي أيامه دخل الأعصم مصر غازيا مرة أخرى ، فلجأ الخليفة الداهية الى الحيلة ، فرشا زعيم الطائيين على أن يغدر بالأعصم ، وانهزم القرامطة . وتعقبهم أبو محمود بن جعفر فاطمي ، ثم رجع الى دمشق فقبض على واليها القرمطي وأرسله الى مصر وعاث جنود أبي محمود في المدينة فثار أهلها وشب فيها الحريق ، واستمرت الفتنة حتى عام ٣٦٤ هـ ، ثم اصطلح الفريقان على أن يلي البلد وال آخر وعاد المغاربة الى العبث فتجددت الثورة والتهمت النار المدينة ، فغضب المعز وأمر والي طرابلس أن يعزل أبا محمود من قيادة الجيش ، ولكن والي طرابلس لم يستطع أن يهدئ ثائرة الأهالي . وفي تلك الأثناء ظهر أفتكين (1) التركي على مسرح السياسة فاتصل به الدمشقيون واتفقوا معه على حرب الفاطميين فدخل المدينة وطرد المغاربة وأقر النظام في دمشق ونواحيها ، وأعاد الخطبة لخليفة بغداد ، وتجاسر على المعز فأرسل اليه يطلب منه أن يدخل في طاعته وتقدم في الشام يستولي على أقاليمه واحدا بعد واحد . وخرج جوهر من مصر يريد حرب أفتكين فراسل هذا الأعصم ينشد معونته ، فرحب الأعصم القرمطي بطلب أفتكين ووجد فرصته للانتقام من خصومه . وسار الأعصم من الأحساء فالتفت حوله قبائل العرب والأهالي ، ومات المعز في تلك الأثناء تاركا قائده في موقف لا يحسد عليه في الشام . وأجبر جوهر أخيرا على الانسحاب فعاد الى مصر ذليلا . وأحس العزيز حرجا شديدا فجمع جيوشه وخرج بنفسه الى الشام ، والتقى بالقرامطة عند الرملة وقاتلهم قتالا شديدا وانتصر عليهم في النهاية ، وأسر أفتكين وأفلت منه الأعصم . وأحسن العزيز الى الأسير وجعل للمفلت إتاوة يأخذها كل عام . ولم ينته شر الفتنة بعد موقعة الرملة فظل ممتدا حتى عام ٣٧٢ هـ . فبعد

---

١ — أفتكين هو أحد قواد عز الدولة وقد تولى زعامة الاتراك الثائرين عليه ولكنه انهزم أمام عضد الدولة في العراق فسار الى الشام حيث رحب به الناس هناك . تاريخ ابن الأثير ص ٥٥٢ ، ٥٦٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن انتصر العزيز أرسل أبا محمود الى دمشق ليليها ، فوجد أبو محمود أحـــد زملائه أفتكين واسمه قسام يحكم المدينة باسم العزيز ، فحاول إخراجه ولكنـــه فشل ، واستمر قسام يحكم وأبو محمود لا يملك معه شيئا . ويبدو أن قسامـــا كان يعتمد على تأييد الدمشقيين وسيوفهم ، وكان الدمشقيون يكرهون أبا محمـود الذى عبث بهم رجاله وأحرقوا البلد منذ سنوات قليلة . وحاول العزيز أن يتخلص من قسام فأرسل الى دمشق جيشا ولكن قساما لم يستسلم ، وعاد الجيش يجـــر أذيال الخيبـــة ، فوجـــة العزيز جيشا آخر عام ٣٦٩ هـ بقيادة سليمان بن جعفر الذى مات أبوه بسيوف القرامطـــة ، فحاربه أهل الإقليم وردوه مهزوما . وكـــان هنج بن الجراح أميرطيئ قوى الشوكة فى تلك الآونة ، فاستبد بفلسطين وعـــاث فيها فسادا ، فبعث إليه العزيز قائده بلتكين ليفل شوكته . فلما فرغ بلتكـــين من أمر الطائيين سار الى دمشق وحارب قساما ، ودخل الفاطمية المدينة فعبثوا بأهلها ونهبوهم وأشعلوا فى أحيائهم النار كعادتهم ~~الـ~~ دائما وطلـــب الدمشقيون الأمان ، واستسلم قسام ، وأرسل الى مصر فأكرمه العزيز . وتولـــى بكجور دمشق فدخلها عام ٣٧٣ هـ فعاد القلق الى المدينة السنية وسادتهـــا الفوضى سنوات ، فأرسل العزيز قائده منيرا ليقضى على بكجـور ويحـــارب الحمدانيين الذين حالفوا بمساعـدة الروم . وهكذا تعقدت الأمور ، وبدأ الروم يتدخلون تدخـــلا سافـرا (١) .

ولم تخل بلاد العرب من الفتن ، فبعـد موت المعز قطع أهل مكة الخطبة للعزيز فسير اليهم جنـدا أخضعوهم وأعادوهم إلى حظيرة ~~الـ~~ الطاعة (٢) .

الفاطميـــون والروم : جلس زيمسكس على عرش القسطنطينية بعد أن فتح جوهر مصـــر ، فاحتاج إلى أن يعيد النظر فى سياسة سلفه . لقد كان من الخير لبيزنطة أن تسالـــم الفاطميين وهم فى دور المغرب لتتقى بهم خطر أوتو الجرمانى ولتأمن شرهم . أمـــا وقد فتحوا مصر وتوغلوا فى الشام فقد أصبحوا خطرا على الدولة البيزنطية تجـــب مدافعته ، لذلك استأنف زيمسكس العداء القديم (٣) . وحينما أرسل المعز حملتـــه

---

١ — تاريخ ابن خلدون جـ ٤ ص ٥٥ — ٥٤ واتعاظ الحنفا ص ١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٧٧ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٩٤ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ـ ٢٠٤ . وقد فصلت الحديث عن فتن الشام لتأييد ~~رأيى~~ رأيى الذى يذهب الى أن تميما لم يعف الى الشام . انظر الفصل الثانى من الباب الأول من البحث . (٢) المعز لدين الله ص ٦٣ (٣) الكامل جـ ٨ ص ٢٦٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للاستيلاء على أنطاكية واعترضها القرامطة فتراجعت أرسل زيمسكس جيشا لمعاونة المدينة وأعاد تحصينها[1] • وبعد ذلك سار زيمسكس بنفسه الى المشرق على رأس جيش كبير لاستخلاص بيت المقدس ، فكانت هذه حملة صليبية بكل معنى الكلمة • وسقطت المدن في يده تباعا ، ولكنه لم يستطع أن ينتزع بيت المقدس من يد المسلمين فعاد خائبا[2] •

وخلف العزيز أباه ، ونهض باسيل على مقاليد الأمور في القسطنطينية • ولم يكن كلا الحاكمين فارغا لخصمه في أول عهده ، فقد انشغل العزيز بالفتن التي شملت ملكه ، وقضى باسيل الأعوام الأولى من حكمه في مناضلة الثائر باردس سكليروس وقد ذكرت كتب التاريخ مع ذلك حروبا دارت بين جيوش العزيز وجيوش الروم في بلاد الشام[3] • وفي عام ٣٧١ هـ نشب في صقلية قتال مشهور[4] •

الحالة الاقتصادية

يقول المقدسي عن منطقة المغرب وصقلية والأندلس " هذا اقليم بهي ، كبير سري ، كثير المدن والقرى ، عجيب الخصائص والرخاء ••• قد غاب في الزيتون مدنه والكرومات أرضه ، تجري خلالها الأنهار ، ويملأ غيطانها الأشجار[5] " • ويقول عن منطقة تاهرت من المغرب " •••• قد أحدق بها البساتين ، والتفت بها الأشجار ، وغابت في البساتين ، ونبعت حولها الأعين ، وجل بها الاقليم[6] " • ومن يقرأ ما كتبه هذا الرحالة ومعاصره ابن حوقل[7] — وهما معاصران لتميم — يرى المغرب كثير الغلات وافر البساتين • وطبيعي أن يستغل الفاطميون تربة المغرب أحسن استغلال ممكن ، لأنهم قوم اقتصاديون فيعتنوا بالمزارع والحدائق والبساتين ، فينشط الزراع وتتقدم الزراعة •

أما الصناعة فيبدو أنها لم تكن متأخرة معوقة في بلاد المغرب • نعم ان في سيرة الأستاذ جوذر إشارات الى نشاط صناعي تمثل في صناعة السفن وسك النقود

١ — The Cambridge Medieval History, Vol IV, P. 147 —
٣ — تاريخ يحيى بن سعيد ص ١٤٧ و ١٦١
٤ — ابن الأثير — الكامل جـ ٩ ص ٥ — ٦ وتاريخ ابن خلدون جـ ٤ ص ٥١٠
٥ — المقدسي — أحسن التقاسيم ص ٢١٥ — ٢١٦ ٦ — نفس المصدر ص ٢٢٨ — ٢٢٩
٧ — سيرة الأستاذ جوذر ص ٩٢ ٨ — المصدر السابق ص ٩١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما تمثل فى دار الطراز (١) • وفى كتاب "صورة الأرض" دلائل على وجود صناعات هناك (٢) • فبرأتنا نجد عبد الرحمن الناصر يفخر على المعز لدين الله بأن بلاد الأندلس متفوقة فى صناعة النسيج فما كان من المعز إلا أن حقر هذه الصناعة ليتخلص من الحرج (٣) •

ولما كان للفاطميين نفوذ قوى فى البحر الأبيض وصقلية ، فلا شك أن التجارة الخارجية قد نشطت فى ظلهم • وكانت الموانى الفاطمية تنتشر على الساحل المغربى الطويل ، كما كانت صقلية مركزا بحريا ممتازا • وكانت المهدية العاصمة القديمة ميناء تمر بها سفن الاسكندرية والشام وصقلية والأندلس وغيرها (٤) • وكانت المنصورية العاصمة الجديدة ميناء أيضا • وعرفت برقة بأنها مدينة تجارية (٥) وأشبهتها فى ذلك اجدابية وغيرها من الموانى (٦) • ونجد فى سيرة الأستاذ جوذر آثارا لهذا النشاط التجارى ، اذ تقع على صفحاتها ظلال صوارى السفن التى تحمل المتاجر عبر البحار (٧) •

وكانت التجارة الداخلية نشيطة كذلك كما تدل كتابات المقدسى وابن حوقل • وقد لاحظ المقدسى أن منطقة المغرب والأندلس وصقلية منطقة ترتفع فيها نسبة اليهود (٨) وهذا من شأنه أن ينشط التجارة •

ولم تخل أرض المغرب من مصادر أخرى للثروة فكان فيها الذهب والفضة قرب سجلماسة (٩) ، والحديد والفضة فى مجانة (١٠) ، والحديد فى ايجن (١١) ، والمرجان فى مرسى الخرز (١٢) •

وانتقلت الخلافة الفاطمية الى مصر وهى بلاد زراعية من الطراز الأول ، يجرى فيها النيل المعظم ، وبها صناعات طبقت شهرتها الآفاق ووصلت مصنوعاتها الى أوربا ، ومنطقة عريقة فى التجارة منذ أقدم القدم ، وترسو فى موانيها سفن العالم •

---

١ — سيرة الأستاذ جوذر ص ١٠٥   ٢ — ابن حوقل — صورة الأرض ص ٧٣ ، ٩٤

٣ — الدكتور حسن ابراهيم والدكتور شرف — المعز لدين الله ص ٢٣٩ —

٤ — البكرى — المغرب ص ٢٩ •   ٥ — ابن حوقل — صورة الأرض ص ٦٦

٦ — المصدر السابق ص ٦٧   ٧ — انظر سيرة الأستاذ جوذر ص ٨٧ ، ١٠٢ و ١٠٣ ، ١٢٧ ، ١٣٦

٨ — المقدسى — أحسن التقاسيم ص ٢٣٦ •   ٩ — المصدر السابق ص ٢٣١

١٠ — ابن حوقل — صورة الأرض ص ٨٤   ١١ — المصدر السابق ص ٨٧

١٢ — أحسن التقاسيم ص ٢٣٦ وصورة الأرض ص ٧٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكن مصر هذه كانت في أزمة شديدة يوم دخلها جوهر ، كانت تعاني المجاعة وتكايد الطاعون وتموج بالفوضى والشرور • وقد عمل الفاطميون على اصلاح الحال واعادة المياه الى مجاريها ، فاهتموا بالزراعة ، وعلى العمز ومن بعد بالجسور وتطهير الترع وتشجيع الزراع (١) • فتقدمت الزراعة وتحسنت الاحوال (٢)

وعمل الفاطميون على تقدم الصناعات المختلفة ، ولكن صناعة النسيج كانت أهم الصناعات • ولم تكن الصناعة جديدة على مصر ، بل كانت متوطنة في البيئة المصرية ، فلما أصبحت مصر دار خلافة بعد أن كانت دار امارة نشطت هذه الصناعات فيها ، وتقدمت تقدما ملحوظا (٣) • ولا أدل على ذلك من ضخامة الضرائب التي كانت تتجمع من هذه الصناعات • وحديث المقدسي وابن حوقل عن صناعة مصر حديث المعجبين • وكأنما كان يريد الحكام الجدد أن تفوق بلادهم على بلاد خصومهم في هذا المضمار •

ويقول المقدسي عن مصر انها بلد التجارات (٤) • وقد مر بها بعد أن انتهى عهد كافور وخلفه عهد الفاطميين ، فلم ير البلاء الذي كانت تئن تحته مصر وانما رآها بلدا قارا تسوده الطمأنينة • وفي مثل هذه الحال تروج التجارة في الداخل • وكان أسطول الفاطميين أقوى أسطول عرفته مصر منذ الفتح العربي (٥) ، وكان ينشر الرعب في قلوب الروم وغيرهم من أعداء الخلافة الفاطمية • ومثل هذا الأسطول قادر على حماية تجارة المصريين من المصادرة والقرصنة في البحار وهذا يؤدى الى نشاط التجارة الخارجية •

وكانت مصر طريقا الى الشام ، وهي بيئة غنية بزراعتها وصناعتها وتجارتها • ولم تكن صقلية خلاء من هذه الالوان المناشط ، فقد اشتهرت بتقدم صناعاتها ولاسيما صناعة النسيج (٦) ، وهي بطبيعتها منطقة تجارية •

---

١ — الدكتور راشد البراوى — الحالة الاقتصادية ص ١٠٣

٢ — المصدر السابق ص ٣٧   ٣ — المصدر السابق ص ٤٠ — ٤١

٤ — المقدسي — أحسن التقاسيم ص ٢٠٣

٥ — Lane Poole, a history of Egypt, p. 112

٦ — الدكتور زكي محمد حسن — كنوز الفاطميين ص ١٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فاذا نظرنا إلى ثروة الفاطميين وجدناها عظيمة جدا • ولهذه الثروة مصدران :

الأول — هو استغلالهم الناجح لمرافق الدولة • ففي المغرب كانوا يجمعون خراج الإقليم وكان لهم اقطاعيات هناك كما نرى في سيرة جوذر (١) وهذه الإقطاعيات أو الضياع — كما يسميها كاتب السيرة — كانت مصدرا من المصادر التي يستغلها البيت الفاطمي في المغرب ويجني منها ثروة كبيرة تضاف الى المال الذي يتجمع له من الخراج •

واذا كان المغرب لم يخل من الصناعات في تلك الأيام — شأنه في ذلك شأن أي مجتمع — فإن الحكومة الفاطمية كانت تفرض لنفسها ضرائب على الصناعات العامة •

فاذا انتقلنا الى التجارة وجدناها مصدرا هاما من مصادر ثراء الفاطميين ، اذ كانوا يفرضون الضرائب على تجار الدولة ، ويضربون المكوس على البضائع الأجنبية التي تمر بموانيهم أو تدخل بلادهم • وكانوا يربحون كثيرا من اشتغالهم هم أنفسهم بالتجارة • والواقع أن الفاطميين كانوا تجارا بمعنى الكلمة (٢) • ونستدل من سيرة جوذر على أن الحكومة كانت تتجر ، وعلى أن أفراد البيت الحاكم كانوا يتجرون (٣) • ولعل المباني الفخمة التي أنشأتها زوجة المعز في مصر إنما كانت من مالها الخاص الذي ربحت كثيرا منه من تجارتها • وماتت ابنة للمعز تركت وراءها ثروة هائلة تقدر بألف ألف وسبعمائة ألف دينار (٤) فلعل بعض هذه التركة كان من مكاسب التجارة الخاصة أيضا •

ولا ريب أن صقلية كانت تدفع للفاطميين نصيبا مما تغله أرضها وصناعاتها ، وتقدم لهم ما تفرضه على التجارة المارة بها أو النازلة فيها ، كما تمدهم بجزء مما تربحه تجارتها المحلية ، ثم ان المعادن وما أشبهها كانت موردا من موارد الثروة الموجودة في صقلية (٥) •

---

١ — سيرة الأستاذ جوذر ص ٩٩ ، ١٢٦ ٢ — المصدر السابق ص ٨٧ ، ١٠٢ ، ١٠٧

٣ — المصدر السابق — المقدمة ص ١٢ و ٦٩

٤ — المقريزي — الخطط ج ١ ص ٤١٥

٥ — ابن حوقل — صورة الأرض ص ١٢٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولما عزم المعز على المسير الى مصر عين على الخراج أحد رجاله المخلصين (١) ، فما كان ليدع ثروة المغرب ويستغنى بثروة مصر مهما تكن الا عظيمة (٢) . وكانت الأموال ترسل اليه وهو فى المشرق .

وفى مصر بلغ الخراج أضعاف خراج المغرب ، فكان يتراوح بين ثلاثة ملايين من الدنانير وأربعة ملايين (٣) وترك الإخشيديون وراءهم أراضى خاصة وأراضى مملوكة للدولة فورثتها الحكومة الجديدة (٤) ، ولابد أن هذه الأراضى كانت تدر أموالا جمة على الفاطميين .

وأما دخلهم من الصناعة فى مصر فكان عظيما كما تدل هذه الرواية " واستخرج فى يوم مائة وعشرون ألف دينار مغربية ، وفى يوم آخر من مال تنيس ودمياط والأشمونين أكثر من مائتى ألف وعشرين ألف دينار . وهذا لم يسمع بمثله قط فى بلد ، إلا أنه فى أيام العزيز استخرج جبر بن القاسم وعلى بن عمر العداس وعبد الله بن خلف المرصدى فى ثلاثة أيام مائتى ألف دينار وعشرين ألف دينار عزيزية ... وذلك فى أول سنة أربع وسبعين وثلثمائة " (٥) . ويلاحظ أن المدن المذكورة مدن اشتهرت بالصناعة فى العصور الوسطى .

ولم ينس الفاطميون التجارة فى مصر ، فقد راحت الحكومة تواصل نشاطها التجارى مع أوربا وآسيا وافريقيا (٦) وتربح من ذلك الكثير . ونشطت فى ظلها التجارة الداخلية فعاد عليهم نشاطها بنصيب كبير من الضرائب (٧) . وكانوا يحصلون على ضرائب أخرى من التجارة العالمية التى كانت تمر بالاسكندرية أو التى كانت تنزل أسواق مصر .

وما كانت بلاد الشام — على ما فيها من ثورات — لتحول بينهم وبين الانتفاع لهم بما فيها من ثروات ما ومنعهم الانتفاع . وأما بلاد العرب -ولا سيما مكة والمدينة- فانها لم تكن موردا تنساب منه الثروة الى خزانة الفاطميين (٨) ، الا الواقع أن المعز وخلفاءه كانوا يمدون يد المعونة الى الحرمين . ولكن

---

١ — المقريزى — اتعاظ الحنفا ص ١٤٢ ، ٢ — الدكتور حسن محمود — بنو زيرى ص ٤٦ ، ٤٨

٣ — الدكتور راشد البراوى — الحالة الاقتصادية ص ٣٣٣ — ٣٣٦

٤ — المصدر السابق ص ٥٢ ، ٥ — المقريزى — اتعاظ الحنفا ص ١٩٩

٦ — الدكتور راشد البراوى — الحالة الاقتصادية ص ١٩٥ — ٢٤٠

٧ — الدكتور زكى محمد حسن — كنوز الفاطميين ص ٨

٨ — المقريزى — اتعاظ الحنفا ص ١٧٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشام وبلاد المغرب الخاضعة للفاطميين وغيرها كانت موارد ثروة جمل الفاطميون يجمعونها باسم الدين وهو ما ننتقل الى الحديث عنه الآن .

المصدر الثاني لثروة الفاطميين الضخمة هو ما كانوا يجمعونه باسم الدين . وهو أنواع كثيرة (١) منها الهدايا والمنح ، وأموال النجوى التي يدفعها المستجيب الى الداعي (٢) وزكاة المال وزكاة الفطر ، ومنها الفطرة غنائم الجهاد والجزية ومنها أموال الامتحان والخمس (٣) أما أموال الامتحان فهي ما يقتطعه الامام من براء أهلا للبركة ليبلو صبره وأما الخمس فهو أن يحصي الإسماعيلي ما كسبه ثم يخرج خمسه للامام (٤) .

ومن يقرأ ما كتبه القاضي النعمان في كتاب " الهمة " وفي كتاب " دعائم الاسلام (٥) " ير تكالب الفاطميين على المال وتهالكهم عليه وطمعهم الشديد فيه وتسخيرهم التهم بآيات القرآن في سبيله . ومن يطالع " المجالس والمسايرات " يصادف الدعاة يحملون المال من شتى أنحاء الأرض للامام (٦) ، ومن يتصفح سيرة الأستاذ جوذر يجده يقدم العطايا بين الفينة والفينة منعم الأتباع المخلصين (٧) .

وكان الفاطميون يحسنون التصرف في الأموال التي تتدفق عليهم من المصدرين السالفي الذكر . ولن تجد أحرص على المال وأرفق به من التجار . وتولى جوذر مالية الفاطميين في المغرب فحاطها بالعناية ، وشملها بالحرص الشديد وأشرف يعقوب بن كلس على مالية المعز في مصر ومالية العزيز من بعده ، ولا يحتاج حرص يعقوب الى الحديث .

وقد حفظ لنا التاريخ أمارات كثيرة تدل على ضخامة ثراء الفاطميين ، ففي العام الذي ولد فيه تميم تخير جده المنصور بقعة ساحلية وأرسى فيها أساس

---

١ — الدكتور محمد كامل حسين — في أدب مصر الفاطمية ص ٧
٢ — القاضي النعمان — الهمة ص ١٢
٣ — المصدر السابق ص ٦٨
٤ — المصدر السابق — دعائم الاسلام ج ١ ص ٢٢ — ٢٣ وص ٨٣ — ٨٨
٥ — القاضي النعمان — المجالس والمسايرات — المجلد الثاني ج ٢ ورقة ٣٧٨ — ٦٦٢
٦ — سيرة الأستاذ جوذر ص ٤٧ ، ٩٢ ، ١٢١ ، ١٣٦
٧ — المصدر السابق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المنصورية وجعلها عاصمة ملكه ، وأنشأ فيها الكثير من القصور فنشطت فيهما التجارة ، وتقدمت الصناعة وأصبحت على جانب عظيم من الرقى . قال عنها المقدسى " وهى مدورة مثل الكأس لا ترى مثلها ، ودار سلطان على عمل مدينة السلام ، والماء يجرى وسطها ، شديدة العمارة حسنة الأسواق "(١) . وقال عنها البكرى بعد ذلك " ومدينة صبرة (أى المنصورية) متصلة بالقيروان ، بناها اسماعيل سنة سبع وثلاثين وثلثمائة واستوطنها وسماها المنصورية ، وهى منزل الولاة إلى حين خرابها ، ونقل اليها معد بن اسماعيل أسواق القيروان كلها وجميع الصناعات ... الخ "(٢) وقد كان للمعز مجهود كبير فى تجميل العاصمة حتى لا تقل عن عواصم منافسيه فى الشرق والغرب ، فأنشأ فيها القصور ، وغرس فى أكنافها البساتين وزينها بالمتنزهات ، وأجرى اليها قناة مرصوفة تستمد ماءها من نهر أيوب(٣) ، فتضخمت المدينة فى عهده وضارعت قرطبة . وإن قصر البحر الذى بناه المعز لنفسه فيها لشبيه بالقصور التى نقرأ عنها فى الأساطير ، اذ اختار له رقعة واسعة وبنى فيها قصرا عظيم الاتساع(٤) . وفى وسط هذا القصر أنشأ بحيرة صناعية كبيرة يتوسطها قصر آخر صغير . ومثل هذا القصر يذكرنا بالزاهرة التى بناها عبد الرحمن الناصر والزهراء التى بناها المنصور بن أبى عامر .

ولم يكتف المعز بتزيين عاصمته وحدها بل انتشرت بساتينه فى أنحاء البلاد ومن بينها بساتين وادى القصارين ، فقد عهد إلى هذه البقعة — وكانت خلاء موحشا —(٥) تصيرها من أنزه الأماكن لما غرس فيها من صنوف الأشجار . وهكذا واصل المنصور والمعز فى المغرب(٦) حركة البناء التى بدأها المهدى لما بنى المدينتين العظيمتين المهدية والمحمدية . وهذه الحركة تدل على أن فتنة أبى يزيد لم تدمر ثراء المنصور ، ولم توقع الفاطميين فى أزمة مالية ، لأن ثراءهم كان أقوى من الأزمات .

---

١ — المقدسى — أحسن التقاسيم ص ٢٢٦
٢ — البكرى — المغرب ص ٢٥
٣ — القاضى النعمان — المجالس والمسايرات ، المجلد الثانى ج ا ورقة ١٧٢ — ١٧٥
٤ — الدكتور حسن ابراهيم والدكتور شرف — المعز لدين الله ص ٢٠٢
٥ — القاضى النعمان — المجالس والمسايرات م ٢ ج ا ورقة ٣٨١ — ٣٨٢
٦ — انظر المغرب للبكرى ص ٢٦ — ٢٧ ومعجم البلدان لياقوت م٨ ص ٢٠٥ — ٢٠٨ م٧ ص ٣٩٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وآية أخرى على ثراء الخلافة الفاطمية هي ما أنفقه المعز على الحملة التي سارت لفتح مصر تحت قيادة جوهر الصقلي ، فقد وقف على نفقة هذه الحملة مبلغا لا يكاد يصدقه العقل ، إلا وهو أربعة وعشرون مليونا من الدنانير . ويروي المقريزي (١) ولما عزم المعز على الرحيل الى مصر أتاه بلكين بن زيري بألفي جمل من إبل زناتة ، وحمل ما له بالقصور من الذخائر ، وسبك الدنانير على شكل الطواحين ، جعل على كل جمل قطعتين في وسط كل قطعة ثقب يجمع القطع الأخرى . فاستعظم ذلك الجند والرعية ، وصاروا يقفون في الطرق لرؤية بعث المال المحمول (٢) . وقد يكون في هذه الرواية التي قيلها مبالغة ، ولكنها مبالغة التي تدل على ضخامة الحقيقة على كل حال لأنها خلفها .

والآيات على عظم ثراء الفاطميين في مصر كثيرة فقد شيدوا في القاهرة القصور الفخمة ، وزينوها بالبساتين . ثم انهم كانوا ينفقون الكثير على الكساوي وعلى الموائد والاحتفالات التي كانت تقام في المواسم والأعياد حتى أصبحت أيام العزيز أعيادا كلها كما يقول ابن الأثير والمقريزي (٣) .

والشمسة (٤) التي أعدها المعز للكعبة من الشواهد على ثراء الفاطميين ، كانت سعتها مائة وأربعة وأربعين شبرا مربعا ، وأرضها ديباج أحمر ، وتنتظم حافتها إثنى عشر هلالا من الذهب تلحق بكل هلال أترجة من الذهب – وكأنما الأترجة حشو الهلال – وحشو كل أترجة خمسون درة لكل منها حجم بيضة الحمامة . وتزدان بقية الشمسة بالياقوت المختلف الألوان ، وبآيات الحج مكتوبة بالزمرد والدر وبالمسك . وكانت هذه الشمسة عظيمة حتى انها احتاجت الى عدة رجال لينصبوها (٥) .

---

١ – المقريزي – اتعاظ الحنفا ص ١٢٨ – ١٢٩

٢ – المصدر السابق ص ١٤٤ .

٣ – المقريزي – اتعاظ الحنفا ص ٢٩٨ وانظر كذلك الحلة السيراء ورقة ١٣٤

٤ – الدكتور حسن ابراهيم – الفاطميون في مصر ص ٢٣٥ وفيه أن الشمسة هي كسوة الكعبة .

٥ – المقريزي – اتعاظ الحنفا ص ١٩٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحـــــــالة الاجـــــــتماعية

كان المجتمع المغربي يتكون من البدو المقيمين في الجبال وفي الصحراء، ومن الحضر الملازمين للسهول الساحلية والأودية . وقد عاشت فيه العناصر البربرية والعربية والمولدة ، والرقيق الأبيض ولاسيما الروم ، والرقيق الأسود المستورد من السودان (١) . ولم تتأخر غلبة الإسلام على هذا المجتمع كما تأخرت في مصر (٢) ، فقد ساد الدين الاسلامي منذ بداية القرن الثاني الهجري ، وتبعته سيادة اللغة العربية (٣) . واستمر فيه بعض الذميين على دينهم ، وكانت نسبة اليهود خصوصا مرتفعة في المغرب (٤) . وكان المسلمون إما سنيين وإما اسماعيلية . وقد عرف المغرب الخوارج مبكرا (٥) ، فكانت تسجلماسة وقفصة ونفطة والحامة وسماطة وبشرى كلها مذهبيا خارجية ، وكذلك بغزاوة ولارجة وبادس وبنكسورة (٦) . وقد شاع الاعتزال في قبيلتي زناته ومزاته .

ومعروف أن المجتمع المغربي كان مجتمعا قلقا يموج بالثورات ، وتتنازعه الأهواء السياسية المختلفة . ولكن هذه الحالة كانت أقوى قبل ميلاد تميم ، ثم خفت حدتها شيئا ما بعد موت أبي يزيد . ومع ذلك لم يسترح الفاطميون يوما ما في المغرب ، ولم يركنوا الى أي طائفة فيه ، فكانوا يعيشون بأجسامهم هناك وقلوبهم في المشرق .

ويخلع المقدسي وابن حوقل صفات طيبة على بعض المغاربة كالنجدة والكرم وحسن الضيافة ، ويرمان بعضهم بالصفات الذميمة كالبخل أو الهمجية ، أو السلوك الجنسي الشاذ مع الأجانب وقد ذكر ابن حوقل أنه يشيع في المنطقة الغربية من بلاد المغرب ، وأن أبا عبد الله الشيعي حاول القضاء عليه فلم يفلح (٧) .

---

١ ـ الدكتور حسن محمود ـ بنو زيري ص ١٦١ حيث ذكر أن الرقيق الأسود مصدره السودان .
٢ ـ تاريخ ابن خلدون جـ ٦ ص ١١٠
٣ ـ الدكتور حسين مؤنس ـ فتح العرب للمغرب ص ٢٩٨
٤ ـ المقدسي ـ أحسن التقاسيم ص ٢٣٦ ٥ ـ تاريخ ابن خلدون جـ ٦ ص ١١٠ ـ ١١٤
٦ ـ ابن حوقل ـ صورة الأرض ص ٩٥ ـ ١٠٣
٧ ـ ابن حوقل ـ صورة الأرض ص ٩٣ . انظر كذلك ص ٩٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يبتدع المعز الاحتفالات الضخمة في مصر ، بل أقامها في المغرب ، ففي عام ٣٥١ هـ صمم على ختان أبنائه نزار وعقيل ، فأرسل الى ولاته في الأقاليم يأمرهم أن يحصوا الأطفال الذين حان ختانهم ، وأن يقوموا بنفقاتهم[1] • ويروى المقريزى أن أطفال صقلية وحدها كلفوا الدولة نصف مليون دينار[2] • وقد عمت الاحتفالات المبهجة أرجاء الدولة الفاطمية طيلة الشهر الذى حدد للختان •

ويروى ابن حوقل هذه الرواية " بين المهدية وسوسة بناء يعكف به أمة من الناس على مر الأيام والساعات ، يعرف بالمنستير ، ويقصده أهل افريقية لوقت من السنة فيقيمون فيه أيام معلومة ، ويحضر بفاخر الأطعمة ونفيس المآكل ويقيم جمعهم به مدة ثم ينصرفون الى أوطانهم[3] " وهذه الصورة تدل على أن الاقليم المذكور كان مكانا يقام فيه ما يشبه الموالد المصرية • ولم يفصل الرحالة في الحديث عن هذا الاحتفال ، ولم يبين لنا هل هو عيد قومي أم هو عيد ابتدعه الفاطميون كما ابتدعوا الأعياد في مصر •

ولما انصرف المعز بوجهه الى مصر وجد مجتمعا يعيش فيه القبط والعرب متجاورين أو ممتزجين ولا يخلو من طبقة الرقيق • وكان ذلك المجتمع يدين فريق منه بالمسيحية وفريق بالاسلام وجماعة بالهيودية • قال المقدسي " ولم تكثر مدائن مصر لأن أكثر أهل السواد قبط[4] " وهذه الرواية قد تدل على أن المسيحيين كانوا أكثر من المسلمين في أول عهد الدولة الفاطمية بمصر لأن أهل الريف هم الأكثرية وأهل الريف أولئك قبط • ويؤيد ابن حوقل هذا التخمين بقوله عن مصر " وأهلها نصارى قبط[5] " • ومعقول أن يحتاج الاسلام الى أكثر من ثلاثة قرون ونصف ليتمكن من الغلبة على المجتمع المصري • وإذا كان المقدسي يذكر أن أهل الذمة يتحدثون القبطية[6] أمكن أن نتصور أن تلك اللغة لم تكن قليلة الانتشار اذ ذاك[7] •

---

١ — القاضي النعمان — المجالس والمسايرات م ٣ جـ ٢ ص ٤٠٦
٢ — المقريزي — اتعاظ الحنفا ص ١٣٦ ٣ — ابن حوقل — صورة الأرض ص ٧٣
٤ — المقدسي — أحسن التقاسيم ص ١٩٣
٥ — ابن حوقل — صورة الأرض ص ١٦١ ٦ — المقدسي — أحسن التقاسيم ص ٢٠٣
(٧) راجع متز الحضارة الاسلامية ، ... مصر في فجر الاسلام ... مصر في العصر الاخشيدية ص ٣٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكانت الأعياد من الظواهر البارزة في المجتمع المصري ، فقد تعود المصريون أن يحتفلوا بعدد كبير منها ، ثم زادت هذه الأعياد في أيام الفاطميين ، فكان المعز يحتفل بعيد رأس السنة الهجرية ومولد النبي[1] وأول ليلة من شهر رجب وليلة نصفه وأول ليلة من شهر رمضان وليلة نصفه[2] ، وكان يحتفل بالصيدين[3] ، وكان يشارك المصريين في الاحتفال ببعض أعيادهم ككسر الخليج . وكانت تلك الأيام المشهودة مصدر بهجة للشعب ووسيلة من وسائل الترفيه عنه ، ولكنها كانت حافلة بالمجون . روى المقريزي " قال ابن زولاق : وفي هذه السنة يعني سنة ثلاث وستين وثلثمائة منع المعز لدين الله من وقود النيران ليلة النيروز في السكك ومن صب الماء يوم النيروز . وقال : في سنة أربع وستين وثلثمائة : وفي يوم النيروز زاد اللعب بالماء ووقود النيران ، وطاف أهل الأسواق وعملوا فيلة وخرجوا الى القاهرة بلعبهم ، ولعبوا ثلاثة أيام وأظهروا السماجات والحلي في الأسواق . ثم أمر المعز بالنداء بالكف وأن لا توقد نار ، ولا يصب ماء ، وأخذ قوم فحبسوا وأخذ قوم فطيف بهم على الجمال[4] " ولم يكن المعز ليقف في وجه الاحتفال بالنيروز لو لم يحدث فيه الكثير من المهازل . فالمجون كان يقوى في الاحتفالات التي كانت تقام في تلك الأعياد ، لأن احتشاد الجماهير فرصة ينتهزها الماجنون .

وكان مجون البيئة المصرية يأوي الى الأديرة أيضا . وكانت الأديرة كثيرة[5] في أنحاء مصر ، وترجع كثرتها الى أن مصر مهد الرهبنة المسيحية . وقد اعتلى الرهبان أديرتهم الكثيرة ليهربوا اليها ويخلوا فيها للعبادة ، ثم خلف من بعدهم خلف اتخذ الأديرة مشربا للخمر ومحطا للهو والفسوق .

---

١ - الدكتور حسن ابراهيم والدكتور شرف - المعز لدين الله ص ٢٨٦ - ٢٨٧
٢ - المقريزي - اتعاظ الحنفا ص ١٩٠ : ٣ - المصدر السابق ص ١٩٢
٤ - المقريزي - الخطط جـ ١ ص ٢٦٨ وكذلك ص ٤٩٣
٥ - الدكتور محمد كامل حسين - بين التشيع وأدب الدولة في مصر - مجلة كلية الآداب - الجزء الثاني من المجلد السادس عشر - ديسمبر ١٩٥٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحــــياة الفكــــرية

ارتبطت الحركة الاسماعيلية بالعلم ارتباطا صحيحا • ومن بديهياتهــا أن الامام وارث علوم الدين ، ومصدرها الذي يفيض على الأمة • وعلوم الدين لها ظاهر ولها باطن ، وظاهرها في حقيقته مزيج من الثقافات والفلسفات التي عرفها العالم القديم في الشرق والغرب (١) • فكان لابد للامام أن يلم بالثقافة الاسلامية حتى يحيط بظاهر الدين ، وأن يعرف الفلسفة والمنطق وغيرهما من العلوم حتى يتأهل للتأويل • ولم يكن الامام وحده عالما بل كان دعاته كذلك علماء ، فالعلم سلاح الداعي يستطيع به أن يجادل علماء السنة ويورطهم في المسائل العويصة ، فيزرع الشك في قلوب الجماهير المستمعة ويجذبهم الى التشيع •

ولما خرج الفاطميون من دور الستر الى دور الظهور نشطوا العلم وشجعوا الأدب لخدمة الدعوة أولا ، ولحبهم للعلم والأدب ثانيا ، ولمنافسة قرطبة وبغداد ثالثا ، فمن غير المعقول أن يسبق الفاطميون الى سبق الأمويين والعباسيين في ميدان العلم والأدب •

ولقد كان في المغرب حركة علمية وأدبية في عهد المنصور ، وكانت الندوات (٢) تعقد للتناظر في العلم والأدب وغيرهما ، وكان لهذا الخليفة مكتبة (٣) • وعاش في تلك الفترة علماء منهم القاضي النعمان بن منصور الحاجب • ولابد أن دعاة المنصور كانوا منبثين في المغرب ينشرون الاسماعيلية ويعلمون الناس ما المهمة المتصلة بالثقافات المختلفة •

واتصل ببلاط المنصور أبو الحسن علي بن محمد بن الأيادي التونسي (٤) ، والمروزي (٥) ، وأيوب بن ابراهيم (٦) ، وخليل بن اسحاق • وقد وصلتنا أشعار قليلة

---

١ - الدكتور محمد كامل حسين - في أدب مصر الفاطمية ص ٩ - ١١ وص ١٢
٢ - الدكتور حسن ابراهيم والدكتور شرف - المعز لدين الله ص ٢٢٢ - ٢٢٣
٣ - سيرة الاستاذ جوذر ص ٥٣
٤ - أنظر أبياتا له في المغرب للبكري ص ٥١ ، ٥٢ ، ٥٩ ، ٩٦
٥ - المقريزي - اتعاظ الحنفا ص ١٢٧ ، ١٢٨
٦ - المصدر السابق ص ١٢٨

لهؤلاء . وما وصلنا من خطب المنصور وتوقيعاته قطع من النثر الفني لا بأس بها (1)

وهكذا كان للعلم والأدب شأن في أيام المنصور المضطربة . فلما انطوت وانطوى معها شر أبي يزيد الخارجي وافى المعز وعاد الرخاء ، فكأنما كانا على ميعاد . يقول "المعز" وما ذكرت فيما كان فيه (ص) وفيما أنا اليوم بحمد الله الا تذكرت ما كان عليه داود من الحروب والتعب والنصب ، وما أصار الله تعالى اليه سليمان ع م بعده من الملك والسعة والغبطة واستقامة الأمور" (٢) . وفي ظلال المعز ازداد العلم والأدب قوة ، فواصل القاضي النعمان وجعفر بن منصور اليمن نشاطهما العلمي ، وشجعهما المعز وشجع غيرهما من العلماء (٣) . وكان له مكتبة راح يحث الشعب على الانتفاع بها (٤) ، كما خصص من قصره قاعات (٥) ليستمع فيها الراغبون في العلم . ووسع دائرة التثقيف فشملت مساجد المنصورية . ولابد أن دعاته كانوا يعلمون الناس في شتى أنحاء المغرب في المساجد وغيرها .

واستمر أبو الحسن علي بن محمد الأيادي في بلاط المعز ، وعاش معه علي بن حبيب الله التونسي ومقداد بن الحسن الكتامي وعبد الله بن الحسن الجعفري السمرقندي ، وابن هانئ الأندلسي الشهير (٦) . وما في سيرة جوذر من الخطب والتوقيعات التي تتصل بأيام المعز نثر فني جميل .

وانتقل المعز الى مصر فاصطحب معه علماءه وشعراءه . وكان يأمل أن يدخل ابن هانئ في ركابه ليغنيه في القاهرة كما غناه في المنصورية ، ولكن الموت قطع عليه الأمل فمات شاعره الأكبر في نهاية دور المغرب .

وفي مصر بلغ العلم والأدب أوجهما في أيام المعز وفي أيام العزيز . فعظمت المجالس العلمية في المساجد ، وخف الدعاة الى تعليم الناس ثقافة الشيعة . وقد زار المقدسي مصر في تلك الفترة فتحدث عن هذه الظاهرة قائلا " جامعهم مفعم بحلق الفقهاء وأئمة القراء وأهل الأدب والحكمة ، ودخلتها مع جماعة

---

١ – القاضي النعمان – المجالس والمسايرات م ٢ ج ٢ ورقة ٤٠٨ – ٤٠٩
٢ – انظر الجانب الأول من سيرة جوذر
٣ – الدكتور حسن ابراهيم والدكتور شرف – المعز لدين الله ص ٢٢٤
٤ – المصدر السابق ص ٢٣٣ . ٥ – المصدر السابق ص ٢٣٢
٦ – مقدمة تبيين المعاني في ديوان ابن هانئ ص ١٣٤ ، ظهر الاسلام ج ١ ص ٢٠٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من المنادمة ، فربما جلسنا نتحدث فنسمع النداء من الوجهين : دوروا وجوهكم إلى المجلس . فننظر فإذا نحن بين مجلسين ، على هذا جميع المساجد (١) . وكان الأزهر من أهم مساجد التحليق ، وجعل يتطور شيئا فشيئا حتى أصبح جامعة في عام ٣٧٨ هـ (٢) .

وكان المعز يخصص جانبا من قصره لمحاضر فيه العلماء ، وكان يقدم ذخائر مكتبته للقراء (٣) . وجرى ابنه العزيز على سنته فخصص من قصوره أماكن للمجلدات العلمية (٤) . وقدر للمكتبة الفاطمية في عهده أن تتضخم تضخما عظيما ، يحكي المقريزي " وذكر عند العزيز بالله كتاب العين للخليل بن أحمد فأمر خزان دفاتره فأخرجوا من خزائنه نيفا وثلاثين نسخة من كتاب العين منها نسخة بخط الخليل بن أحمد . وحمل إليه رجل نسخة من كتاب الطبري اشتراها بمائة دينار فأمر العزيز الخزان فأخرجوا من الخزانة ما ينيف عن عشرين نسخة من تاريخ الطبري منها نسخة بخطه . وذكر عنده كتاب الجمهرة لابن دريد فأخرج من الخزانة مائة نسخة منه (٥) " . ومثل هذه الرواية تذكرنا بمكتبة قرطبة الضخمة التي كانت تضم مئات الألوف من المجلدات في ذلك الحين (٦) . وقد تطورت المكتبة الفاطمية — فيما بعد — تطورا يعيد إلى الذهن ذكرى المكتبة والمتحف اللذين عرفتهما الاسكندرية من قبل .

وواظب النعمان والمهدي ومنصور الحاجب ، وعاش إلى جوارهما لفيف من المحدثين والفقهاء وأئمة القراءات واللغويين والمؤرخين وأصحاب علوم الأوائل (٧) . وكان الفاطميون متسامحين مع العلماء بدليل أنهم سمحوا لمحمد بن سليمان النعالي أن يباشر نشاطه العلمي في الفسطاط مع أنه من فقهاء المذهب المالكي ، فكانت حلقته تدور على سبعة عشر عمودا من أعمدة المسجد لاتساعها (٨)

---

١ — المقدسي — أحسن التقاسيم ص ٢٠٥
٢ — الدكتور محمد كامل حسين — في أدب مصر الفاطمية ص ٢٤
٣ — المصدر السابق ص ٢٦ ٤ — الدكتور حسن ابراهيم وشرف — المعز لدين الله ص ٣٣
٥ — المقريزي — الخطط جـ ١ ص ٤٠٨
٦ — بالنثيا — تاريخ الفكر الأندلسي ص ١٠
٧ — السيوطي — حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٦٢ ، ١٨٣ ، ٢٠٧ ، ٢٢٦ ، ٢٤٢ ، ٢٠٤ . وراجع حديثا عن الحركة العلمية في أدب مصر الفاطمية ص ٦٦
٨ — السيوطي — حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٨١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا أدل على تشجيع الفاطميين للعلم من سماح المعز لبطريرك الأشمونين أن يناظر علماء المسلمين (١) . وقد اجتهد الفاطميون في اجتذاب علماء الدول الأخرى، فنجد في أسماء العلماء الذين ذكرهم السيوطي في حسن المحاضرة عددا من الغرباء . وقد حاول العزيز مرة أن يجتذب جبريل بن بختيشوع فلم يفلح (٢) .

وكان ابن كلس بارا بالعلماء . وبإيعاز منه أجرى العزيز رزقا دائما على سبعة وعشرين عالما وبنى لهم مسكنا بجوار الأزهر، وكلفهم بمحاضرة الناس في الجامع الأزهر يوم الجمعة . وكأنما كان هؤلاء متفرغين تفرغا تاما للعلم (٢) . ولم يبخل ابن كلس بماله الخاص على العلماء والأدباء ، حتى لقد ذهب بأكثر مدائح أبي الرقعمق . وكان هذا الوزير المحب للمعرفة من المؤلفين ، ووصلتنا من مؤلفاته الرسالة الوزيرية في مختصر الفقه (٣) .

فإذا نظرنا إلى ما وصلنا من الأدب بمعناه الضيق حكمنا بأنه كان زاهرا في أيام الفاطميين . فكانت دولة الشعر عامرة بالكثير من الشعراء منهم أبو الرقعمق، وصالح بن مؤنس والحسن بن محمد الشهواجي وصالح بن رشدين وسليمان ابن جعفر (٤) ، والحسن بن بشر الدمشقي والاسكندراني (٥) . وكان من شعراء تلك الفترة علي ابن القاضي النعمان ، يقول عنه السيوطي " علي بن النعمان القيرواني قاضي قضاة مصر بالدولة العبيدية . قال في العبر (٥) : انه كان شيعيا غاليا وشاعرا مجودا . مات سنة أربع وسبعين وثلثمائة " ونضج تميم في مصر أيضا ، وصار من أكبر شعراء تلك الفترة . وقد التف حوله نفر من الشعراء كالحسن الرسي والحسين الرسي وأبي الرقعمق ، وأبي الحسن علي بن الحسين القيرواني (٦) .

والحق أن أيام تميم كانت حلوة ، تسعد الملكات الشعرية وترقق العواطف ، وتملأ آفاق المنادمين بالخيالات الجميلة ، اذ كان الرخاء شاملا والأمن سابغا . وكان بيت الخلافة يحنو على الشعراء ليشيدوا بمفاخره ويرددوا عقائده

---

١ — أحمد أمين — ظهر الاسلام جـ ١ ص ١٩٥
٢ — الدكتور محمد كامل حسين — في أدب مصر الفاطمية ص ٦٨
٣ — المصدر السابق ص ٢٤   ٤ — المصدر السابق ص ٥٧
٥ — الثعالبي — اليتيمة جـ ١ ص ٢٣٨ ، ٣٥٧ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٩ تباعا
٦ — في أدب مصر الفاطمية ص ٥٨ ، ١٤٢   ٧ — السيوطي — حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٥٧
٨ — انظر البحث عن ديوان تميم صفحة ٤٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحشروا بدولته وجدوا على شعراء الخصوم . وشارك يعقوب بن كلس في تشجيع الشعراء فكان يسمع المدائح في تدواته[1] ويجيز المادحين . وكان تميم نفسه يشجع النصر ويدل شعره في الرقصى فهو على أنه كان يجود على إخوانه الشعراء بالمنح[2].

ولابد أن عدد الشعراء كان كبيرا في تلك الحقبة المجيدة وان لم تصلنا أشعارهم وأسماؤهم ، والدليل أنه لما مات يعقوب بن كلس نصير العلماء ومهوى الشعراء رثاه مائة شاعر[3] . فكأن القاهرة كانت اذ ذاك في طليعة المواسم التي ازدهر فيها الشعر وكثر عدد الشعراء .

أما النثر الفني فكان متقدما أيضا . وقد وصل الينا من ذلك النثر كتاب " الديارات للشابشتي " ، وهو كتاب يتحدث عن الأديرة في الأقاليم المصرية ومن بينها مصر ، ويذكر ما كان يحدث فيها بعبارة رائقة . ووصلنا من كتب تلك الأيام أيضا كتاب " السيرة " ، وقد ألفه أبو عبد الله الحسين بإيعاز العزيز .

ومهما بالغ المتحدث عن علم تلك الفترة وأدبها فإنه لا يستطيع أن يصور التفوق العلمي والأدبي الذي عرفته مصر في أيام الدولة الفاطمية ، لأن كتب العلم والأدب التي ألفت في ذلك الزمان قد بادت ، وبقي منها النزر القليل . وكثير من هذا الباقي مدفون في سراديب الاسماعلية ، وما أفلت من أيديهم لا يزال بضعة مخطوطات متفرقة في الشرق والغرب .

هذه نظرة عامة الى الحركة الأدبية في أيام تميم . فلننظر نظرة أخرى الى ثقافة البيت الذي تمهده . ولد تميم لأسرة نادرة المثال . وانما كان لم يدرك أيام القائم فإنه قد سمع بأدبه بلاشك . فلقد كان جد أبيه قادرا على النظم والنثر ، كاتب بهما المصريين ابان حملته المخفقة على مصر ما بين عام ٣٠٧ هـ وعام ٣٠٩ هـ ، وترامى بعض شعره إلى بغداد إذ ذاك فعارضه محمد ابن يحيى الصولي[4] ، كما حفظت سيرة جوذر بعض نثره وخطبة له[5] .

---

١ - الدكتور حسن ابراهيم - الفاطميون في مصر ص ٣٣٧
٢ - الثعالبي - اليتيمة جـ ١ ص ٢٥٥
٣ - الدكتور محمد كامل حسين - في أدب مصر الفاطمية ص ٥٩
٤ - المصدر السابق ص ٦١
٥ - سيرة الاستاذ جوذر ص ٥٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولقد رأى تميم جده المنصور رأى العين وان مات وهو صغير ، وحسين ذكره أبو العباس أحمد بن يوسف قال " وكان في غاية الفصاحة والبلاغة ، يرتجل الخطب الشعر والخطب وما يقصد من الكلام المسجوع لوقته (١) " . وكان المنصور واسع الثقافة ، قادرا على التأليف ، مشجعا للعلماء (٢) ووصلنا شيء من شعره ، وحفظت سيرة جوذر مجموعة من رسائله وخطبتين . وفي ديوان تميم اشارة الى كتاب ألفه المنصور في علم النجوم (٣) .

واذا كان الشاعر لم يعش في كنف جده سوى ما يقرب من أربعة أعوام ، فانه قد عاش في ظل أبيه الشديد التعلق بالعلم والأدب . وحديث التاريخ عن الخليفة الفاطمي الرابع حديث شائق ، فهو — على دهائه — من أوفر الحكام نصيبا من الثقافة . قال عنه المقريزي " فابتدأ بتعلم اللغة البربرية حتى أحكمها ، ثم تعلم الرومية والسودانية حتى أتقنهما ، ثم أخذ يتعلم الصقلبية (٤) " . فكأنه اتجه اتصاله بالقبائل السودانية وخضوع البربر وصقلية وجنوب ايطاليا لحكمه فتعلم لغات تلك الجهات . وكان يمتلك مكتبة كبيرة في المنصورية ثم في القاهرة . ويحكى أنه طلب من خازن المكتبة أن يأتيه بكتاب فلم يهتد اليه سريعا ، فنهض المعز وعرف مكان الكتاب ، وقضى معظم الليل واقفا يقرأ دون ملل (٥) . وتدل هذه الحكاية على شغف الخليفة بالكتب وتعلقه الزائد بها . ولقد دأب على مجالسة المستنيرين والعلماء والأدباء ومناقشتهم في الفلسفة والفقه والتأويل والطب والهندسة والفلك (٦) . وهذه مرتبة المتخصصين ، ولا تتاح لحاكم أمة الا أن يكون من طراز المعز المتعدد الجوانب .

وكان المنصور يحمل ابنه المعز على الفراغ للدرس وتأليف الكتب ونظم الشعر (٧) . والى الخليفة الرابع تنسب بعض الرسائل في الدعوة ، وتوقيعاته الى جوذر

١ — النويري — أخبار الدول ص ١٩٥ ٢ — سيرة الأستاذ جوذر ص ٥٥ — ٥١
وانظر صدر سيرة جوذر
٣ — ديوان تميم ص ٤٠٤ .
٤ — المقريزي — الخطط جـ ١ ص ٣٥٣ ٥ — الدكتور حسن ابراهيم وشرف — المعز
لدين الله ص ٢٢٢
٦ — المصدر السابق ص ٢٢٢ — ٢٢٣
٧ — الدكتور محمد كامل حسين — في أدب مصر الفاطمية ص
٧ - الدكتور حسن ابراهيم والدكتور طه شرف - المعز لدين الله ص ٢٥)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سلمة طليقة وله في سيرة جوذر خطبة طويلة قالها يوم عيد الأضحى[1] • وينسب اليه ابن خلكان مقطوعتين جيدتين من الشعر تدلان على رقة حاشيته[2] •

أما العزيز فكان حاكما انسانيا ، يميل الى السلم والعدل والتسامح الديني ، ويحب العفو كما رأينا ويشجع العلم والأدب[3] • وكان هو نفسه ذا ميول فنية وأدبية ، اذ كان يهوى الأحجار الكريمة[4] ، ويقرض الشعر •

ولا يصح أن نغفل في هذا المقام ذكر السيدة تغريد أم تميم[5] • وهي سيدة غير عربية اسمها " درزان[6] " ، كان لها ميول فنية ظهرت بعد موت المعز في قصر القرافة ومنازل العز الجميلة[6] •

---

١ — سيرة جوذر ص ٧٦ — ٨٤ ٢ — المصدر السابق ص رسائل الأدباء ص
٣ — ابن خلكان — وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٢٠٠ .
٤ — المصدر السابق جـ ٢ ص ١٣٥
٥ — ذكر المقريزي في الخطط جـ ١ ص ٤٨٦ أن تغريد هي أم العزيز ويدل هذا البيت من شعر تميم ؟ ....
فلا تبرح مني ناصحا وابن والده ووالدة ما فيه عنها تغـــور
(ص ١٤٤ من الديوان) على أن تغريد هي أم تميم أيضا •
٦ — المقريزي — الخطط جـ ١ ص ٤٨٥ و ٤٨٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــــل الثاني

حـــــياة تمـــــــــيم

في عـام ٣٣٧ وفد على الأسرة الفاطمية ولد جديد هو الأمير تميم بن المعز لدين الله (١) . ولاشك أن الأسرة قد رحبت بوفادته ، وسرت بمقدمه ، فقد ولد في أعقاب النصر على أبي يزيد الخارجي ، وفي مطلع عهد المنصورية الميمون . وخصـــل للجـد والأب اذ ذاك أنه خليفة الغد وامام المستقبل . ولم تنبئهما النجـــوم أن الأمير الوليد لم يأتهم ليحمل الأمانة ، ويرث مفاتيح عالم الباطن ، وانمـــا أتى ليتملى جمال الوجـود ، ويتغنى بنعيم الحياة ويدخل تاريخ الأدب مـــن أوسع الأبواب .

ولم يكن مصير تميم المحتوم بدعا ، ولم تكن شفافية نفسه غريبة ، ولم تكـــن شاعـريته حدثا ليس له سابقة ، فلقد ولد للأسرة التي عرف أفرادها بالنــزوع الأصيل الى الأدب ، والحب الشديد للفنون ، والتقدير العميق للعلوم ، بل لقد شاركوا في الآداب والعلوم قبل تميم وبعده ، وشجعوا الأدباء والفنانين والعلماء أولا وأخيرا . ثم انهم اشتهروا بحب الحياة ، والميل الى زخارفها ، والأخـــذ من متعها بأوفى نصيب .

ولا ريب أن المعز ــ ذلك الأديب العالم ــ قد حرص على أن يغذي تميما بالأدب ، ويزوده بالعلم ليكون جديرا بالامامة ، وأهلا لوراثة علم الباطن كمـــا فعل معه أبوه من قبل . فلما بلغ تميم سن التعليم وكل به المعز من يلقنــه العلم والأدب . وكان القصر مأوى شعراء كثيرين يؤيدون الخلافة ، ويتغنـــون بمحامدها ويهمنا منهم ابن هانئ الأندلسي ، فانه يكبر تميما ببضع عشرة سنة ، ويشبهـــه في حب الخمـــر . فكان من الطبيعي أن تقوم عـلاقة ما بين الشـاعر الشادي والشاعـر العريق ، ولكن لا دليل على أن تميما كان تلميذا لابن هانئ وان عارض احدى قصائده (٢) . ولا نعرف للأمير أستاذا معينا لقنه أو تعهـــده ولا شك أنه قد أقبل على الأدب اقبالا عظيما ، وطفق يأخذه عن معلميه ، وينهل

---

١ ــ ابن خلكان ــ وفيات الأعيان جـ ص ١٢١ . وهذا التاريخ صحيح لأن الشاعر يذكر في شعر قاله عام ٣٦٧ أنه في الثلاثين من عمره . انظر الديوان ص ٧

(٢) انظر هذا البحث ص ١٣٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من مكتبة أبيه الزاخرة ، ولاشك أنه قد أخذ بنصيب كبير من علوم اللغة العربية وعلوم الفلسفة كما يدل شعره • ولابد أن مجالس القصر العلمية كان لها شأن في ثقافة الأمير •

وفي مدينة المنصورية البهيجة استقبل تميم الحياة ، وفي قصر البحر الشاعري وفي غيره جعل يشب • وحين قطع مرحلة الطفولة البريئة ، ودخل دور المراهقة بدأ ينحرف عن الطريق السوي • ونستطيع أن نتصور أنه كان يخرج الى جنان تونس ، يشرب الخمر ، ويتبع هواه • ولم يفت سلوكه عين المعز البصيرة ، تحزن لانحراف ابنه ، وغضب لسمعة الأسرة ، فانه كان يعيب على العباسيين انصرافهم الى العبث والمجون (١) • وها هو ابنه يفعل ما ينكره على خصومه • وفي الديوان اشارة مبكرة الى عبث الشاعر فيما يبدو " وركب الأمير يوما الى بعض البساتين بالمنصورية ، فأرسل المعز في طلبه للخدمة التي كان يتولاها بين يديه ، فجاء مبادرا ، وتعذر لقاؤه فكتب اليه :

مالي عجلت الى دعائك وحرمت حظي من لقائك
وتركتني مستوحشا لما عزمت على اصطفائك
حتى لقد أوهمتني أني أخونك في وفائك
صلى عليك الله من ملك وزادك في حبائك "(٢)

وتوحي هذه القطعة بأن الأمير تسلل الى البساتين ليشرب تحت الأشجار ، أو يعبث بين الأدغال ، أو أنه اصطحب أقران السوء ممن يراهم المعز خطرا على الأمير ، ووصمة تلحقه • ولم تكن خرجة تميم بريئة أو كريمة غالبا ، فعاقبه والده بأن حال بينه وبين المثول بين يديه •

وتمادى تميم في انحرافه لم ينفعه الوعظ ، ولم يجد معه الزجر ، ولم يخفه الوعيد • وأعماه أقران السوء عن الخطر الذي يقوده اليه المجون ، والهوه عن التفكير فيما ينتظره من مصير • فنسي ما ينبغي لمثله من الحشمة وما يجب عليه من الوقار • وعجزت حيلة أبيه عن تدارك الأمر ، وذهبت

---

١ ـ القاضي النعمان ـ المجالس والمسايرات (مخطوطة) ج ١ ورقة ١٧٠
٢ ـ ديوان تميم ص ٣٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محاولات اصلاحه بددا • وانطلق تميم في غوايته ، يغشى البساتين ، أو يسمع الغناء ، أو يشرب الخمر ، أو يرتكب ما هو أشد من الخمر اثما •

وكان من عادة الفاطميين أن يضموا الى بلاطهم أبناء الرؤساء ، ليشبـــوا على الاخلاص لدولتهم • وقد أتاحت هذه السنة لتميم أن يلتقي . ابن حاكـــم صقلية ، فقامت بينهما علاقة أثيمة حملت والد الصبي على التفكير في قتله ، وجعلت المعز يحزن حزنا شديدا • ونجد تفصيل الفضيحة في هذه السطور الـــواردة في سيرة جوذر" ولما وصل أحمد بن الحسن من صقلية ، وكان واجدا على ابنـــه طاهر لصحبته مع الأمير تميم ، وما شنع من القول عنهما ، فأراد قتل ولده طاهـــر هذا ، الا أنه استأمر الأستاذ على ذلك ، وشاوره فيه ، فلم يجد الأستاذ بـــدا من أن يرفع ذلك الى أمير المؤمنين ، فصرف اليه الجواب وهو : يا جـــوذر كثر الله من أوليائنا مثل أحمد ، فوالله ما كان يشبهه عندنا ويصوره بغـــير صورته الا بصغر أشباهه الذين زينوا لهذا الصبي ولده صحبة من كان سبـــب شقوته • ووالله ان توجعنا به كتوجعنا بمن لنا • لكن ابن أحمد يرجى فيمــا يستقبل من الزمان ، ومدبرنا نحن لا يرجى أبدا ، اذ كانت الخطة التي يرفـــع الله - عز وجل - بها أولادنا هي خطة الطهارة ، ومن عدمها كان كلا عـــلى مولاه • والحمد لله على ما ساء وسر • فأما ما أراد أن يفعله أحمد بولـــده فأمنعه ، وتشفع له عنده ، وعرفه أن الصواب اصلاح كل فاسد من غير ظاهـــر شنعة يلحقه عارها ، ويبقى ذكرها على مر الأيام • فما يخفى عليه أن ذلـــك يبقى في الأعقاب • فليمسك ويعمل ما يصلح فيما يستقبله • فكونه بين أيدينا يصلح فساد كل فاسد كان يمضي به بينهما • ونحن نداوي فللهم ، فمن أطاعنا لم يشق والله • لقد نكس الله رؤوس كل من كان انتصب للشماتة بهم لمـــا رأوه من فضلنا عليهم وانفاقه • وكذا نحب أن يكونوا ما بقوا في نمو وزيـــادة لا في نقص ورجوع القهقرى • فعرفه ذلك ليعمل به ، ولا يحدث في الصبي سيئا من المكروه ان شاء الله"(١) • ويدل هذا النص فيما يدل - على أن الخليفـــة

(٢)

---

١ - سيرة الأستاذ جوذر ص ١٨٥   ٢ - نفس المصدر ص ١٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قد حزن لما رأى ابنه يسرف في الرذيلة ، ويتلطخ بالعار ، ويشيع خبره بين الرعية ، كما يدل على يأس المعز كل اليأس من اصلاح الأمير ، وانصرافه بوجهه عنه . ولم يكن المعز ليغفل عن رذائل ابنه ، أو تفوته انحرافاته فمن الطبيعي أن يرصده ، وأن يقيم عليه من يحصي أنفاسه . ومن الطبيعي أيضا أن يكون يأسه من اصلاحه أقدم من صدور توقيعه الى جوذر ، وأن يكون عزمه على حرمانه الخلافة سابقا لصدور ذلك التوقيع . وليس ببعيد أن يكون المعز قد أسر الى جوذر بولاية ابنه عبد الله قبل أن يوقع اليه التوقيع السابق بفترة من الزمن .

وأفاق تميم من سكرة مجونه متأخرا ، فرأى أباه قد تحول عنه ، وأغفل أمره ، فتوقع البلاء ، ... السر يدنو . ولم يكن ضعيف العزيمة أو مستكين النفس ، بل كان عنيدا كما يدل ديوانه وسيرة جوذر . فاتصل بأبناء القائم والمنصور والمتمردين على والده ، وأخذ يحيك معهم المؤامرات . وشك جوذر في العلاقة القائمة بين الأمير والمتمردين من أفراد الأسرة ، فاستشار المعز في أن يفتح الرسائل المتبادلة بين المتآمرين ، فأبى المعز أولا ثم عاد فكتب الى جوذر " ياجوذر ، كنت خاطبتنا في أمر كتب القصريين الى دار تميم وغيره ، فأمرناك بترك التعرض لهم . واذ الله قد أجرى على فكرك ما فيه التوفيق – ونحن ما نظن بأحد سوءا من الأباعد ، فكيف من الأقارب ، وقد ظهر لنا بعض ما نكرهه – فاعمل على حمل ما يكون من كتاب وغيره الينا ، ولا تنفذه حتى تعرفنا به من حيث لا يشعر بك أحد البتة ان شاء الله ". (1)

وهكذا شددت الرقابة على تميم ، وراح جوذر يقرأ أسراره وينقلها الى مولاه . ولا ندري ماذا فعل المعز بابنه والمتآمرين على الفتنة . ولابد أنه اشتد في معاملتهم ، وضيق عليهم الخناق . ولم يستطع تميم أن يفعل شيئا غير أنه ضاعف كره أبيه له ، وتمادى في العبث .

---

1 – سيرة الأستاذ جوذر ص ٩٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي تلك الأثناء كان المعز غارقا في العمل على تحقيق الأمنية التي أعجزت المهدي وخلفاءه من بعده • وفي صبيحة يوم السبت الموافق ١٤ ربيع الأول عام ٣٥٨ وقف ابن هانئ الأندلسي ينشد :

رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع   وقد راعني يوم من الحشر أروع (١)

وسار الجيش تحت امرة القائد الصقلي ، وحقق الأمنية • وحينما طارت أخبار النصر الى المغرب ، وقف ابن هانئ مرة أخرى بين يدي المعز ينشده قصيدته التي مطلعها :

تقول بنو العباس هل فتحت مصر   فقل لبني العباس قد قضي الأمر (٢)

وفي عام ٣٥٩ ، أسر المعز الى جوذر بالمهدية بأن ولي عهده ابنه الثاني عبد الله (٣) ، وسأله أن يكتم الخبر ، فمضت سبعة أشهر أعلم بعدها المعز بعض أصفيائه بالأمر وسألهم الكتمان • وخرج جوذر ذات يوم من المهدية قاصدا المنصورية ، فلما اقترب من العاصمة أمر الأولاد المعز أولاده واخوته ورجال دولته أن يخرجوا لاستقباله • فلما اقترب الأستاذ من المستقبلين ترجل ، وقبل الأرض بين يدي الأمير عبد الله ، ولم يلتفت الى سائر الحاضرين ، فذهل الناس لأنهم كانوا يظنون أن تميما هو ولي العهد ، واضطرب الأمير عبد الله لأنه لم يكن يتوقع هذه المفاجأة فكاد أن يقع من فوق جواده • وسر المعز بصنيع جوذر أولا ، وحين أحس بسخط من في القصر على الأستاذ اعتذر عنه اعتذارا واهيا ، فقال ان تحية جوذر تحية عامة ، وليست وقفا على الأمير عبد الله (٤) • وما كان المعز ليستطيع باعتذاره أن يستر المسألة بعد ذلك ، أو يمسك ألسنة الجمهور • وها هو شاعر البلاط ابن هانئ يذكر ولاية العهد في قصيدة قالها عام ٣٦٠ لما قتل محمد بن الحسن الزناتي :

لقد توطد أمر الملك فيه وقد   ندبت ندبا اليه غير متكل
لما شددت بعبد الله عروته   أعززت منه مصون العرض لم يذل
عرفت في كل صنع الله عارفة   فما تهم بفصل غير منفصل

---

١ — تبيين المعاني في ديوان ابن هانئ ص٣٩٧
٢ — المصدر السابق ص٣٣٥
٣ — اقرأ في سيرة جوذر التوقيع ٣٦ ص١٠٨ والفقرة ٨٢ ص١٣٩ والملاحظة ص١١٩ و ص١٨٤
٤ — سيرة جوذر ص١٣٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولاختيارك فضل الوحى انك لا ... تأتى المآتى الا منهلٍ فصل

مستهديا بدليل الله تتبعه ... وقادها لزناد الحكمة الاول (١)

وان ملكا أقر الله قبضته ... بابن الامام لملك غير منتقل

لو نازع النجم ما أعياه منزله ... أو نازل القدر المقدور لم يهل

قد فتت من بركات الابطحى الى ... ما لا يفى بإليه الظل فى الاصل

توالت الباقيات الصالحات له ... توالى الديم الوكافة الهطل

المعز أول ما ساس الامور أتت ... عدلوا بما كان لم يحسب ولم يخل

فالفتح من أول النعمى به وله ... عواقب فى بنى مراو مروان عن عجل

بهجة أردت الهيجا بنى خزر ... وباسمه استظهرت فى الغزو والقفل

فان تكله الى ماضى عزائمه ... تكله منها الى الخطية الذبل

مهما أقام فذو التاج المقيم ، وان ... تلاك رهنا فبعد المشهد الجلل

وبعد توطيد ملك المشرقين لمن ... ترى وأمن العذارى البيض فى الكلل

اذا نظرت اليه نظرة ذهبت ... اليك شبهاك فى الاشبال لم تغل

ترى شمائل فيه منك بينة ... لم تنتقل لك من عهد ولم تحل

كما رأى الملك المنصور شيمته ... تبدو عليك من المنصور قبل تسلى (٢)

وانقطع أمل تميم فى الملك ، وغمره اليأس ، وراحت الهموم تضغط قلبه ومن طبائع الامور أن يفرط فى السكر ، ويشتط فى المسائل الجنسية لينسى الخيبة ويتسلى عن الهموم . وقد شجعه على ذلك أنه لم يعد الامام المأمول الذى يكون قدوة لأمته ، فقد زال الحرج ، وأصبح فى حل من التقاليد . أما بها الصبر ما استطاع . والحق أن هذه تجربة قاسية مر بها الشاعر فتركت فى نفسه آثارا فاضت على شعره فيما بعد ، ولونته تلوينا مميزا .

ويحق لنا أن نقف برهة لنرى السبب أو الاسباب التى حملت المعز على تنحية ابنه الأمير تميم . هناك أسباب متعددة تلوح للمتأمل :

---

١ — هكذا ورد البيت في طبعة زاهد وطبعة بيروت

٢ — تبيين المعانى فى ديوان ابن هانئ ، ص ٦٠٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأول أن تميما كان الابن الثاني (١).

الثاني ما ذكره ناشرو الديوان في المقدمة وهو سوء أخلاق الأمير واتصاله بالمتآمرين

الثالث هو عقم تميم ، قال ابن الأبار " ولاه أبوه المعز لدين الله عهده ، وبه كان يكنى ، فخلع برأي جوهر الصقلي لأنه كان عقيما لا يولد له (٢).

الرابع — وهو رأي قد عن لي — أن المعز ارتأى أن تميما لا يصلح لتحمل المسئولية ، وقد اتسعت الدولة ، وثقلت أعباؤها ، ودخلت أمجد أيامها .

أما السبب الأول فليس صوابا لما يلي :

أولا — ذكر ابن الأبار أنه كان سيحكم بعد أبيه ، ومعنى هذا أنه أكبر اخوته . والاشارة صريحة في سيرة جوذر الى أن تميما هو الاكبر (٣).

ثانيا — لو كان ~~...~~ تميم أصغر من عبد الله لختن مع اخوته عبد الله ونزار ~~...~~ وعقيل . ولا ذكر له في حفل الختان (٤) لأنه قد سبق ختانه .

وليس لعاقل أن يشك في أن ~~...~~ مجون تميم مما نفر والده منه ، وأدى الى الاستغناء عنه . غير أنه ليس من اليسير أن نغض الطرف عن نص ابن الابار الصريح وان اعترض عليه ناشرو الديوان بأن تميما ولد له ابن اسمه علي كان يكنى به . فلا بد أن نناقش احتمالي ما قال ابن الابار . نعم ان تميما يكنى بأبي علي في يتيمة الدهر (٥) ، وفي وفيات الأعيان (٦) . ويمكن أن ينتصر منتصر لابن الأبار بما يلي :

أولا — من تقاليد الاسماعيلية أن يتولى الابن الاكبر ولاية العهد ، فمن حق تميم أن يبدأ به أبوه .

ثانيا — من تقاليدهم أن تنتقل الامامة الى ابن الامام دون اخوته ، فغير بعيد أن يكون تميم قد نحي لعقمه .

ثالثا — كني المعز بأبي تميم منذ طفولته ، وكني ~~العزيز~~ بأبي المنصور قبل مولد الحاكم (٧) كما نرى في قصائد مختلفة قالها تميم قبل مولد الحاكم (٨) . والظاهر أن الكنية

1 — Ivanov: A guide to Ismaili literature

٢ — ابن الأبار — الحلة السيراء (نسخة مصورة بجامعة الدول العربية) ورقة ١٣٢

٣ — سيرة الأستاذ جوذر ص ١٣٩ ٤ — المقريزي — اتعاظ الحنفا ص ١٣٥

٥ — ابن خلكان — وفيات الأعيان ج ١ ص ١٢١ ٦ — الثعالبي — يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٤٧

٧ — سيرة جوذر ص ١٧٦ ٨ — ديوان تميم ص ٦٠ ، ١٤٢ ، ٢٠٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كانت تقليدا جرى عليه الفاطميون دون التقيد بولد •

رابعا — لم يرد فى ديوان الشاعر أى ذكر أو اشارة صريحة الى ولد ، مع أن الديوان يدور كثير منه حول حياة الشاعر الخاصة ، وان وردت فى الديوان مقطوعات أرسلها الى من يسمون الأهل (١) •

ولكن قول ابن الأبار يضعف جدا اذا علمنا أن المعز لم يتقيد كثيرا بالتقاليد الشعبية فى وراثة العهد ، وأن لأمية بن عبد العزيز شعرا فى وصف قصر بنساء الأمير على بن الأمير تميم بن المعز (٢) •

أما السبب الذى أراه فيشمل أخلاق تميم واستعداده ، فالشعراء الأصلاء أناس عاطفيون خياليون ، لا يصلح أكثرهم لسياسة الدول ، ولا يستطيعون تحمل مسئوليات الحكم • ومن لديه منهم القدرة على المشاركة فى السياسة لا يرقون الى مراتب الساسة الأصلاء • وفى التاريخ الاسلامى شواهد على ذلك ، فالوليد ابن يزيد عجز عن تدبير الملك ، ولقى حتفه ، وابن المعتز ما كاد يرقى عرش الخلافة حتى دلف الى قبره مخنوقا • وهذان الملكان الشاعران يشبهان تميما من وجوه كثيرة •

وفى اليوم السابع من شهر رمضان عام ٣٦٢ كانت مدينة الفسطاط مزدانة لاستقبال الأسرة الحاكمة الجديدة • وعبر تميم النيل فى ذلك اليوم مع من عبر ، وسار فى موكب أبيه الذى لم يعرج على الفسطاط ، بل انطلق الى العاصمة الجديدة ، واستقر الشاعر فى القصر الكبير (٣) • وهكذا بدأ حياة جديدة من كل الوجوه ، فقد انتقل الى طبيعة مغايرة ، وحل بمجتمع آخر •

ولم يكن تميم — فيما يبدو — راضيا عن أبيه فى سيرته ، أو ناسيا له ما صنعه منذ أعوام • ولم يكن المعز ليرضى عن سلوك ابنه الفاضح ، ومجونه السافر ، ولم يكن يحب أن يتحدث الناس عن عبثه ويصمروا بمستحلاته ، وهو سليل النبى فى زعمهم ، وأحد الأشراف ، وابن الحاكم الذى خطب فى الاسكندرية منذ حين انتقد الحكومات السابقة ، وبشر المصريين بسياسة تقوم على الدين ، وتحيى سنة الرسول (٤) • لذلك ظل الأب والابن متنافرين ، وظهر صدى التنافر فى

---

١ — ديوان تميم ص ١٠٠ ، ١٢٨ ، ٣٥٢

٢ — النويرى — نهاية الأرب ج ١ ص ٤١١

٣ — ابن خلكان — وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٣٥

٤ — المصدر السابق ج ٢ ص ١٣٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المديح المتكلف . ونرى الشاعر أحيانا يعتذر ، أو يطلب الصفح ، وهـذا يدل على التنافر أيضا .

وتشاء الظروف أن يموت ولي العهد عام ٣٦٤ هـ (١) وعندما هم تميم برثائه لم تسعفه عاطفته الفاترة ، فجاء رثاؤه ضعيفا . واختار المعز ابنه الثالث العزيز لولي العهد ، ولم يلتفت الى ابنه الاكبر ، فمن غير المعقول أن يعود اليه بعد أن نبذه . والراجح أن ولاية العزيز لم تكن مما يعجب له تميم ، وأنه كان يعرف أن الملك قد خرج من يده ولن يعود .

وفي العام التالي مات المعز ، فشيعه الشاعر بهذه الابيات :

كيف لا تعدم الجسوم القلوبا ... وترى نضرة الوجوه شحوبا
من يعزي الجياد أم من يسلي ... مجلس الملك والسرير الكئيبا
فقدوا بعدك القلوب اللواتي ... شقها واجب فشقوا الجيوبا
وا معزاه وافتراه لـ (٣) ... يغتدي الدمع بالدماء خضيبا
فليذق غيري الحياة فاني ... لا أرى للحياة بعدك طيبا (٢)

وهذا نفس قصير ، فيه تكلف . وكان في وسع الشاعر أن يطيل نفس الرثاء بأن يعدد أعمال أبيه المجيدة ، ويشيد بانتصاراته ، ويثني على حكمته ودهائه فهذه معان عرفها الرثاء منذ القدم ولكن عاطفة الشاعر أبت أن تجود الا بعدد أصابع اليد الواحدة أبياتا .

وتولى العزيز مقاليد الامور في ربيع الثاني عام ٣٦٥ ، فساس الرعية سياسة رقيقة ، وأشاع الرخاء ، واهتم بالعلم والادب . فكان طبيعيا أن يرفق بأخيه ويقدر أدبه ، ويرعى حق الاخاء ، فقربه اليه ، واجتهد في ارضائه ، وتفنن في ادخال السرور على نفسه . فتراه يبني له القصور ، ويصحبه في تنزهاته هنا وهناك ، ويمده بالاموال الطائلة ، نستدل على ذلك بهذه الواقعة التي رواها ابن الابار (٤) وكان العزيز يوالي اكرامه ، ويجزل عطاءه ، ويعامله

---

١ — مقدمة ديوان المحققين لديوان تميم ٢ — ديوان تميم ص ٥٧
٣ — قد يقرأ هذا الشطر هكذا " أنا اليوم الذي غذيت عروقي " في نسخة جامعة الدول العربية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بما قتله علما من مروأته واخلاصه في مدحه • ويحكى أنه تنزه الى بركة الجيش ، فلما قرب من قصور أخيه تميم سأل عنه ، فأسرع اليه من عرفه فخرج راجلا حافيا حتى لقيه ، فسلم عليه بالخلافة ، وقال " يا أمير المؤمنين ، قد وجبت علي عندك الضيافة " • فقال " نعم " ودخل معه الى بستانه ، وقد أمر بجنيبة من الجنائب التي كانت بين يديه ، وأقسم على تميم أن يركبها ، وسايره • فلما توسط البستان نظر الى ثمر بلون الذهب عليه ، فتعجب منه واستطرفه ، ودنا من شجره فأخذ منها ليمونة واحدة فقرأها ، واذا عليها مكتوب بالذهب :

أنا الليمون قد غذيت عروقي (١) ببرد الماء في حرز حريز
حصنت فليس يحسن أن يحيى بأمثالي سوى الملك العزيز

فجعلها في كمه وقال : هذه ضيافتي عندك • وانصرف الى قصره ، فبعث الى جعفر بن قرهب صاحب بيت المال فقال له " ما عندك من الدنانير ضرب هذه السنة " • وكان ذلك في أولها ، فقال له " مائة وستون ألفا • فأمره بحملها من ساعته إلى الأمير تميم مع راشد العزيزي • وقال له " أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : استعن بهذه على مؤونتك " فقبل الأرض وبعث اليه من الغد قصيدة حسنة يمدحه فيها ويشكره (٢) •

ويبدو أن تميما كان مستعدا من أول الأمر أن يعفو على ما مضى ، ويعيش مع أخيه في وئام ، اذ ما كاد يحس عطفه حتى اطمأن ، وطفق يكافئ احسانه بالمدح • وان المرء ليحس في أول قصيدة مدحه بها اخلاصه له ، ويرى في صفاء جوها الذي لم تعوده من قبل [illegible] غزاله بعهده • تبدأ بالغزل المشرق ، ثم يجيء المديح الرائق • وسلاسة القصيدة لها دلالتها النفسية ، فهي لم تأت عفوا ، وانما صدرت عن نفس مبتهجة ، وكأنما ابتهجت بموت العزيز ، وأقبلت على الحياة في ظل الخليفة الجديد (٣) •

وكأنما كانت البيئة المصرية ضالة تميم منذ أول عهده بها ، فواظب على الانطلاق بين جنباتها ، يهيم بين الجنان ، ويسكر على السماع في المنتزهات

١ — قد يقرأ هذا الشطر هكذا " أنا الليمو الذي غذيت عروقي " في نسخة جامعة الدول العربية •
٢ — ابن الأبار — الحلة السيراء ص ١٣١ ٣ — ديوان تميم ص ١٠٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو على صفحة النيل[1] أو في الأديرة المنتشرة في منطقة القاهرة[2] . ولم يكن يلهو وحده فقد التفت به عصابة ماجنة منذ وقت مبكر في الغالب . فحين انتقل الى مصر كان فيها جماعات من الشعراء اشتهرت بالمجون كلها كجماعة صالح بن رشدين[3] . وفي اليتيمة نصوص مدح بها أبو الرقعمق العزيز ونعيما والرسيين[4] ونجد مجونا بشعا في مطلع قصيدة مدح بها أبو الرقعمق نعيما ، ونجد حديثا عن الصفع والسخف في قصيدة أخرى مدحه بها أيضا[5] . ولم يتورع أبو الرقعمق عن مدح العزيز بالطريقة نفسها . ومن مدحه لتميم نعرف أنه كان وثيق الصلة به ، أثيرا لديه . وكان تميم — كما نرى في الديوان — أ صديقا للرسيين ممدوحي أبي الرقعمق ، وهم شعراء . فكان تميم يراسلهم بالشعر ، ويشرب مع الحسن والحسين الرسيين ، ويشترك معهما في اللهو[6] . ومن الديوان نعرف شاعرا آخر اسمه أبو الحسن علي بن الحسين القيرواني كان يتردد على تميم هو وأصحابه ليشربوا معه[7] . ونحن نجهل أكثر المجان الذين قدحوا مجون الشاعر ، وزينوا له الخلاعة ، وحسبنا أن نعلم أن منهم أبا الرقعمق الرقيع الذي اطرح الحياء ، ولم يعبأ بالقيم الخلقية ، ولم يتورع أن يخاطب العزيز بمدحته التي أولها :

أظن وداد ها من غير نيــة   وان هي فيه الا مدعية[8]

فأبو الرقعمق الذي كان يقف بين تميم وأصحابه هو عنوان الثلة التي كانت تحيط بشاعرنا . وهي ثلة كبيرة ، لأن العزيز وضع على أخيه ، وتميم جواد بشهادة أبي الرقعمق .

وراح تميم يستمتع بمباهج الاحتفالات المتصلة ، ويفوز من ملذاتها ومسراتها بنصيب الأسد . فنراه في الحلة السيراء يضيء مكان الاحتفال بالشموع ويتجول طول الليل في رجاله الذين كانوا يبلغون مائتي فارس ، ليحمي المحتفلين ، ويرفه عنهم ، ويهنيهم ويشاركهم البهجة[9] . وليس من قبيل الصدفة

---

١ — ديوان تميم ص ٣٢٥ ٢ — الشابشتي — الديارات ص ١٨٤

٣ — الدكتور محمد كامل حسين — في أدب مصر الفاطمية ص ٢٤٥

٤ — الثعالبي — اليتيمة جـ ١ ص ٣٣٩ وما بعدها ٥ — نفس المصدر جـ ١ ص ٣٣٠

٦ — ديوان تميم ص ٣١ ، ٧٢ ، ٨٥ ، ١٥٣ ، ١٩١ ٧ — المصدر السابق ص ٤٣٨

٨ — الثعالبي — يتيمة الدهر جـ ١ ص ٣٠٤

٩ — ابن الأبار — الحلة السيراء ورقة ١٣٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن تقع على بركة الحبش جنانه ومجلسه القائم على الأعمدة (١)، فقد كانت هذه البركة وخليج بني وائل موطن الاحتفال بكثير من الأعياد كعيد الشهيد وعيد الصليب، والنيروز، والغطاس، والميلاد، وعيد الشعانين (٢) •

وانطلق تميم يتغنى بجمال البيئة، ولذة الخمر، وحب الجنس الى جانب مدح أخيه • وكان في الامكان أن يمضي في حياته ناعما لولا أن دخل الوشاة بينه وبين أخيه، فكدروا عليه صفو العلاقة • ونرى تميما في أماكن متفرقة من ديوانه ، في ثنايا المديح وفي قطع مستقلة، يشكو الوشاة، ويدعو أخاه أن يصنع بهم صنيعه، فلا يقبل منهم ما يزخرفون، ويردهم خائبين، ويلحظ القارئ في تلك الأشعار روح الصدق، ويسمع أنين المظلوم • وكان الخليفة يستجيب لتوسل أخيه أحيانا، فيوصد بابه في وجوه الساعين، ويحسن ظنه بأخيه فيقول لم الشاعر مثلا :

كم مضمر لي عقد الشحناء جبهته بالرد والاقصاء
ولم تمكنه من الاصغاء حفظا لطاعتي وللاخاء
حتى انثنى محترق الاحشاء واسود وجه الكاشح السعاء
لا والدم الجاري بكربلاء ومن بها من دائم الثواء
بني علي وبني الزهراء ذوي التناهي وذوي العلاء
ما حلت عن مستحسن الصفاء فيك ولا عن خالص الوفاء
في ظاهر مني ولا خفاء فكيف أنسى منن الآلاء (٣) ••• الخ •

لكن العزيز كان يعود فينحرف عن الشاعر، فيعاود الشكوى، ويرجع الى الأنين • ولابد أنه كان يضيق ذرعا بالخليفة، ويتجدد في نفسه الحنق القديم • وليس بين أيدينا أدلة واضحة تثبت أنه عاود التآمر، أو حاول الانتقام • وكل ما لدينا هموم وتهديدات غامضة في الديوان (٤) لا تصلح أساسا للقول : ان الشاعر كان يحيك المؤامرات • وفي الديوان قصيدتان مدح بهما تميم الطائع المعزيز،

---

١ — الشابشتي — الديارات ص ١٨٨
٢ — المقريزي — الخطط جـ ٢ ص ٦٧ ، ٦٨ والحلة السيراء ص ١٣٤
٣ — ديوان تميم ص ١٧
٤ — المصدر السابق ص ٨٩ ، ١١١ ، ١٨٣ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ — ٢٦٤ ، ٢٧٩ ، ٢٨٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحن فيهما الى وطنه الأول حنينا جميلا (1) • فلعل حنينه ذاك هروب من واقعه الذى كان يشوبه الكدر فى بعض الأوقات • وربما تذكر الشاعر أيام المعز فرآها خيرا من أيام الكدر فى ظل العزيز ، فحن اليها على هذا النحو :

سقيا ورعيا لزمان مضى ... به معد فمدمنساه
ما كان أبهى حسن أيامه ... فينا وأحلاه واهنساه
اذ لم يكن فى عين شمس لنا ... مخيم نكره سكناه
ولم نكن نترل فيه على ... حكم من الأيام تخشاه
لكننا نغدو على ماجد ... تمطرنا بالجود يمناه (2)

وقد شكا تميم الغربة والفراق ، وهجا بعض البلاد الواقعة على طريق الشام (3) ونحن الى مصر ، فانبنى على ما تقدم افتراض أن العزيز نفى أخاه الى الرملة • ويجوز أن نفترض افتراضا آخر ، وهو أن العزيز لم ينف أخاه وانما كان يصحبه معه فى حملاته على بلاد الشام الدائمة الثورة بعد أن انهزم جوهر أمام الأعصم وهفتكين • ويؤيد هذا الافتراض ما يلى :

أولا — لم يذكر أحد من المؤرخين نفى تميم •

ثانيا — ليس فى الديوان اشارة صريحة الى النفى •

ثالثا — لا داعى لنفى الشاعر الى الشام لو كان العزيز ينوى التخلص منه ، اذ كان يمكنه حبسه فى مصر لا فى الشام الثائرة حيث أخذ المدن وردها ، وحيث تتاح للشاعر فرصة الارتماء فى أحضان الخصوم • وما كان أحب الى القرامطة أن ينشروا على تميم فيعينوه خليفة ، ويتخذوه العوبة فى أيديهم •

رابعا — نجد الشاعر مع أخيه قبل معركة الرملة عام ٣٦٧ (٤) ، وساعة خروجه الى الشام عام ٣٧٤ (٥) • ونجده فى مصر أكثر من مرة فيما بين هذين العامين •

خامسا — ذكر الشاعر كلمة المخيم فى آخر نص رأيناه •

وقد يكون اشراك تميم فى الحرب أمرا قصد به أن يسهم فى الدفاع عن الدولة المحتاجة الى كل ساعد عامل ، وقد يكون القصد أن يجعله الخليفة قريبا منه

---

١ — ديوان تميم ص ٣٦ ، ٤٢٩ — ٢ — المصدر السابق ص ٤٠٢
٣ — المصدر السابق ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٣٨٣
٤ — المصدر السابق ص ٥٢ ، ٩٥ — ٥ — المصدر السابق ص ٤٢ ، ٤١ ، ٤٢٠ ، ٣٣٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حتى لايجد الفرصة للتفكير في الثأر في غيبة الخليفة خارج القطر في تلك الظروف العصيبة • ومهما يكن الصواب فقد ضاق تميم بتكاليف الحرب ، وكره حياة المعسكرات وحن الى النعيم القديم ، فشكا ألم الفراق ، وبكى ليالي مصر ، وراسل من بهـــا من الاهل والاصحاب ، وأطلق لسانه في محاط الجيش • فما كان ليســتريح الى الحياة في بلمس الراكدة بعد القاهرة الزاخرة ، وما كان ليأنس بعواء الذئاب في عين شمس ، وتلوى الافاعي على الرمال تحت نار الهجير بعد أن ألفت أذنــه سماع الالحان ، وتعودت عينه رؤية الخضرة والامواه والوجـوه الحسان (١) • ومـا أشبه شاعـر مصر المتقدم بشاعرها المتأخر حافظ ابراهيم حين ساقه قـــدره الى السودان فلم يصبر على شظف العيش هناك ، فأرسل شعره الى مصـــر يستغيث ، وما زال بها حتى أعيد (٢) • أما تميم فانه لم يخلص من ويلات الحرب والزم أن يتبع الحملات • لقد منى بضياع الملك ، فتمرد ثم ركن ، ورضى مـــن الحياة باللين ، وها هو أخوه يأبى عليه الراحة ، ويقطع عليهم الصفو ، ويعرضه لأن تتناشـه السيوف أو يشيط على الرماح • ألا ما أتعس حظه •

ويظهر أن اسراف الشاعـر في السكر وافراطه في تصرفاته الجنسية قـــد أضعفا جسمه ، وأورثاه السقام • ولا ننسى أن الأمير الرقيق قد حالفته الهموم منذ صباه ، خلعه أبوه في المغرب ، واشتد في معاملته هناك وفي مصـر • فلما انصرمت أيام المعز وجاءت أيام العزيز لم يكد يأنس بأخيه حتى تكنفـــه الوشاة ، وأفسدوا عليه صفو حياته • ومثل هذه الاحوال السيئة لابد أن تضر أعصاب الشاعـر ، وتؤذى نفسه ، وتعين عليه الضعف • فلا عجب أن نسمع هذه الابيات في مديح العزيز عام ٣٧٢ :

لما بلغت أشدى بعد ما انصرمت بعد الثلاثين خمس من زماني لــى

راجعت حلمي وآثرت الوقار ومــن يحلم يوقر ومن يستحى ينتضـــل

لما أطعت شبابي في الصبا فكذا أطيع في صالح الأعمال مكتهـــلى (٣)

ويدل البيت الثالث على أن الشاعر أحس زوال الشباب ، وتأهبت نفسه لاستقبــال المشيب ، وربما اعترض معترض بأن هذه مبالغة من مبالغات الشعراء المعروفـــة

---

١ ـــ ديوان تميم ص ٣٥٣ ، ٣٨٣/٣
٢ ـــ انظر مقدمة ديوان حافظ ابراهيم
٣ ـــ ديوان تميم ص ٣٣٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يذهب اليها الشاعر في ساعة يأسه أو حزنه • لكن متاعب تميم وروح القصيدة ينبئان بصدقه كما ينبئ به تكريره لهذه الشكوى في موضعين آخرين (١) • وفي القصيدة التي منها الأبيات الثلاثة السابقة نجد تميما يشكو آلاما مبرحة ألمت برجله ، وحرمته النوم ، وكادت تورثه الخبال ، فحالت بينه وبين حضور الاحتفال بالعيد مع أخيه • وجدير بالملاحظة أن الشاعر نعت الداء نفسه في موضع آخر من الديوان ، فلعله كان مصابا بما يشبه الروماتزم •

ونرى الشاعر على أهبة العودة الى مصر في اليوم الخامس من جمادى عام ٣٧٤ (٢) • ولعل هذا اليوم كان آخر عهده بالشام • وفي العام نفسه مات فأمر أخوه محمدا بن النعمان أن يقوم بتغسيله في البستان • فلما غربت الشمس الشاعر ، أخرج الى القرافة ملفوفا في ستين ثوبا حيث صلى عليه ، ثم حمل النعش الى القصر وأرقد الشاعر بجوار أبيه (٣) •

---

١ — ديوان تميم ص ٦٧ ، ٤٦٦ ٢ — نفس المصدر ص ١٣٦

٣ — ابن خلكان — وفيات الأعيان ج ١ ص ١٢١ • ورد في هذا المصدر ثلاثة تواريخ للوفاة : ٣٦٨ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ • وقد ذكر الأول صاحب النجوم الزاهرة ج ١ ص ١٣٣ • وفي حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٥٧ — وهذا خطأ • وقد آثرت التاريخ الأوسط لانقطاع الأخر عنده في الديوان ، اذ نجد فيه أكثر من اشارة الى عام ٣٧٤ ، ولا نجد أي اشارة الى زمن بعده • أنظر الديوان ص ٤٣٩ ، ٤٠٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الثانى

تحليل الديوان

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــــل الأول

الجـــــانب الحـــــزين من شعـــر تميم

لتميم قصائد شيعية مستقلة ، وفي مديحه أجزاء شيعية قد تكون اشارة ، أو تكون أطول من اشارة ، وقد تطغى على المدحة حتى تكاد تستغرقها . ونجده في الجـــانب الشيعي الفاطمي من شعره يقص قصة حزبه ، فيفاخر بمواقف الأسلاف ومآثرهم ، أو يرثـــي الشهداء أو يهجو الخصوم ، ونجده يعبر عن آمال الفاطميين كما نجده يردد العقائد الشيعية أو يستعمل الأسلوب الباطني في التعبير .(1)

قصـــــة الحـــــزب

العلـــويون والأمويون :

المنافسة بين الهاشميين عموما والأمويين قديمة ، ترجع الى أيام الجاهلية . وعند ما ظهر الاسلام لعبت دورها ثم اختفت الى حين . فلما قتل عثمان تعصب له معاوية وتمرد عـــلى الخليفة الجديد فحدثت معركة صفين . ورجحت كفة علي في بداية المعركة فأشار عمـــرو برفع المصاحف على أسنة الرماح ليحكم كتاب الله بين المتنازعين وجازت الحيلة على أتباع علي فأكرهوا الخليفة على وقف القتال . ويشير تميم الى يوم صفين فيقول وهو يتحدث عـــن يوم طـــود :

نحرت فيه الوحش أى نحـــر نحر الوصي جيش آل صخـــر(2)

والحق أن عليا لم ينحر جيش آل صخر في ذلك اليوم — وان تفوق عليه في أول الجولة — وانما انتحر حزبه الذي خدع وتشتت فيما بعد . ولقى علي حتفه بعد لأي ، وحمل ابنه الحسن المسئولية ، ولكنه ناء بها وأخلى الميدان لمعاوية . وفي عهده رزح الشيعة تحت نير زياد . واستمـــرت الحـــال في عهـــد يزيد ، ثم وقعـــت واقعـــة تركـــت أثرا كبيرا في تراث الشيعـــة عموما وفي شعـــر تميم خصوصا تلك هي مأساة كربلاء

---

١ — انظر ديوان تميم ص٧٨ ، ١١٧ ، ١٦٧ ، ١٨٥ ، ٢٠٤ ، ٢٤٥ ، ٢٦٨ ، ٤٢٢ ، ٤٥٥ ، ٤٦٣ . وانظر كذلك ص ٣٥٥ والقصيدة ص ٤٤٩

٢ — المصدر السابق ص ١٩٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد أشار اليها فى شعره مرارا ، وتحدث عنها حديثا طويلا فى داليته التى مطلعها :

نأت بعدما بان العزاء سعاد فحشو جفون المقلتين سهاد (١)

وفى بائيته التى مطلعها :

الحر لا يأتى الدنيئة والمجد للنفس الأبية (٢)

فاذا نظرنا الى الدالية المذكورة وجدنا الشاعر يفتتحها بنحيب حزين ، يتحدث فيه عن بعد المحبوب وانعدام العزاء ، ومعاناة الأرق ، ويتمنى أن يكون قلبه منزل الراحلين ودموعه ريا لهم ، ويذكر كيف استقروا حينا من الدهر ، فكان بينهم وبينه وداد صادق ، لكن النوى كادت لهم وهم آمنون . وكم نجاح يرجى فيخيب الرجاء ، وكم شر يهدد ثم يعقب أمنا . ثم يلتفت الى العاذل قائلا : أنا لست لاهيا ، ولا أرى لى طريقا الى الصبر . وهذا نحيب حزين قد أضفت عليه الحزن المأساة الدامية . ويذهب الشاعر بعده يصف المأساة فيقول :

تذكرت لى أسلاف كرام بكربلا هم لثغور المسلمين سداد
أصابتهم من عبد شمس عداوة وعاجلهم بالناكثين حصاد

* * *

وقتلهم بغيا عبيد وكادهم يزيد بأنواع الشقاء فبادوا
بثارات بدر طالبوهم ومكة وكادوهم والحق ليس يكاد
فحكمت الأسياف فيهم وسلطت عليهم رماح للنفاق حداد
فكم كربة فى كربلاء شديدة دهاهم بها للناكثين كياد
تحكم فيهم كل أنوك جاهل ويغزون غزوا ليس فيه محاد
كأنهم ارتدوا ارتداد أمية وحادوا كما حادت ثمود وعاد
ألم تحفظوا يا قوم رهط نبيكم أما لكم يوم النشور معاد
تداس بأقدام العصاة جسومهم وتدرسهم جرد هناك جياد
تفيتهم بالقتل أمة جدهم سفاها ، وعن ماء الفرات تذاد
فماتوا عطاشا صابرين على الوغى ولم يجبنوا ، بل جالدوا وأجادوا
ولم يقبلوا حكم الدعى لأنهم تعالوا وسادوا فى المهود وقادوا

---

١ - ديوان تميم ص١١٧

٢ - المصدر السابق ص٤٥٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويشير البيت الرابع الى ما يقال عن يزيد بن معاوية انه لما رأى رأس الحسين تمثل بقول عبد الله بن الزبعرى :

ليت أشياخي ببدر شهدوا　　جزع الخزرج من وقع الأسل (١)
قد قتلنا القرم من أشياخهم　　وعدلناه ببدر فاعتدل (٢)

ويمضي الشاعر يرثي الحسين ورسوله المنكود الطالع مسلما بن عقيل وغيرهما ، ويسترق لهم القلوب ، ويستبكي العيون ، ثم يكمل وصف المأساة :

تساق على الارغام قسرا نساؤهم　　سبايا الى أرض الشآم تقاد
يسقن الى دار اللعين صاغرا　　كما سيق في عصف الرياح جراد
كأنهم في النصارى أ وانهم　　لأكرم من قد عز منه تماد
يعز على الزهراء ذلة زينب　　وقتل حسين والقلوب شداد
وقرع يزيد للقضيب بسنه　　أ لقد مجموا أهل الشآم وهادوا

ثم يتبع ذلك الفخر والتهديد • ويلاحظ على هذه القصيدة شيئان :

الأول — أن الشاعر يذكر فيها أحداثا تاريخية بارزة ، فيذكر عبيد الله بن زياد ، ويشير الى التمثل بأبيات ابن الزبعرى (٣) ، ويذكر وطء الخيول للجثث (٤) ، وظمأ الحسين وأتباعه (٥) ، وأسر العلويات (٦) ، وخروج زينب بنت علي (٧) ، وقرع يزيد لسن الحسين بالقضيب •

الثاني — أن الشاعر متأثر بالأدب الذي دار حول الأحداث التي حدثت للشيعة ، فنحن نقرأ في القصيدة هذا البيت :

أصابتهم من عبد شمس عداوة　　وعاجلهم بالناكثين حصاد

وهذا البيت يذكرنا بقول الحجاج لأهل الكوفة " واني لأرى رؤوسا قد أينعت وقد حان قطافها " (٨) •

---

١ — أبو الفرج الأصفهاني — مقاتل الطالبيين ص٨٨　　٢ — ابن الأثير — الكامل ج٤ ص ١٠
٣ — المصدر السابق ج٤ ص٤١　　٤ — مقاتل الطالبيين ص٨٦
٥ — ابن الأثير — الكامل ج٤ ص٤٢　　٦ — نفس المصدر ج٤ ص٤٢
٧ — نفس المصدر ج٤ ص٤٤　　٨ — ابن الأثير — الكامل ج٤ ص ١٨٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والبيت :

بثارات بدر طالبوهم ومكة ... وكادوهم والحق ليس بمكاد

اشارة الى تمثل عبيد الله ، ولكنه ربما كان حذوا لقول دعبل :

وما الناس الا حاسد ومكذب ... ومضطغن ذو احنة وترات

اذا ذكروا قتلى ببدر وخيبر ... ويوم حنين أسبلوا العبرات (١)

وبيت تميم :

كأنهم في النصارى وانهم ... لأكرم من قد عرّفته اساد

يشبه بيت دعبل :

قتل وأسر وتحريق ومنهبة ... فعل الغزاة بأرض الروم والخزر (٢)

والقصيدة البائية تشبه الدالية شبها كبيرا ، فتذكر حادثة كربلاء بالتفصيل ، فتشير الى وقائعها التاريخية الهامة . وكلتا القصيدتين حافلة بالأسى على أهل البيت ، والحسرة على ما حل بهم ، والتنديد بما صنعه بهم الخصوم ، والفخر بأمجاد الأسرة ، وهجاء الحزب الأموي . ومما جاء في البائية رثاء للذين لقوا مصرعهم في كربلاء :

جلت بسفك دم الحسيـ ... ـن وقتله عندي الرزيه

ماذا أبيح بكربلا ... ء من النفوس الهاشميه !

ماذا تخطفت الصوا ... رم منهم والسمهريه !

بكت السماء لفقدهم ... والأرض واحتشدت البريه !

ويذكرنا البيت الأخير بما ترويه كتب التاريخ " فيما سمع بعض أهل المدينة ليلة قتل الحسين مناديا ينادي :

أيها القاتلون جهلا حسينا ... أبشروا بالعذاب والتنكيل

كل أهل السماء يدعو عليكم ... من نبي وملك وقبيل

قد لعنتم على لسان ابن داوو ... د وموسى وصاحب الانجيل

ومكث الناس شهرين أو ثلاثة كأنما تلطخ الحوائط بالدماء ساعة تطلع الشمس حتى ترتفع ..... " (٣)

وبعد مضي أكثر من ثلاثة قرون على واقعة كربلاء ثار أهل الشام مع القرامطة وأفتكين ،

---

١ — ياقوت — معجم الأدباء جـ ١١ ص ١٠٤
٢ — ابن عساكر — التاريخ الكبير جـ ٥ ص ٢٣٣
٣ — ابن الأثير — الكامل جـ ٤ ص ٤٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهزموا جوهرا الصقلي ، وحملوه على الانسحاب المخزي . فقاد العزيز جيوشه بنفسه ، وسار الى الشام وأنزل الهزيمة بالثائرين ، وأخضع تلك البلاد . فلما همّ تميم بمدح أخيه في تلك المناسبة تذكر ماضي أهل الشام وتذكر كربلاء وما تلاها فقال فيما قال :

وأرهبت أهل الشام حتى تركتهم وليس لهم سر سواك ولا جهر
وسمتهم خزيا بما لم يسمهم بمعشاره يوما زياد ولا عمرو
فلو تسمع الموتى لناديت مسمعا يزيد : بخزيي قم فقد أدرك الوتر
نهضت بثارات الحسين وزيده نهوضا به من زينب شفي الصدر
لفاطمة الزهراء تفديك بابنها ونسأل أن تبقى ويبقى لك العمر (١)

فالشاعر كان يرى أن دماء الرجال الذين ناصروا معاوية وخلفاءه تجري في عروق معاصريه من أهل الشام الذين ثاروا على العزيز ، فأوقع بهم الهزيمة ، وبث في قلوبهم الرعب أكثر مما بثه زياد بن أبيه وغيره في قلوب الشيعة في الماضي ، لذلك عد ما حل بأهل الشام على يد أخيه ثأرا للحسين وزينب وزيد بن علي زين العابدين .

وقد قام الشيعة بحركات متتابعة في وجه الأمويين بعد مقتل الحسين في المدة التي عاشتها الدولة الأموية بعد عام ٦١ ، وبذلوا كثيرا من التضحيات ، وصرع في تلك الحركات بعض العلويين ، فتزعمهم المختار بن أبي عبيد الثقفي حينا ، واستطاع أن يهزم عبيد الله ويقتله ولكنه لقي حتفه على يد مصعب بن الزبير (٢) . وخرج زيد بن علي على هشام عام ١٢٢ وقتل (٣) ، وخرج بعده ابنه يحيى عام ١٢٥ وقتل أيضا (٤) . ولكن تميما لم يطل الوقوف عند ما حدث بعد كربلاء ، وانما راح يذكره ذكرا عابرا أو ضمنيا اذا ما تحدث عن مأساة كربلاء في قصائده . وفي النص الشعري السابق ذكر لزيد بن علي . وفي الدالية هذا البيت :

فكيف يلذ العيش/وقد سطا (عفوا) وجار على آل النبي زياد

وفيها هذا البيت :

فلهفي على زيد وبئا مسردا اذا حان من بث الكئيب نفاد

---

١ — ديوان تميم ص ٢٠٢
٢ — المصدر السابق جـ ٥ ص ١١٣
٣ — ابن الأثير — الكامل جـ ٤ ص ١٢٨ ، ١٣٤
٤ — المصدر السابق جـ ٥ ص ١٢٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واذا كان الفخر والهجاء في الدالية والبائية مختلطين بالأغراض الشعرية الأخرى فان للشاعر قصيدة سينية ثالثة قالها في الفخر والهجاء ، بدأها بوصف الروض وما فيه من ناعورة وشجر وزهر ثم انتقل الى الدعوة الى الشرب ، ثم التفت الى الأمويين خصوم حزبه التقليديين فصب عليهم هذه الأبيات :

واسم الى الصفوة من هاشم | أهل معاليها وتقديسها
ان قريشا بملا هاشم | تفخر في عقوة عريسها
ان بك من ياقوتها هاشم | فعبد شمس من خسائسها
دع عبد شمس وأباطيلها | فقد بدا الله بتكيسها
قبيلة ما طهر الله من | شانيها من اثم تنجيسها
طافت بحرب وهو فرعونها | طوف النصارى حول قسيسها
دم النبي المصطفى ظاهر | يلوح في بنيان تأسيسها
سقت بنيه بالردى واغتدت | نساؤه سبيا على عيسها
قبيلة أفضلها شرها | لا نزهت عن حال مرؤوسها
فانها أولى باتعاسها | ولعنها من لعن ابليسها (١)

فيفخر الشاعر على الأمويين بمكانة أسرته في مكة قبل الاسلام ، فقد سيطرت على الكثير من مرافق البلد الحرام (٢) ، وحقر عبد شمس الضعيف الخطر ، وشبه حربا جد الأمويين بفرعون والقسيس ، وشمت في زوال الحكم الأموي من المشرق ، وأشار الى الدماء النبوية التي أريقت ، وأسر أهل البيت في كربلاء ، وأنهى حديثه بالدعاء عليها ولعنتها لعنة الابليس أي الضد أو المغتصب (٣) ، ولعله يقصد معاوية ضد علي ، ولم ينس الشاعر كربلاء هنا ، وهو يكرر الاشارة اليها في غير ما تقدم (٤) .

وهكذا خدم تميم حزبه الذي ينتمي اليه ، فندد بالعدوان الذي وقع عليه ، ورثى ضحايا العدوان ، وفخر على المعتدين وهجاهم . وجدير بالذكر أن أحد المؤلفين قد أخذ على ابن المعتز تعرضه للأمويين والعلويين ، وذهب الى أنه اتجه اتجاها غير سليم ، اذ كان الأولى أن يندد بالأتراك الذين أشاعوا

---

١ — ديوان تميم ص ٢٤٦

٢ — الدكتور حسن ابراهيم حسن — تاريخ الاسلام السياسي ج١ ص٧٠

٣ — الدكتور محمد كامل حسين — المؤيد في الدين ص ١٢٢

٤ — انظر ديوان تميم ص ١٧ ، ٢٥ ، ٢٤٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الظلم في عهده ، واستبدوا على الخلفاء العباسيين أنفسهم ، بدل أن يندد بالأمويين الذين أصبحوا أحدوثة من أحاديث التاريخ ، وبدل أن يندد بالسلف من العلويين والثائرين منهم بالأطراف (١) • ولم يسين المؤلف من يقصد بالثائرين بالأطراف (٢) ولكنه على علم بأن الأمويين كانت لهم دولة في الأندلس ، أخذت تنهض في الوقت الذي بلغت فيه الدولة العباسية غاية الضعف ، وان كان لم يذكر لنا اسم دولة الأدارسة العلوية في المغرب ، ونشاط الدعاية الاسماعيلية في المغرب والمشرق معا • وقد شاهد ابن المعتز خطر الفاطميين في الأفق الغربي وهو في آخر حياته ، فلا غرو أن يعرض بخصوم العباسيين • وفي عصر تميم كانت الدولة الأموية في غاية القوة ، تزعمها عبد الرحمن الناصر ثم الحكم ، ثم المنصور بن أبي عامر الوزير الجبار • وكان العداء شديدا بين الأمويين والفاطميين ، فراح الشاعر يقول الشعر الذي رأيناه يدور حول علاقة الأمويين بالعلويين ، ومن أغراضه أن يذكر الناس بالجرائم التي ارتكبها أسلاف معاصريه من حكام الأندلس ، وليفض منهم ، وليستدر عطف المعلمين على الدولة الشيعية الجديدة •

العلويون والعباسيون :

العلويون والعباسيون فرعان من الأسرة الهاشمية • وكانوا متحدين في أول الأمر • وقد التفوا حول علي بن أبي طالب لما ناوأه معاوية ، وشاركوه المحنة ، كما التف الكثير منهم حول أبنائه من بعده • واستمر الفرعان متحدين حتى اقترب القرن الأول من نهايته ، واذ ذاك بدأ العباسيون يطمعون أن يكونوا هم الخلفاء (٣) • ومع ذلك استمر التعاون بين الجانبين • وحين انتخب محمد بن عبد الله زعيما بايعه الهاشميون (٤) • فلما سقطت الدولة الأموية ، ونودي بالسفاح خليفة ، تمرد محمد بن عبد الله هو وأخوه ابراهيم لأنه كان يرى بيعته في عنق الخليفة الجديد • فلما تولى المنصور رفض الأخوان أن يبايعاه ، فبدأت سلسلة من الأحداث ذهب ضحيتها الأخوان وكثيرون من

---

١ — عبد العزيز سيد الأهل — عبد الله بن المعتز ص ٦٧
٢ — المصدر السابق ص ٦١
٣ — دكتور حسن ابراهيم حسن — تاريخ الاسلام السياسي جـ ٢ ص ١١
٤ — أبو الفرج الأصفهاني — مقاتل الطالبيين ص ١٦١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسرتهما فيما بعد (١) .

وقد صاحب هذا الصراع صراع ثوري دار حول وراثة الملك ، والفخر بالأسلاف والتجريح . وقد عرف الحزب العلوي هذا اللون من الصراع منذ بدايتـــه ، فان عليا افتخر بنسبه على معاوية لما تبادلا الرسل ، وجرّحه بتأخر اسلامـــه (٢) . وجادل الكميت عن حق آل البيت في الخلافة (٣) ، وأشاد بمآثرهم (٤) ، وجرح الأمويين (٥) ، فعرض آل علي لهجاء الحكم بن عياش (٦) . ومن الطريف أن محمدا بن عبد اللــه قد راسل أبا جعفر المنصور ، فقال ان عليا وصي الرسول والامام الذي اختـاره ، فالخلافة تراث علوي اغتصبه بنو العباس بعد أن طلبوه باسم أبناء علي ، ثم راح محمد بن عبد الله يفخر بنسبه في رسالته (٧) . فرد عليه أبو جعفر ردا طويلا ذهب فيه الى أنه صاحب ارث الخلافة دون أبناء فاطمة ، ومضى ينقض فخر خصمه بنسبه ، وراح يعيره بفقر أبي طالب وفقره في الجاهلية ، وبتولية الرســـول أبا بكر الصديق امامة المصلين ، وبكره كثير من الصحابة لعلي بسبب الفـــتن وبتخاذل الحسن بن علي وفشل الحسين وسلالة علي ، وأنشأ يفخر بأن العباس له شرف السقاية في الجاهلية والاسلام ، وبأنه كان عون أبا طالب ، وبأنــه افتدى عقيلا يوم بدر ، وبأن عمر قد استسقى به لما أصاب المدينة الجــدب وطفق يمن عليه بأن العباسيين قد نهضوا لما عجز العلويون ، فنجحوا ، وأخذوا بثار أبناء عمهم ، وأبطلوا سب علي (٨) .

وساير شعراء العباسيين تيار حزبهم ، ففتح منصور النميري الباب لســب العلويين (٩) ، واندفع الشعراء يناصرون العباسيين . ونجد مروان بن أبي حفصة في القرن الثاني يهاجم العلويين ، ويؤيد حق بني العباس في الخلافة فيقول الخليفة العباسي :

---

١ — أبو الفرج الأصفهاني — مقاتل الطالبيين ص ١٦١
٢ — تاريخ الطبري جـ ٦ ص ٤ ٣ — هاشميات الكميت ص ٤٩
٤ — المصدر السابق ص ٢٩ ، ٤٨ ٥ — المصدر السابق ص ٦٢ ، ٦٨ ، ٧٠
٦ — الدكتور شوقي ضيف — التطور والتجديد ص ٢٢٥
٧ — ابن الأثير — الكامل جـ ٥ ص ٢٠٤ ٨ — المصدر السابق جـ ٥ ص ٢٠٤ — ٢٠٦
٩ — عبد العزيز سيد الأهل — عبد الله بن المعتز ص ٦٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يا ابن الذى ورث النبى محمدا دون الاقارب من بنى الأعمام
الوحى بين بنى البنات وبينكم قطع الخصام فلات حين خصام
ما للنساء مع الرجال فريضة نزلت بذلك سورة الأنعام
خلوا الطريق لمعشر عاداتهم حطم المناكب كل يوم زحام
ارضوا بما قسم الإله لكم به ودعوا وراثة كل أصيد حامى
انى يكون — وليس ذاك بكائن — لبنى البنات وراثة الأعمام
الهى سهامهم الكتاب فحاولوا أن يشرعوا فيها بغير سهام
ظفرت بنو ساقى الحجيج بحقهم وغررتم بتوهم الأحلام (١)

وهذا كلام قاله من قبل أبو جعفر المنصور فى رده على محمد بن عبد الله ، ولا فضل لصاحبه الا صبه فى قالب موزون فخم ، وقد راح الشاعر يردده فى أوزان مختلفة (٢) وكان يحلو له الفخر بالسقاية (٣).

وكان للعلويين شعراء دافعوا عنهم ، وأيدوا حقهم فى الخلافة كدعبل والسيد الحميرى . وقد زعم الشيعة أن النبى أوصى أن يكون على امام المسلمين بعده يوم الغدير . ولهذا اليوم ذكر فى شعر الكميت (٤).

وقد عرف القرن الثالث شاعرا عربيا كبيرا ، تجرد للدفاع عن العباسيين وخلافتهم ، وانبرى للفخر بهم وللتعريض بالمعارضين ، ذلك الشاعر هو عبد الله ابن المعتز والخليفة فيما بعد .

وفى الوقت الذى كان العلويون يقاتلون فيه العباسيين بالسيف ، ويجادلونهم بالقلم كان الفاطميون المتمون يبثون دعوتهم ، ويبشرون الناس بدولتهم . وفى عام ٢٩٦ رفع عبد الله القناع عن وجهه فى المغرب ونصب نفسه خليفة ، فقامت الدولة الفاطمية ، ومات عبد الله بن المعتز فى العام نفسه . وبعد احدى وأربعين سنة ولد للدولة الجديدة شاعر علوى هو الأمير تميم بن المعز لدين الله .

---

١ — الدكتور محمد كامل حسين — مروان بن أبى حفصة (نسختان بالآلة الكاتبة بمكتبة الجامعة) ص ٩٦
٢ — المرجع السابق ص ٩٤
٣ — المرجع السابق ص ٩٤ ، ١٠٠
٤ — هاشميات الكميت ص ٨١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الا عرف تميم تاريخ حكومته السياسي ، واطلع على ما دار بينه وبين مناهضيه من تدافع وتفاخر وتراشق بالهجاء فضعر عن ساعده ، ومضى يرد على العباسيين ويهمنا هنا قصيدتاه اللتان ذكر الناسخ أنه ناقض بهما ابن المعتز[1] ، وقصيدة عينية[2] ، وقصيدة لامية[3] ، وقصيدة نونية أرسلها الى أخيه يوجه[4] ، وجه منهما الى العباسيين مشيرين بهنا[5] ، ومن يقرأ ديوان ابن المعتز يجد القصيدتين اللتين ناقضهما تميم كما قيل[6] ، ويجد نصوصا أخرى غيرهما تجري في التيار نفسه وهنا يعن لنا هذا السؤال :

ألم يناقض تميم ابن المعتز مرة أو مرات غير ما ذكر الناسخ •

ليس في ديواني الشاعرين اللذين بين أيدينا الآن نقائض • ونجد في ديوان ابن المعتز قصيدة نونية مطلعها :

شجاك الحي اذ بانوا فدمع العين تهتان[7]

ونجد في ديوان تميم قصيدة مطلعها :

نعت بالبين غربان فأحبابك اظعان[8]

والقصيدتان متحدتا الوزن والقافية • ومن يدقق النظر يعرف أنهما ليستا نقيضتين • والراجح أن شاعرنا لم يناقض قصائد لابن المعتز غير الاثنتين اللتين عرفناهما • ولو أنه فعل لذكر الناسخ ذلك • وهنا يعن لنا سؤال آخر :

أناقض تميم شعراء آخرين غير ابن المعتز ببقية قصائده •

ربما كانت بقية تلك القصائد أو بعضها نقائض لقصائد قالها شعراء عباسيون • ولكن الناسخ لم يذكر أي شيء يؤيد ذلك ، وموقفه هذا يضعف القول بأن الشاعر الفاطمي ناقض شعراء عباسيين آخرين • وهنا يعن لنا سؤال ثالث •

ألا تكون قصائد [illegible] تميم هذه الباقية معارضات لقصائد نظمها شعراء سيعيون ثم جاء هو فنظم قصائد لها وزن تلك القصائد الشيعية وقافيتها واتجاههـا يريد بذلك أن يؤيدها •

ربما كان هذا الرأي صوابا ليبين :

---

١ — ديوان تميم ص ٧٨ ، ١٨٥ ٢ — المصدر السابق ص ٢٦٨
٣ — المصدر السابق ص ٣٢٨ ٤ — المصدر السابق ص ٤٤٩
٥ — ديوان ابن المعتز جـ ١ ص ٥ ، ٣٠
٦ — المصدر السابق جـ ١ ص ٤٧ ، ٥٥ ، ٥ ، وجـ ٢ ص ٨ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٥ ... الخ
٧ — المصدر السابق جـ ١ ص ٥٥ ٨ — ديوان تميم ص ٤٢٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأول — أني وجدت لتميم قصيدة شيعية عارض بها أبياتا للسيد الحميري ، وهي قصيدته البائية التي تحدث فيها حديثا طويلا عن كربلاء وما جرى فيها ، وقد عرضنا لقصيدة تميم من قبل (١) وأبيات السيد الحميري رثاء للحسين •
الثاني — أن في ديوان تميم معارضات كثيرة لم يشر اليها الناسخ ، مع أن الشاعر نفسه قد يصرح بأنه يعارض قصيدة ما كما سنرى • فلا بدع ألا يشير الناسخ الى القصائد التي عارض بها تميم قصائد شيعية • وكأنه لم يهتم من قصائد تميم الا بما ناقض به •

وغير بعيد أن تكون قصائد شاعرنا الشيعية معارضات لقصائد ، وغير بعيد أيضا أن يكون الكثير من قصائده الشيعية قد قالها ابتداء لم يناقض بها ولم يعارض • وانما يكن الصواب فإن عبد الله بن المعتز قد نظم مجموعة من النصوص عبّر فيها عن أهواء أسرته ، وردد ما قاله أبو جعفر المنصور في رسالته الى محمد بن عبد الله قبل الحرب ، وما قاله شعراء القرن الثاني ومن بعدهم من أنصار العباسيين • وجاء تميم بعد ذلك فجد في الاعتراض على الأهواء العباسية التي تمثلت في ديوان ابن المعتز الذي يعرفه خير المعرفة ، ونظم قصيدتين لهما وزن قصيدتين لابن المعتز ولهما قافيتهما ، وردد أقوال زعماء أسرته وشعرائها قبله • ويحسن أولا الوقوف عند احدى القصيدتين اللتين ذكر أن تميما ناقضهما • من يقرأ قصيدة ابن المعتز الرائية (٢) يجده يفتتحها بالنسيب ، ثم ينتقل الى وصف حصانه ، ثم يفخر فخرا عاديا فيقول : إنه من فرع هاشمي عظيم ، وانه كريم ، وانه شجاع • ويعجب القارئ لتميم ينتقي هذه القصيدة البريئة ، فينظم واحدة لها وزنها وقافيتها يخدم بها حزبه ، ويعرض فيها بالعباسيين ، مع أن ابن المعتز له قصائد أخرى يفخر فيها بأسرته ، ويطعن فيها الطالبيين كان أولى بتميم أن ينصرف الى مناقضتها • أترى بيت ابن المعتز :

هاشمي اذا نسبت ومحصو ص ببيت من هاشم غير عار

هو الذي أثار تميما ؟ ان هذا البيت لا يكفي لاثارة شاعرنا ، فلعل قصيدة ابن المعتز منثورة ، ضاع منها الجانب الكبير •

---

١ — انظر أبيات السيد الحميري في الأغاني جـ ٧ ص ٢٤٠ • طبعة دار الكتب •
٢ — ديوان ابن المعتز جـ ١ ص ٣٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما قصيدة ابن المعتز البائية التي مطلعها :

ألا من لعيني وتسكابها ... تشكى القذى وبكاها بها (١)

فقد ناقضها تميم كما ذكر الناسخ بقصيدته البائية (٢) . بدأ ابن المعتز قصيدته بذكر محبوبته المشهورة شر ثم يسوق بعض الحكم ، ثم ينتقل الى صلب القصيدة فيهدد العلويين الثائرين ، ويحذرهم سطوة أسرته . ويمضي عبد الله بن المعتز بعد ذلك يعير العلويين بتنكيل الأمويين بهم ، وقتلهم أمامهم حيث نجح العباسيون ، فيقول :

قتلنا أمية في دارها ... ونحن أحق بأسلابها
وكم عصبة قد سقت منكم الـ ... ـخلافة صابا بأكوابها
اذا ما دنوتم تلقتكم ... زبونا وقربت حلابها
ولما أبى الله أن تملكوا ... نهضنا (اليها) وقمنا بها
وما رد حجابها وافدا ... لنا اذا وقفنا بأبوابها
كقطب الرحا وافقت أختها ... دعونا بها وغلبنا بها

فيرد عليه تميم بهذين البيتين :

بنا سلم ربنا طلبتم ... وليس الولاة ككتابها
فلا تفخروا أيضا بالكذاب ... فذاك أشد لاتعابها

ألا ما أشبه بيت تميم الأول بقول محمد بن عبد الله في رسالته الى المنصور : " فان الحق حقنا ، وانكم انما ادعيتم هذا الأمر بنا ، وخرجتم له بشيعتنا ، وحظيتم بفضلنا " . ويتحدث ابن المعتز عن حقهم في الخلافة قائلا :

ونحن ورثنا ثياب النبي ... فلم تجذبون بأهدابها
لكم رحم يا بني بنته ... ولكن بنو العم أولى بها
فمهلا بني عمنا انها ... عطية رب حبانا بها
وكانت تزلزل في العالمين ... فشدت الينا بأطنابها
واقسم انكم تعلمون ... بأنا لها خير أربابها

يعد ابن المعتز أن الله قسم لهم الخلافة ، وقدمهم على بني فاطمة . والعباسيون يستندون الى قوله تعالى " وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض ... " (٣) وكأنما

---

١ - ديوان ابن المعتز ج١ ص٥ . وقد جاء في ديوان تميم مطلع آخر ص٧٨ ، فلعل ذلك المطلع مطلع قصيدة تميم .
٢ - ديوان تميم ص ٧٨
٣ - آخر آية من سورة الأنفال .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البردة هي المشار اليها في البيت الأول ، فقد آلت بردة الرسول الى العباسيين وكانت شعارا من شعارات الخلافة . ويذكرنا البيت الرابع بقول أبي العتاهية وهو يخاطب الخليفة العباسي متحدثا عن خلافته :

ولو رامها أحد غيره — لزلزلت الأرض زلزالها (1)

ويقرأ تميم الأبيات النجمية يرد عليها هذا الرد الشديد :

عجبت لمرتكب غيه — قوى المقالة كذابها
يقول فينظم زور الكلام — ويحكم تمويق اذهابها
(لكم يا بني بنته حرمة — ولكن بنو العم أولى بها)
وكيف يحوز سهام البنين — بنو العم ؟! إف لغصابها
بهذا أنزل الله آي القرآن — أتمون عن نص اسهابها
لقد جار في القول عبد الاله — وقاسى المطايا بركابها
ونحن لبسنا ثياب النبي — وأنتم جذبتم بهدابها
ونحن بنوه ووراثه — وأهل الوراثة أولى بها
وفينا الامامة لا فيكم — ونحن أحق بجلبابها
ومن لكم يا بني عمه — بمثل البتول وأنجابها
وما لكم كرسي النبي — أبه تراموا بنشابها

فهذا الشاعر الشيعي لا يقر خصمه على توجيه الآية القرآنية ، مادام النبي أوصى لعلي . ولم يوصي النبي بهذا ، وانما فعل ذلك لما نزلت عليه الآية " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته ... " (2) . فهذه الآية في نظر الشيعة نازلة في حق علي المقدس في الخلافة . ويفتخر ابن المعتز بجده فيقول :

به فصل الله بحل الحجاز — وأبراها بعد أوصابها
ويوم حنين تداعيتم — وقد أبدت الحرب عن نابها (3)
ولما ملا الجبر أكنابه — ترى ملكه بين أثوابها

---

١ — ديوان أبي العتاهية ص ٣٠٩
٢ — القاضي النعمان — دعائم الاسلام جـ ١ ص ١٩
٣ — لم أقع على مدلول هذا البيت في طبقات ابن سعد وأسد الغابة وكثير من كتب الطبقات .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يشير الشاعر الى أن من أفضال العباس أن المطر انقطع في عهد عمر ، وأجدبت المدينة ، فاستسقى الخليفة بالعباس فأمطرت السماء ، والى أن من أفضاله أن المسلمين قد فروا يوم حنين وثبت هو ، وجعل ينادي الفارين الذين ضاقت بهم عليهم الأرض بما رحبت فتجمعوا حول الرسول من جديد وانتصروا .

وهنا نجد تميم متحمسا للمقال ، فلعلي مواقف رائعة في تاريخ الاسلام . وقد رأينا الشاعر يفتخر بفاطمة بنت الرسول ، فلنسمعه يفاخر بعلي وهاشميته العريقة :

ألا قل لبني ضل من هاشم ورام اللحوق بأربابها
أأوساطها مثل أطرافها أأرؤسها مثل أذنابها
أعباسها كان حربها علي وقاتل نصابها
وأولها مؤمنا بالاله وأول هادم أنصابها
بني هاشم ، قد تعاميتم فخلوا المعالي لأصحابها
أعباسكم كان سيف النبي اذا أبدت الحرب عن نابها
أعباسكم كان في بدره يذود الكتائب عن غابها
أعباسكم قاتل المشركين جهارا وغاصب أسلابها
أعباسكم كوصي النبي ومعطي الرغائب طلابها
أعباسكم شرح المشكلات وفتح مشكل أبوابها

* * *

ألسنا لباب بني هاشم وسادتكم عند نسابها
ألسنا سيفا لقتالها ألسنا ذهبنا بأحسابها

فالشاعر يقول في البيت الأول انه من صميم بني هاشم كما قال قبله محمد بن عبد الله ، ويؤكد هذا المعنى في البيتين الأخيرين ، ويقارن بين علي والعباس فيشير الى أن عليا أول المؤمنين من الصبيان ، وبطل غزوات النبي ، ومحطم الأصنام (١) ، ووصي الرسول ، والعالم الذي يروي الشيعة أن الرسول قال عنه " أنا مدينة العلم وعلي بابها (٢) " ، والذي يروي التاريخ أن الراشدين كانوا يستشيرونه في المسائل الدينية العويصة .

---

١ - الدكتور حسن ابراهيم - تاريخ الاسلام السياسي جـ ١ ص ٣٦٤
٢ - ديوان داعي الدعاة ص ١٠٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا دققنا النظر نجد تميما لا يكتفي بالرد ، وانما يتناول بعض أبيات خصمه فيبحث بمنهجها ويقلبها عليه ، كما كان يفعل جرير والفرزدق . يذكر التاريخ أن العباس ثبت يوم حنين ونادى الفارين ، فيفخر ابن المعتز بذلك ويرى تميم أن هذه مفخرة هينة ، فما أبعد ما بين الصياح وبين اعمال السيف قال ابن المعتز :

يوم حنين تداعيتم   وقد أبدت الحرب عن نابها

فيقلب تميم البيت قائلا :

أعباسكم كان سيف النبي   اذا أبدت الحرب عن نابها

ويقول ابن المعتز :

قتلنا أمية في دارها   ونحن أحق بأسلابها

فيرى تميم أن قتل الأمويين وسلبهم لا يقاس بأي حال بقتل علي للمشركين في الغزوات وسلبهم ، فيقول :

أعباسكم قاتل المشركين   جهارا ونال أسلابها

وقال ابن المعتز في العلويين الذين يطالبون بالخلافة :

وقد ركبوا بغيهم وارتقوا   بزلاء تردي بركابها

فعبث تميم ببنية البيت السابق هذا العبث :

عجبت لمرتكب بغيه   غوى المقالة كذابها

وتساءل ابن المعتز :

ونحن ورثنا ثياب النبي   فلم تجذبون بأهدابها

فأجابه تميم :

ونحن لبسنا ثياب النبي   وأنتم جذبتم بهدابها

يريد أن النبي لما دخل عليه علي وفاطمة والحسن والحسين أجلس الأولين بين يديه ، والولدين على فخذيه ، ثم لفهم بكسائه وتلا عليهم " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " (١) .

وإذا نظرنا نظرة عامة الى النقيضتين السابقتين وجدناهما تردد ان آراء الحزبين ، تلك الآراء التي نجدها في رسالة محمد بن عبد الله ورسالة المنصور ،

---

١ - انظر حاشية ديوان تميم ص ٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اذا استثنينا فخر العباسيين بحنين فان المنصور لم يشر الى ذلك • واذا نظرنا نظرة عامة الى شعر ابن المعتز رأيناه يكرر المعاني التي ساقها في بائيته الساطعة [١] تحذير الطالبيين أن يطالبوا بالخلافة ، واثبات حق الخلافة لأسرته [٢] والفخر بأفضال جده العباس [٣] ويضيف معنيين آخرين [٤]؛ المن على العلويين بتخليصهم من عذاب الأمويين ، وتعييرهم بكفر أبي طالب • فمعروف أن أبا طالب دافع عن النبي وهو يدعو الى الاسلام في مكة • فلما احتضر توسل الرسول اليه أن يسلم فلم يفعل ، ومات على غير الاسلام • فانتهز ابن المعتز هذه الفرصة السانحة ، وهاجم العلويين قائلا :

أبو طالب كمثل أبي الفضـ ـل أما منكم بهـذا عليم
سائلوا مالكا ورضوان عن ذا أين هذا وأين هذا مقيم [٦]

فهو يسأل : أتجعلون أبا طالب ندا لجدي العباس • كلا • اسألوا حارس الجنة وخازن النار يدلاكم على موضع كل منهما • وهذا المعنى موجود في رسالة المنصور الى محمد بن عبد الله • ولم يستطع تميم أن يرفع هذه التهمة فكأنها صحيحة ! ولكنه احتال مرة ، ففخر بنوم علي في فراش الرسول ليلة الهجرة ، ثم التفت الى العباس فطعنه طعنة قوية في قوله :

من توطأ الفراش يخلف فيه أحمدا وهو نحو يثرب سار
أين كان العباس اذ ذاك في الهجرة أم في الفراش أم في الغار [٧]

وقد أراد بالبيت الثاني استمرار العباس على غير الاسلام حتى وقت متأخر [٨] ووجوده في غزوة بدر محاربا تحت راية المشركين ! فهو لم يكن من المهاجرين الأولين السابقين ، ولم يضح تضحية علي الذي نام في فراش الرسول ليخدع الكفار المحيطين بالدار مقدما حياته ثمن الخدعة ، ولم يكن ثاني اثنين في الغار • ولتميم قطعة أخرى ردد فيها هذه المعاني •

---

١ — ديوان ابن المعتز جـ ١ ص٦ ، ١٦ ، ٥١ وجـ ٢ ص٨
٢ — المصدر السابق جـ ١ ص١٦ ، ١٦ ، ٥١
٣ — نفس المصدر جـ ١ ص٦ ، ١٢٨
٤ — المصدر السابق جـ ١ ص١٦ ، ٥٦ ، ١٥٧
٥ — المصدر السابق جـ ١ ص ١٥
٦ — المصدر السابق جـ ١ ص١٥٧
٧ — ديوان تميم ص ١٨٧
٨ — ابن الأثير — أسد الغابة جـ ٣ ص١٠٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يعرض ابن المعتز بعلي كما عرض بأبيه ، ولم يسئ الى الحسن والحسين ، بل كان يعترف لهؤلاء بالفضل ، ويذكرهم بالخير . وقد اعترف في قصيدة له بأن عليا سابق الى الاسلام ، وفدائي الهجرة ، وبحر العلوم وقاضي القضاة ، والخطيب المشهور ، وصهر الرسول ، وبأن الحسن والحسين لهما فخر الانتساب الى محمد (١) . فهو لا يفضل العباس على علي ، وانما يقدم سلالته في وراثة الخلافة بحجة فقهية . وكأنما كان ابن المعتز لا يهمه الفاضل والمفضول ، والذي يهمه أن يدع بنو علي الخلافة لبني العباس . فلما رأى الشيعة - ثوارا وشعراء - لا ينكرون راح يبين لهم أن الخلافة حق شرعي لأسرته ، ومضى يحذرهم أن يطلبوها منهم ، وانطلق يفخر بمآثر جده ، ويمن عليهم بتخليصهم من بني أمية والثأر لهم (٢) ويعيرهم بكفر أبي طالب ، وبخذلان الحسين واسلامه للموت في كربلاء . وكأنه كان يريد أن يتفادى العلويين المتقدمين ، ويجرح العلويين المتأخرين الذين أنفسوا على أسرته المضاجع . ولهذا السبب نجده في قصيدته التي مدح بها عليا وابنيه يختم ختاما ماكرا ، فيقول :

ولا عجب في قتل الحسيـ	ـن ظمآن يقصى عن المشرب
فيا أحدا ظل بين الكلا	ب تنهشه دامي المخلب
لئن كان روعنا فقده	وفاجأ من حيث لم يحسب
وكم قد بكينا عليه دما	بشعر كالماء منقشه الاكثب
ومشق ضرام مصقولة	متى يمتحن وقعها تضرب
وكم من شهيد لنا باسمه	يجدد منها على المذنب
وكم من سواد جددنا به	وتطويل شعر على المنكب
ونوح عليه لنا بالصهيل	وصلصلة اللجم في منقب
وذلك قليل له من بني	أبيه وبنيهم الاقرب

فبعد أن شهد لعلي وابنه بالفضل أبى أن يقف عند ذلك الحد ، فراح يسرق

---

١ - ديوان ابن المعتز جـ ١ ص ١٠٧ .
٢ - المصدر السابق جـ ١ ص ٥٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحسين ويدس في الرثاء ذلك المعنى المألوف عنده ، معنى المن على العلويين بالانتقام لهم من الأمويين • ويرى أحد المؤلفين أنه لما تولى المكتفي أمر المسلمين رفق عبد الله بن المعتز بالعلويين ، لأن الخليفة الجديد كان يميل الى البيت العلوي ، فذكر عليا بالخير في شعره •(١)

أما تميم فيردد جانبه التي رأيناها لهم أشعاره الموجهة الى العباسيين(٢)(٣)(٤) ويفخر بمواقف علي في الغزوات ... أحد وخيبر وحنين ... والحق أن يدلي بأمجاده الحربية ، فقد شهد جميع الغزوات ماعدا غزوة تبوك ، فان الرسول استخلفه(٥)(٦) في ذلك اليوم على المدينة • ويفخر تميم كذلك بالمباهلة ودعوى الغدير • ولم(٧) يفته أن يسخر من السقاية التي تعود العباسيون أن يفخروا بها ، فقال :(٨)

أجعلتم سقي الحجيج كمن آ من بالله مؤمنا لا يداري

ولم يفت شاعرنا أن يفند دعوى العباسيين أنهم غضبوا للعلويين ، وانتقموا لهم مع أن العلويين – حسنيين وحسينيين – قد لقوا على أيديهم التنكيل ، فقال :

زعمتم أنكم لنا غضبتم	تمتم ، وبالزعم ينشر الخطل
متى غضبتم لنا وأنفسنا	لبعضكم مذ وليتم نفل
شردتم جمعنا وشيعته	بغير ذنب جنوا ولا افتعلوا
والحسنيون طالما تلفوا	بحد أسيافكم وما قتلوا
ثم قتلتم موسى الرضا خدعا	لأنكم بعد قتله الهمل
غدرا وحقدا طويتموه لنا !	كذا يعادي الموالي الخول
ويوم يحيى بن أحمد خضبوا	وعنده دون هاشم خذلوا
دماء أبناء أحمد شربوا	ولحم أبناء بنته أكلوا
أرحامهم قطعوا ، وجدهم	قلوا ، وأوزار قومهم حملوا(٩)

١ – عبد العزيز سيد الأهل – عبد الله بن المعتز ص ٦٧
٢ – ديوان تميم ص ٢٣٣
٣ – المصدر السابق ص ١٨٨ ، ٣٣٧ ، ٤٩٤
٤ – المصدر السابق ص ١٨٨ ، ٤٩٤
٥ – تاريخ الاسلام السياسي ج ١ ص ٣٦٤
٦ – ديوان تميم ص ١٨٦ ، ٣٣٤
٧ – المصدر السابق ص ١٨٦
٨ – المصدر السابق ص ١٨٧
٩ – المصدر السابق ص ٢٣١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فما أشبه العباسيين الآن بالأمويين ، كلا الفريقين ظالم قاتل . فلا حق لابن المعتز أن يفخر بحماية العلويين وقد عرف مصارعهم جهلا بعد جهل .

ويعرف تميم أن أحد الخلفاء العباسيين يلقب بالهادي ، وآخر بالرشيد وثالث بالمأمون ، ورابع بالمعتصم ، وخامس بالمقتدر ، وسادس بالمعتضد ، وسابع بالمنتصر . وهذه ألقاب تؤدي معان جميلة ، يرى شاعرنا أن حامليها براء منها ، فكل هؤلاء عنده ما زالوا سفاكين مغتصبين لحق أسرته المقدس ، جديرون بأن يسلبهم هذا البهاء :

وهم بأسماء يروق استماعها ... وألفاظ حسن ما لهن معاني
رشيد ولم يرشد وهاد وما هدى بحق ، ومأمون بغير أمان
ومعتصم لم يعتصم بإلهه ... ومقتدر لم يقتدر بهمان
ومعتضد بالله خاب اعتضاده ... ومنتصر بالبغي غير معان (١)

وهكذا خدم تميم حزبه مرة أخرى لما تصدى للعباسيين فجادلهم على وراثة الملك ، وفاخر بجده العظيم علي ، وهاجاهم ، وندد بقسوتهم على العلويين . وهو إذ ينظم هذا الشعر لا يخاطب به أسرته وحدها ، وإنما يقصد فيما يقصد أن يشين العباسيين ، ويزين آله ويحببهم إلى المسلمين ، ويدعو لدولتهم المهدية الفتية .

الدولة المهدية

رأينا عبيد الله المهدي وخلفاءه يريدون الاستيلاء على العالم الإسلامي كله ، لأنهم وحدهم — في رأيهم — الخلفاء الشرعيون . ورأيناهم يهتمون جدا بأخذ بغداد لأن صاحبها ينازعهم شرعية الحكم . وقد ظهر صدى كل هذا في شعر شعرائهم . وكان منطق دعواهم أنهم المهديون يقتضي أن يسعوا لتحقيق الحلم الكبير ، وهو بسط نفوذهم على العالم كله ليأخذوا بيده إلى الهدى . ويحلم المعز فيقول " إفريقية وغيرها من جميع الأرض لنا

---

١ — ديوان تميم ص ٤٠٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بما خولنا الله منها ، واقامنا له فيها ، أطلعنا منها من أطاعنا وعصانا من عصانا ... (١)

ويقول عنه ابن هانىء :

هو الوارث الدنيا وما خلقت له ... من الناس حتى يلتقى القطر والقطر
وما جهل المنصور فى المهد فضله ... وقد لاحت الأعلام والسمة البهر
رأى أن سيمسى مالك الأرض كلها ... فلما رآه قال : ذا الصمد الوتر
وما ذاك أخذ بالفراسة وحدها ... ولا أنه فيه الى الظن مضطر
ولكن موجوداً من الأثر الذى ... تلقاه من حبر ضنين به حبر (٢)

فلننظر ماذا تركت أحلام الفاطميين فى شعر ابنهم تميم . لقد عبر تميم مرات كثيرة عن رغبة أهله فى امتلاك بغداد ، وتقويض أركان الخلافة العباسية من ذلك أنه لما هزم القرامطة جوهرا فى الشام ، وتأرجح مصير الدولة الفاطمية ، ثم استقام أمرها أخيرا بانتصار المعز ، أحس شاعرنا بانجلاء الغمة ، وكبت الحاصدين ، ورأى الطريق ممهدا الى بغداد ، فقال فى قصيدته التى نظمها بعد النصر :

أبنيهم وقعات تنهد ... على وقعات الدهور الأول
ببغداد من ذكرها جولة ... تذود عن المارقين الكرى
فأنفس ديلمها تفتدى ... وتمسى على مثل جمر الغضى
اذا سمعوا بالامام المعز ... أساؤوا الظنون وحلوا الحبا
يخافون من بأسه وقعة ... تدور عليهم بقطب الرحى
ينادى بوجه بنيه بها ... ويندبهم وهو رهن البلى
وقد قرب الوقت فليأذنوا ... بوشك الزوال وسوء القضا (٣)

(٤) وهذه اللهجة من التعبير عن الأمل متكررة . وثمة لهجة أخرى تعبر عن الأمل نفسه تعبيرا أرق ، تلك هى المتمثلة فى قوله :

لو ملكت بغداد أقصى المنى ... نادتك دون الجن والانس (٥)
ولا تكن من قتل أملاكها ... يا حجة الرحمن فى لبس

---

١ - الدكتور حسن ابراهيم والدكتور طه شرف - المعز لدين الله ص ١٣٢
٢ - ديوان ابن هانىء ص ٣٤٣ ٣ - ديوان تميم ص ١١
٤ - المصدر السابق ص ١٨٨ ، ٢٩١ ، ٣٣٢ ، ٤٠٠
٥ - المصدر السابق ص ٤٠٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يريد الشاعر أن أخاه يكون للعالمين كما كان أخاه حكمه أظله الله وعصمه النبي ورضي عنه الرحمن . ولم لا وأخوه هو الحاكم الذي شاء فلو كان لبغداد أن تتمنى لدعت المعز الى رحابها لتنعم بعدله وتظفر بخيره وتفوز برضا الرحمن (١) . ونجد مثالا آخر من هذا النوع في الديوان .

وفي الديوان لهجة ثالثة تعبر عن هذا الأمل بطريقة ذاتية ، تتمثل في هذه المقطوعة الجميلة التي ودع بها الشاعر أحد المسافرين الى بغداد :

أيها المزجي مطيته ‏ إن حداه الشوق والذكر

نحو بغداد مؤرقه ‏ دلج الترحال والبكر

عج على ماء الفرات وقف ‏ كوقوف الصب معتذر

عن مشوق نحوه قلق ‏ ما له عن ذكره صدر

فهناك الدهر مقتبل ‏ والصبا ريان مخضر

يا ربا القاطول لا عدمت ‏ دنك من الأيام والقدر

كل ما في النفس من أمل ‏ لك أطويه وأدخر

وقريبا قد يزورك بي ‏ ظفر ما مثله ظفر

ثم يطوي في ذراك لنا ‏ طيب عيش ما له كدر (٢)

فهو يوحي لذلك المشتاق الى بغداد أنه شريكه في الشوق الى ربوعها ، ويسأله أن يقف على الفرات الذي يحبه ويشتاق اليه ولا يفتأ يذكره ، ليعتذر له عن تأخر الفاطميين حتى ذلك الحين عن الوصول الى هناك ، حيث الأيام مقبلة والحياة لينة . ثم يلتفت الى نهر القاطول فيدعو أن يدنو منه ، ويعرب له عن أمانيه المعلقة به ، ويتمنى أن يبلغه ظافرا ليخلف أصحابه على النعيم . ولتميم مقطوعة أخرى يودع بها مسافرا اسمه ابن الأنباري تشبه هذه ، وكان ذلك المسافر متجها الى بغداد أيضا (٣) .

ولم يكن الفاطميون يطمعون في القضاء على الخلافة العباسية وحدها ، ولا يتطلعون الى القضاء على خلافة القتلة الذين هرب زعيمهم من سيف العباسيين . ولكن قوة تلك الخلافة قللت مثل قول تميم :

---

١ — ديوان تميم ص ٤٣٤

٢ — المرجع السابق ص ١٦٧

٣ — المصدر السابق ص ٤٢٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

آليت لاذقت المنـــا ... م ولا اضطجعت على حشية
ولأهجرن لذيذ كيـــــ ... ـــل معيشة عندى شهية
حتى أزور أميـــــة ... فى كل بلقعة قصية
وأذيقهم كأس المنـــ ... ـية بالغدو وبالعشية
حتى أقوم بثار (١) ... باق من العصب النقية

فهو يهدد الأمويين لقتلة آله ، ولا يستريح حتى يغزو بلادهم ، ويدرك ثار الفاطميين . وهذا الشعر لا يعبر عن أوهام فردية تلم برأس الشاعر المتحمس فقط ، ولكنه يعبر عن أمل أسرته السياسى ، ذلك الأمل الذى يلونه الانتقام. فما كان تميم يجهل الحروب التى وقعت بين أبيه وبين حكام الأندلس ، وما كان ناسيا تحريض الأمويين للمغاربة على الثورات ، وتحالفهم مع الروم . (٢)

ولا ينسى تميم الحلم النظرى ، فيشير الى خراسان بأصبع الطمع مرة ، ويشير الى خضوع السودان المأمول تارة (٣) ، ويتخيل الدولة العظمى التى تضم الهند والصين تارة أخرى (٤) . ويتصور الدولة المهدية فيقول للعزيز :

ثق بأن الاله يملك حتى ... تملك الأرض قادرا لا ترام
وتميش العمر الذى هو تسعـــــون وعشـــر مسلما لا تضام
فبهذا جاءت الرواية قدمـــا (٥) ... وبهذا جرت لك الأقـــلام

العقـــــــائد

الامام على :

على بن أبى طالب - رضى الله عنه - هو المحور الذى دار حولـــه التشيع . ويحسبه الشيعة المعتدلون بهالة من الجلال ، أما الغلاة فيؤلهونه تأليها (٦) . ومن يقرأ الكتب الشيعية يدرك مقدار على عند أشياعه . وحسبنا

---

١ - ديوان تميم ص ٤٠٨ ، انظر كذلك ص ١٢٠
٢ - المصدر السابق ص ٤٣٤ ٣ - المصدر السابق ص ٥٥
٤ - المصدر السابق ص ٤١٢ ٥ - المصدر السابق ص ٣٨١
٦ - القاضى النعمان - دعائم الاسلام جـ ١ ص ٦٠ - ٦١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن نعلم أن المجالس المستنصرية يبتدىء المجلس منها بالصلاة على النبي ، ثم يثني بتمجيد علي والثناء عليه (١) . ويدل تميم على مكانة علي عند الفاطميين فيقول :

أفضل العالمين بعد الرسول   عند أهل التمييز والتحصيل
حيدره وابن عمه وأخـــوه   وأبو سبطه وزوج البتـــول (٢)

وتذكرنا كلمة "أخوه" بما يرويه الشيعة عن الرسول صلى الله عليه وسلم : "اعلموا أن عليا مني بمنزلة هارون من موسى" (٣) . ومثله قول تميم :

من له قال أنت مني كهارو   ن وموسى ، أكرم به من نجـار (٤)

ويروي الشيعة أحاديث كالمتقدم ينسبونها الى النبي منها (٥) : "... من كنت مولاه فعلي مولاه . اللهم وال من والاه وعاد من عاداه" . وينظم تميم الجزء الأول من الحديث في بائية كربلائية فيقول :

وسموا كالمقال نبيهـــم   وهو العـدل في القضيـــة
من كنت مولاه فقـــد   أضحى أبو حسن وليـــه (٦)

ويروي أيضا انه نادى مناد يوم أحد (٧) : "لا سيف الا ذو الفقار ، ولا فتى الا علي" فيقول تميم :

من له قال : لا فتى كعلي   لا ولا منصل سوى ذي الفقار (٨)

ويذكر القاضي النعمان أن رجلا أتى جعفرا الصادق فقال ان الحسن روى هذا الحديث "ان الله أرسلني برسالة فضاق بها صدري ، وخشيت أن يكذبني الناس ، فتوعدني ان لم أبلغها أن يعذبني" فسأله جعفر ان كان الحسن البصري قد وضح المقصود بالرسالة ، فأجابه الرجل بالنفي . فاتهم جعفر الحسن بكتمان الحق وأخبر الرجل أن الرسالة هي الوصاية ، فان النبي خاف الفتنة اعلانها فأنذره الله بهذه الآية "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس" ، فجمع الرسول المسلمين يوم غدير خم وأبلغهم أمر الله ، فنزل عليه "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي

١ - المجالس المستنصرية (طبعة دار الفكر)   ٢ - ديوان تميم ص ٣٥٥
٣ - القاضي النعمان - دعائم الاسلام جـ ١ ص ٢١   ٤ - ديوان تميم ص ١٨٦
٥ - القاضي النعمان - دعائم الاسلام جـ ١ ص ٢٤
٦ - ديوان تميم ص ٥٥   ٨ - ديوان تميم ص ١٨٦
٧ - سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٩٢ ، وذو الفقار هو سيف النبي كما جاء في المصدر المذكور .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ورضيت لكم الاسلام دينا[1] . فقد أول الشيعة القرآن ليدعموا ما ادعوه . وان المسلم السني ليضيق ذرعا بمثل تلك الاقاويل ، ولكن الشيعة يؤمنون بها ولا يتحرجون من ترديدها في نثرهم وشعرهم . ونرى بصمة الغدير في شعر الكميت بن عدى[2] . ولم يفت تميما أن يذكر دعوى خم ، تلك الدعوة التي تدافع عنها أسرته ، وتحتفل بذكراها في كل عام ، فقال مفتخرا على العباسيين :

ثم يوم الغدير ما قد علمتم خصه دون سائر الحضار[3]

ويخاطب العزيز قائلا :

يا ابن من بان فضله يوم بدر واصطفاه النبي يوم الغدير[4]

وهناك على هذه الدعوة بمعنى شاعرنا عليا بالوصى كثيرا[5] .

الامام المعز :

كلمة الامام كلمة شيعية ، يطلقها الشيعة على الحاكم الشرعي أو الزعيم الشرعي للمسلمين ، وهذه الكلمة ليست متأخرة الظهور ، بل هي موجودة في الشعر الشيعي في العصر الاموي . وقد انتقلت منذ ذلك العصر الى الشعر السني فيما انتقل من مصطلحات الشيعة بقصد الكيد للمذهب الشيعي[6] .

ويسمى تميم أباه بالامام في شعره فيقول :

وما هي عزيني الا الامام وعطفه واطفاء ذاك الجمر من ذلك الصدر[7]

أو يقول :

أضحى الامام معدا خير من حسنت به الخلافة واستعلى به الشم[8]

ويسميه ولى الله كما تعود القاضي النعمان أن يسمى الائمة فيقول[9] :

ولازال نصر الله دون وليه اذا سار من مصر أناخ على مصر

---

١ - القاضي النعمان - دعائم الاسلام جـ ١ ص ١٩
٢ - هاشميات الكميت ص ٨١
٣ - ديوان تميم ص ١٨٦
٤ - المصدر السابق ص ١٧٢
٥ - المصدر السابق ص ١٢ ، ٣١٢ ، ٣٤٦
٦ - الدكتور شوقي ضيف - التطور والتجديد ص ١٢٠ ، ١٢٥
٧ - ديوان تميم ص ١٥٠
٨ - المصدر السابق ص ٣٦٠
٩ - القاضي النعمان - الهمة في آداب اتباع الائمة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يتمم عبد الله بالمهدى هنا ، فانه كان يزعم أن هداية الأمة موكولة به ، وأنه أتى ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، ثم يتابع أبناؤه رسالته من بعده ، فيقول تميم للخليفة الرابع :

لولا محمد أمير المؤمنين لنا عز الهدى وفشت فى عصرنا النعم (١)

ويقول له أيضا :

يا سراج الأنام جنح الظلام ومبيد العداة يوم اللطام

والذى جل أن يساوى بشمس أو ببدر التمام عند التمام (٢)

ويرى الشيعة أن المؤمن لابد أن يعرف امام العصر ، فليس له أن يختار بين التشيع وغيره ، وليس له أن يجهل امام عصره ، فلا ايمان الا بالتشيع ومعرفة الامام . ويروى القاضى النعمان عن جعفر الصادق أنه قال " ... وانما قيل اعرف امامك واعمل ما شئت من الطاعة فانها مقبولة منك ، لانه لا يقبل الله عز وجل عملا بغير معرفة . ولو أن رجلا عمل أعمال البر كلها ، وصام دهره وقام ليله ، وأنفق ماله فى سبيل الله ، وعمل بجميع طاعات الله عمره كله ، ولم يعرف نبيه الذى جاء بتلك الفرائض فيؤمن به ويصدقه وامام عصره الذى افترض الله عز وجل طاعته فيطيعه ، لم ينفعه الله بشىء من عمله . قال الله عز وجل : وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا . وقال (ص) : ولو تقطع الجاهل من العبادة اربا اربا ما ازداد من الله الا بعدا (٣) . فالنص يقرن الايمان بالرسول بالإيمان بالإمام . ويعتقد الفاطميون أن هذا الامام الواجب الطاعة هو حجة الله على عباده ، جعله مصدر هدى وأوجب معرفته ، حتى لاياتى الناس يوم القيامة يحاجون الله بجهلهم (٤) . لذلك يقول تميم لأبيه :

من لم يكن بك دون الخلق معتصما أمسى وليس له فى الأرض معتصم

يا حجة فلجت لله واتضحت حتى اهتدى بسنا برهانها الأمم (٥)

ومن يقرأ كتاب الهمة يعجب لما جاء فى هذا الكتاب من تعظيم الأئمة وتمجيدهم ، ورفعهم فوق سائر بنى آدم . وتستوقف النظر ثلاثة أبواب فيه اعنوان

---

١ — ديوان تميم ص ٣٦٥ ٢ — المصدر السابق ص ٣٦٦
٣ — القاضى النعمان — دعائم الاسلام ج ١ ص ٦٧ ٤ — المصدر السابق ج ١ ص ٥٨
٥ — ديوان تميم ص ٣٦٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١)
الأول " ذكر ما يجب على جميع العباد من التسليم في جميع الأمور الى الائمة " وعنوان الثاني " ذكر التسليم وترك الاعتراض على الائمة فيما يقولون من يتألفونه من الأمة (٢) " ، وعنوان الثالث " ذكر النهي عن انكار افعال الائمة (٣) " . وهذه ابواب متقاربة المضمون ، وهي تذهب الى أن افعال الائمة ليست من الهوى ولا من وسوسة الشيطان لأن الله عز وجل قد تكفل بتسديد الامام ، وأورثه علم آبائه وزيادة وأمانه وجعله ينظر بنوره (٤) ، فالامام معصوم . ويغلو القاضي النعمان حتى يروي أن أحد المهديين سأل الداعي ان يأذن له بالسير الى حضرة الامام ، فأذن له بعد أن أخذ عليه العهد " ان رأيت الامام بعينك يزني ويشرب الخمر ، ويأتي بالفواحش — وقد أعاذ الله الائمة من ذلك — انك لا تنكر ذلك بقلبك ولا لسانك ، ولا يخالجك الشك في انه صواب وحق (٥) " . فلا عجب أن يرفع تميم آباءه فوق البشر فيقول :

(٦)
وكيف يحصي الورى عدا مناقب من لم يلف شبه له في الناس كلهم

أو يقول :

(٧)
يا صفوة الله من بريته وسره في الكتاب والسور

ويشير الشطر الثاني الى زعم الفاطميين أن الكثير من آيات القرآن تتعلق بالائمة (٨) .

ويأبى تميم الا أن يجعل أباه معصوما على نحو ما يذهب الشيعة في عصمة أئمتهم فيقول :

(٩)
والذي يرتجى لدين ودنيا والمصفى من كل عيب وذام

ومما يستوقف النظر أن الشاعر كثيرا ما يختم مخاطبة أبيه على هذا النحو :

صلى عليك الاله ما طلعت شمس وما انهل عارض لجب

ولا غرابة ، فالكتب الاسماعيلية تذكر الائمة فتصلي عليهم وتسلم وهذه الظاهرة عادية فيها . بل لقد كتب القاضي النعمان (١١) فصلا في كتابه دعائم الاسلام يوجب فيه الصلاة على آل محمد . وقد جاراه داعي الدعاة تميما في هذا اللون من

---

١ — القاضي النعمان — الهمة ص ٧٤
٢ — المصدر السابق ص ٨٦
٣ — المصدر السابق ص ١٢٧
٤ — المصدر السابق ص ١٢٨
٥ — المصدر السابق ص ١٢٧
٦ — ديوان تميم ص ٣٦٦
٧ — المصدر السابق ص ١٥١
٨ — اقرأ كتاب الولاية من دعائم الاسلام للقاضي النعمان
٩ — ديوان تميم ص ٣٦٧
١٠ — المصدر السابق ٥٧
١١ — القاضي النعمان — دعائم الاسلام ج ١ ص ٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الختـــــام .

وربما أغرب تميم فمدح أباه هكذا :

توسع دهـر لم يضق بك وسعه   على أن أهل الدهر دونك والدهر

أجـل مجداً ان أقول كأنـــه   وأكبره عن أن يحيط به الشعـر (١)

وقالوا من الشمس انقضى البدر نوره   ولو علموا قالوا هو الشمس والبـدر

والناظر الى هذه الأبيات يظنها مبالغة ، ولكن الفاطميين يرون أن كل موجـود له وجهان كالعملة ، الوجه الأول هو الظاهر أو المثل والوجه الثاني هـو الباطن أو الممثول . فما يعرفه عامة الناس من القرآن مثل وما ينفرد بعلمه الائمة ممثول ، والجسم مثل والنفس ممثول ، والدنيا مثـل والاخـرة ممثول . وكذلك الامام مثل والعقل الكلي ممثول . والعقل الكلي عند الفاطميين أول مبدعات الله ، ويجمل عنه جميع صفاته وأسمائه الحسنى . والعقل الكلي أقدم من ممثـول الدهر ، لأن ممثول الدهـر كان لما تحركت مثولات الاجرام السماوية الـتي ترجع اليه بفضل ايجادها وفضل ايجاد جميع مثولات الموجـودات (٢) . فلا بـدع أن يكون المعـز الذى هو مثل العقل الكلي أكبر من مثل الدهر أي أكبر مـن الدهر في العالم المادي ، وأجـل من أن يشبه لانه مثل الذي ليس كمثـله شيء ، وأعظم من أن يحيط به الشعـر لانه مثل اللانهائي . ولا داعي لأن يقول الناس إن نور القمر من الشمس ، لأن المعز نور السموات والأرض المـادية وعلى هذا النحـو يفهم قول تميم يخاطب أباه المعز :

أما الزمان فلا يعلوك حـادثه   قد ظل يسعى بما ترضاه مجتهدا

النفس ما لم يزل صعب القياد كما   حللت من صرف هذا الدهر ما انعقدا

فكيف أخشى عليك الحادثات وقد   ملكت من حادثات الدهر كل مـدى

سأستقيه بك الدنيا التي امتنعت   مني وألبس أثواب العلا جـددا

الله ملكك الدنيا وساكنهـا   والله أعطاك ما لم يعط أحـدا (٣)

وقوله :

يا من حوى الفضل وحاز الفخرا   وكشف الشمس معا والبـدرا

اني وان أصبحت لك الشكـرا   حتى أجزتك (أجدت) وزنه والنثـرا

لمستقل لعلاك الشعـرا   ....

---

١ - ديوان تميم ص ٢٣٢   ٢ - نظرية المثل والممثول للدكتور محمد كامل حسين

٣ - ديوان تميم ص ١١٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١)
قد ملك الناس معا والدهرا وان غدى أسنى وأعلى قـدرا

فالقطعة الأولى تجعله سيد القدر والناس ، والثانية تجعله فوق الشمس والقمر ، وفوق الشعر والنثر ، وملك الناس والزمان ~~والزمان~~ وأعلى من الناس والزمان • وما ذاك الا لأنه مثل العقل الكلي •

(٢) ونقرأ في كتاب دعائم الاسلام تأكيدات متكررة أن الأئمة لا يعلمون الغيب وعلم الغيب تهمة غير موجهة ~~بها~~ يُرمى بها الفاطميون ، وقصة الرقعة التي وضعها الناصر على منبر العزيز يسخر من ادعائه أنه يعلم الغيب قصة مشهورة (٣) ويرمى الفاطميون كذلك بأنهم يقولون بتناسخ الأرواح (٤) • وشعر تميم يبطل التهمة الثانية ساخرا في قوله :

(٥)
لو كنت أومن بالتناسخ في الورى لظننت أني عروة بن حـــزام

لكن تميما يعرض انتباهنا حين يقول لأبيه :

(٦)
علم بوجه الأمر من قبل كونه بصير ببدو الخطب من قبل أن يبدو

فهو في هذا البيت قد يفهمنا أن أباه يعلم الغيب • وسنراه حين تظله أيام العزيز يذهب في قصيدة له الى أن الناس اختلفوا في التنجيم ، فصدقه فريق وكذبه فريق ، فأخرج لهم العزيز كتابا من كتب جده المنصور يسم المنجم بالكهانة والكفر ، ويحق عليهم النار ، فما النجوم الا كما قال الله تعالى " ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين " (٧) ، وهي تجري في بروجها مسخرة لله ثم يختم حديثه ذلك قائلا :

وان جميع الغيب لله وحده تبارك من رب ومن صمد وتر

(٨)
وما علمت منه الأئمة انمـــا رووه عن المختار جدهم الطهر

فتميم ينكر التنجيم ويهاجمه ، وينكر أن النجوم وسيلة لعلم الغيب ، ولكنه لا ينكر أن لدى أسرته شيئا من علم الغيب ورثوه عن النبي صلى الله عليه وسلم

---

١ – ديوان تميم ص ١٨٩ ٢ – القاضي النعمان – دعائم الاسلام جـ ١ ص
٣ – ابن خلكان – وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٥٨ ، ٦٠ – ٧٠
٢٠٠ ٤ – الدكتور محمد كامل حسين – طائفة ~~الاسماعيلية~~
الاسماعيلية ص ١٧١ ، ديوان المؤيد ص ١٣٦
٥ – ديوان تميم ص ٣٨٩
٦ – نفس المصدر ص ١٠٤ ٧ – سورة الملك – الآية الخامسة
٨ – ديوان تميم ص ٢٠٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والظاهر أن الفاطميين كانوا يأخذون بالتنجيم وغيره من صنوف الشعوذة ، وان صرحوا بما ينفي ذلك . وعندما كانوا يطلعون على الناس بشيء ينكره المجتمع كانوا يتخلصون من ورطة الشعوذة بحجة كحجة تميم . وجدير بالذكر أن الشاعر قد أشار مرة الى علمه الواسع بالتنجيم (١) .

الإسماعيلية المعززة :

ظفر العزيز بمعظم مديح أخيه ، وبأفضله معنى ومبنى ، فانه قد صار خليفة في الوقت الذي تمكن فيه تميم من ناصية الشعر . والتشيع في مديح العزيز وسائر مخاطباته أكثر منه في الشعر الموجه الى المعز وأوضح بل ان تميما يصرح بأنه يمدح أخاه مدحا شيعيا فيقول :

فدونكها فيك شيعية تميمية صعبة المرتقى (٢)

ولن تفوت المتعرض صفة التشيع القوية الوضوح في الشعر المتعلق بالعزيز حتى ان معظم النصوص تمضي الى نهايتها لا يكاد يمدح فيها الخليفة بأية فضيلة دنيوية (٣) .

يقول تميم لأخيه ومثل هذا كثير :

أنت امام لي بلا تقية لاهم فاشهد ثم لا هم اشهد (٤)

وكما سمى المعز وليا سمى العزيز كذلك :

كذا أولياء الله ان رام غيرهم مرامهم يظفر بخزي ويزلق (٥)

ويسمى العزيز بديلا أيضا :

من النفر الغر معن تدرون خيار البرايا وأبدالها (٦)

ويبدو الخليفة الخامس في شعر أخيه وعليه مسوح المهدي ، فمن امامة أخيه يقول تميم :

امامة مهدية اللواء ودولة دائمة البقاء

محفوفة بالعز والبهاء عمت بالعدل بني حواء ... الخ . (٧)

فحكومة القاهرة حكومة مهدية ابدية عزيزة ، قد شمل عدلها الناس

---

١ — ديوان تميم ص ٢٩١ — ٢ — المصدر السابق ص ١٢
٣ — ديوان تميم ص ٦٨ ، ١٤٠ — ٤ — نفس المصدر ص ١٣٧
٥ — نفس المصدر ص ٢٩١ وكذلك ص ٤١٣ — ٦ — نفس المصدر ص ٣١٨
٧ — نفس المصدر ص ١٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكثيرا ما يمدح العزيز بالعدل (١)

ولما تمرد أفتكين ، وهاجم بأتباعه الدولة المهدية قال الشاعر :

وما حاربتك الترك الا وبينها ‏ ‏ وبين العلا والمكرمات حروب

وما جحدوا الحق الذي لك فضله ‏ ‏ ولكن بهم عنه عمى وهروب (٢)

فأفتكين والخالفون معه لا يحاربون حاكما عاديا ، وانما يحاربون المهدى وهم مسلمون

وحين حارب ابو تغلب بن حمدان الفاطميين خوطب :

حاربت بالبغي امام الهدى ‏ ‏ ولم تهب منه عزيزا مهاب (٣)

ويفتن تميم في التعبير عن معنى الهداية فيقول عن نفسه :

انى بآل الله ندما اقتدى ‏ ‏ ولم ازل اهدى بها واهتدى (٤)

ويقول :

انى احب المقتدى به ‏ ‏ اصابة الرشد لا حبا أداجيه (٥)

ويقول عن الائمة :

فانت البدر المستضاء بنوره ‏ ‏ وانت الغدى المستطاب المحبب

بك انصلحت ايامنا بعد جورها ‏ ‏ وذل الزمان الجامح المتقلب (٦)

او يقول :

وما هدى من ضل من رشده ‏ ‏ واشتبه الحق عليه جبار

ابوك جلى الظلم والبغي عن ‏ ‏ شرائع الدين فانت المنار (٧)

وهذه لهجة شائعة في الديوان . ومن هذا القبيل ايضا تشبيه الخليفة بالشمس تشبيها لا يراد به الهيئة بل يراد به الهدى (٨) .

والعزيز حجة الله على عباده كما كان ابوه وابو ابيه وجد ابيه وكل اسلافه السابقين ، فهو جدير بأن يقال له :

انما انت حجة الله لاحجت ‏ ‏ للبرايا ووارث الانبياء (٩)

ودعوى الحجة مكررة في الديوان (١٠) .

---

١ - ديوان تميم ص ١٠٣ ، ٣٨١ ، ٣٩٠ ، ٤١٠ ، ٤١٩ ، على سبيل المثال

٢ - نفس المصدر ص ٤٥ ‏ ‏ ٣ - نفس المصدر ص ٦٠

٤ - نفس المصدر ص ١٣٦ ‏ ‏ ٥ - نفس المصدر ص ٤٥٤

٦ - نفس المصدر ص ١٥ ‏ ‏ ٧ - نفس المصدر ص ٢١٩

٨ - نفس المصدر ص ١٣ ، وكذلك ص ٤٢ ، ١٧٢ ، ٢٠٦ مثلا ‏ ‏ ٩ - نفسه ص ٢٦

١٠ - ديوان تميم ص ٣/٤/٩ ، ٤٠٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذا الامام أو حجة الله ، أو وليه واجب الطاعة :

فمن يطعه يفز بطاعته ومن عصاه فقد عصى الله (١)

وهذا البيت يكاد يكون نظما لقول جعفر الصادق " ... من أطاعنا فقد أطاع الله ، ومن عصانا فقد عصا الله " (٢) وان كان الاساس "وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم " (٣) ومثل البيت السابق :

من لم يدن من بطاعتكم كان كمن يدين باثنين (٤)

فاذا كانت أعمال الكافرين كالسراب فكذلك أعمال مخالفي الائمة . وهذا من الاعتقاد جوهري في الاسماعيلية . وينبني عليه أن ما فرض على أمة محمد لا يقبل الا بالامام :

من لم يكن في صومه متقربا بك للاله فصومه لم يقبل (٥)

ويقول الشاعر وهو يهنئ الخليفة بحلول شهر الصوم أيضا :

فهنيته يا من به الله قابل من الخلق فيه كل نسك مقدم (٦)

ويقول في موضع آخر :

به يقبل الله فرض الصيام وحج الحجيج واهلالهـا (٧)

وجدير بالذكر أن البيت السابق من قصيدة لتميم مطلعها :

وخير ترشفت سلسالهـا وأجريت في الشرب جريالها (٨)

وأظن أن هذه القصيدة معارضة لقصيدة أبي العتاهية التي أولها :

الا ما لسيدتي مالهـا أدلت فأجمل ادلالهـا (٩)

وليس في ديوان أبي العتاهية الا أبيات قليلة من قصيدته ، تناول تميم بعض معانيها فأخذها الى أخيه لما رآها شبيهة . قال أبو العتاهية عن خلافة المهدي :

ولو رامها أحد غيره لزلزلت الأرض زلزالها

ولو لم تطعه بنات القلوب لما قبل الله أعمالها (١٠)

---

١ - ديوان تميم ص ٣٨

٢ - القاضي النعمان - دعائم الاسلام جـ ١ ص ٧٢

٣ - سورة النساء - الآية ٥٩

٤ - ديوان تميم ص ٤٠٦

٥ - ديوان تميم ص ٣٤٤ وانظر في أدب مصر الفاطمية ص ١٤٧

٦ - ديوان تميم ص ٣٨١

٧ - نفس المصدر ص ٣٢٠

٨ - نفس المصدر ص ٣١٥

٩ - ديوان أبي العتاهية ص ٣٠٩

١٠ - نفس المصدر ص ٣٠٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فخلق تميم بهذا القول ، ولاشك أن جبهة البيت الثاني كان أعظم ، فقال في خلافة أخيه :

ولو صاحبها أحيى غيره   لزلزلت الأرض زلزالها (١)
به يقبل الله فرض الصيام   وحج الحجيج واهلالها

فاذا كان أبو السلامة قد ذهب الى أن الله لن يقبل أعمال الناس حتى يسلموا بخلافة المهدي تسليما كليا ، وأن هذه الخلافة لو طمع فيه غير صاحبها لاضطربت الأرض ، فان تميما يجعل أخاه هو الوسيلة لقبول الفرائض كالصيام والحج ، ويرى أن لو تسيطر على مقاليد الخلافة انسان غير العزيز لزلزلت الأرض .

ومن عقائد الاسماعلية أن الامامة ضرورية ، وبغيرها يفسد العالم ، وتضطرب الحياة (٢) . وتتمثل هذه العقيدة في بيت تميم :

بمثل تعمر الأوقات عمران ماجد   فان لم تكن معمورة بك تخرب (٣)

ومن عقائدهم أيضا أن الامام أعلم الناس ، لأنه وارث علم النبوة . وفي كتاب " دعائم الاسلام " فصل يدور حول هذا الموضوع ، ويجرح أبا بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة ، والشافعي وأبا حنيفة وغيرهما من أعلام الفقه السني (٤) . لذلك يقول تميم لأخيه مخاطبا :

وجمعت طرق العلـ (٥)ـم فأنت مجمع العلوم (٦)

ونراه يكرر هذا القول مرارا :

وكما رفع أباه وجعله خير الناس ، نجده يفعل ذلك مع أخيه فيقول (٧) :

وبالله الذي استرعاك أمر عباده فيا لله في هذا الأنام ضريب

أو يقول :

يا أكرم الناس كل الناس في الشيم   وأفضل الخلق من عرب ومن عجم
بل لا أقيسك بالدنيا وما كنهها   وهل يقاس ضياء الصبح بالظلم (٨)

ويجعل لأخيه العصمة فيقول :

لم يخلق الله فيك ساقطة   تصغى عين العلا ولا كدرا (٩)

---

١ ـ ديوان تميم ص ٤٣٢
٢ ـ القاضي النعمان ـ الهمة ص ٥٥
٣ ـ ديوان تميم ص ٤٠٢
٤ ـ القاضي النعمان ـ دعائم الاسلام ج ١ ص ١٠٣ ، ١٢٠
٥ ـ ديوان تميم ص ٤٠٢
٦ ـ نفس المصدر ص ٢٩٨ ، ٤٠٢ ، ٤٣٣ على سبيل التمثيل
٧ ـ ديوان تميم ص ٥٥   ٨ ـ نفس المصدر ص ٤٠١   ٩ ـ نفس المصدر ص ١٦٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما العلاقة بين المعز والسلام فمن الأمور الكثيرة في الديوان كثرة تغني عن التفصيل .

والامام الذي بمنزلة كل اسماعيلي بما تقدم جدير بحبه . والحب من الضرائب المعنوية التي يدفعها الاسماعيلي من قلبه ، كما تعود أن يدفع اليه ضرائب ماله ، وفي كتابي " الهمة " و " دعائم الاسلام " فصلان مطولان في هذه العقيدة (١) ، يروي فيهما المؤلف مأثورات يرفعها الى النبي والى جعفر الصادق تدور حول ما يجب على الشخص من حب آل علي ، منها الحديث " من أحبهم فقد أحبني ، ومن أبغضهم فقد أبغضني (٢) " . وعجيب أن يقول المؤلف " والنظرة بالمكروه الى ولي من أولياء الله أعظم عند الله من قتل مثلاً من الناس (٣) " . وفي ضوء هذه العقيدة نفهم قول تميم :

لتهنك أن الصوم فرض مؤكد من الله مفروض على كل مسلم (٤)

وأنك مفروض المحبة مثله علينا بحق قلت لا بالتوهم (٥)

والمطالبة بحب الامام أو الحديث عنها مما يتكرر في الديوان .

ونسمع تميما يقول مرة :

أنت الصراط المستقيـ ـم من الصراط المستقيم (٦)

ونرى في تأويل دعائم الاسلام " ومثل الطريق في التأويل مثل الامام ، ومن لم يعرفه وعدل عنه فهو ضال (٧) " .

وفي الديوان عقائد أخرى أشير اليها في حاشيته كدعوى أن الله يشير الى الأئمة بآيات معينة (٨) ، أو اعتبار الكتاب عليا تأويلا (٩) ، واعتبار مناسك الحج ، أو الاشهاد هي الأئمة تأويلا (١٠) ، أو اعتبار ليلة القدر أو صاحب كنز الجدار هو الامام تأويلا في حين أن باطن الجدار هو الدعوة (١١) .

---

١ - القاضي النعمان - الهمة ص ٤٠ ، دعائم الاسلام ج ١ ص ٨٣
٢ - القاضي النعمان - الهمة ص ٤٠ ٣ - نفس المصدر ص ٨٨
٤ - ديوان تميم ص ٣٨١ ٥ - نفس المصدر ص ١٥٧ ، ٢١٢ ، ٤١٤ ، ٤٣٣ مثلا
٦ - نفس المصدر ص ٤٠٣ ٧ - القاضي النعمان - تأويل دعائم الاسلام (مخطوط) ورقة ١٣
٨ - حاشية ديوان تميم ص ٦٣ ٩ - حاشية المصدر السابق ص ٦١
١٠ - المصدر السابق ص ١٢ وكذلك ص ٦١
١١ - المصدر السابق ص ١٩٢ وكذلك حواشي ٤٣ ، ٥٢ ، ١٣٧ ، ١٧٢ ، ٣٤٦ و ٤١١ ، ٤٥٥
١٢ - ديوان تميم ص ٣١٥ ، ٢١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبما جعل تمم اباه سيد الدهر لانه مثل العقل الكلي جعل أعداه كذلك في قوله له لما مرض :

مجيرك الله من سلم ومن وصب وحسبك الله من داء ومن نصب
وكيف عنك دهر انت بهجته وانت جنته للعجم وللعرب
وانت الهم تاج المنا شرفا حتى تبختر في أثوابه القشب
ان حاربتك لياليه فما رجعت الا على نفسها بالويل والحرب
سيعلم الدهران لم يثن عنك يدا بانه فاتي عنه عن كثب
لانو بك أضحى في تصرفه يعطي ويأخذ في الاحداث والنوب
يا دهر اسرفت عدوانا منيت به يا دهر حسبك فارجع عن ذوي الحسب (١)

فالشاعر يقول : الله مجيرك من المرض والعناء . ولله هذا الدهر بحقك وانت بهجته ، وجنة ناسه ، ومصدر النور فيه . الا ان الايام ان ناصبتك العداء حاق بها العثر والدمار . واذا لم يكف الدهر عنك فسيرى انه كالباحث عن حتفه ، فانه بك يصرف أقدار الناس . أنت أيها الدهر لقد شططت في العدوان ، ويكفيك ما صنعت ، فارجع عن ذوي الجاه . وقد كرر الشاعر هذه اللهجة (٢)

وفي ديوان تمم ابيات قد يمر بها القارئ فيعدها غلوا ، أو يحسبها كفرا . وقد نفذت مجموعة منها هذه الابيات :

وانك تدنو كل يوم تواضعا وانت من الجوزاء أعلى وأرفع
أهنيك بالعيد الذي انت عيده ونور سنا اقباله حين يسطع
اذا ما تأملت الزمان وجدته بكفيك يعطي من يشاء ويمنع
ولو لم تكن فيه لنا لاح بدره ولا أشرقت شمس الضحى حين تطلع (٣)

فاذا فهمنا هذه الابيات في ضوء نظرية المثل والممثول وقفنا على مقصد الشاعر الحقيقي . فالامام مثل العقل الكلي أرفع من الجوزاء ومن كل الاجرام ، أما انه العيد فلقد سبقت الاشارة الى ذلك . وهو نور يوم العيد ، ونور السموات والارض . ولولا نوره الذي يمد الشمس وينعكس

---

١ — ديوان تمم ص ٧٧
٢ — نفس المصدر ص ٢٨٠ — ٢٨١
٣ — نفس المصدر ص ٦٢ ٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على صحة القمر لانطفأت الشمس ، ولاختفى القمر . واذا كان العقل الكلى قد تحصل من الله كل صفاته فى العالم الروحانى وتحصل الامام هذه الصفات فى العالم الجسمانى أو المادى كان الامام هو المانح والمانع ، بيده يمنع الزمان، وبارادته يمنح ، ويصر تميم على أن إخاه نور الشمس والقمر فيقول : .

وطلعت مع شمس الضحى لعيوننا شمسا ولحت مع الهلال هلالا (١)

ويقول :

بك تستضيء الشمس فى إشراقها والبدر فى أفق السماء منير (٢)

وعند شاعرنا أقوال أشد غلوه السبع مما سبق ، وأبعث على العجب ، وأشبه شيء بما كفر به القدماء ابن هانيء الاندلسى ، منها قوله :

ومالى لا أحرى بك العز والعلا وأنت على كل الامور قدير (٣)

وكيف يكون المعز على كل شيء قديرا ما لم يكن مثل العقل الكلى ، وشبيه بالبيت السابق الأبيات :

لك همة ما همها | الا الى الأمر الجسيم
فلو ارتقيت إلى النجو | م لنلت ما فوق النجوم
وكذاك لو تهوى التخو | م لنلت ما تحت التخوم (٤)

وهذه قدرة مثل القادر التى لا يعجزها شيء فى السماء ولا فى الأرض :

وقال تميم يمدح اخاه :

دانت له الارض والعباد معا والوحش فى وعرها وصحرائها (٥)

وقال :

لرجعك حتى السحم فى قنن الربا وخافك حتى الانجم السبعة الشهب (٦)

وقال :

تميم وتراه الطير فى صدى صيدها ويشدو بها غير الحمام المطوق (٧)

فما هذا الكائن الذى تخضع له الارض والاجرام السماوية ، وتدين له العباد ووحوش الوعور والصحارى ، وترتزق به الطير . انه لن يكون غير مثل العقل الكلى الذى خاطب السموات والارض فقالتا أتينا طائعين ، والذى ما من دابة الا عليه رزقها .

ولتميم أشعار أخرى عقدية قالها فى المعز . (٨)

---

١ – ديوان تميم ص ٣٥٥ ٢ – نفس المصدر ص ١٨١ ٣ – نفس المصدر ص ١٤٤
٤ – نفسه ٢٩٠ ٥ – نفسه ص ٣٨ ٦ – نفسه ص ٦٤ ٧ – نفسه ص ٢٩١
٨ – الدكتور كامل حسين – أدب مصر الفاطمية ص ١٤٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــل الثاني

– ١ –

الجانب غير المزني من شعر تميم

لاحظ أحد المؤلفين أن طريقة تميم في المدح لم ترق داعي الدعاة الذي عاش في القرن الخامس ، فاختار قصيدة لشاعرنا مطلعها :

أسربه مها من أم سرب جنـة حكمتهن ولسان هنـه (١)

وعارضها بقصيدته التي مطلعها :

هلال بدا من خلال الدجنة إمام زمان من النار جنه

ثم غمزه الداعي بهذه الأبيات :

بينت نحلك مني اللســان إذا نعت الغير تزيد وجنه

وغير مديحك لبدو الحديث ومدحك دين وفضل وفطنـه

فخذها جوابا لتجيل المسر (أسربمها عن أم سرب جنه)

ذهب المؤلف إلى ذلك في سياق حديثه عن قلة ما جاء في مدح تميم من المعاني الإسماعيلية ، وكثرة ما جاء فيه من المعاني المتداولة في الشعر العربي . ونحن نقبل أن الداعي قد أخذ على تميم عدم إغراقه في المعاني الإسماعيلية في المدح ، ونضيف أن الداعي كان يعرف ديوان تميم خير المعرفة ؛ وأنه قد ضاق بذهاب معظم ما جاء فيه في فنون غير المديح ، لا تتصل بالعقيدة الفاطمية ، كما ضاق بجرأة الشاعر في مدح أخيه ، تلك الجرأة التي تتمثل في افتتاح بعض المدائح بالتغني بالخمر والجنس والفخر المدوي ، مع أن المدح موجه الى ذلك الكائن الذي يقدسه داعي الدعاة ! والقصيدة التي جاريها الداعي بدايتها غزل متقل انتقالا عجيبا بنونات النسوة . وربما كان ذلك الحشد الكبير من النونات ، الى جانب وصف السرب النسائي الشيطاني وحديث الخمر التي تديرها الساقيات المثيرات ، مصدرا من مصادر ضيق الشاعر

---

١ – ديوان تميم ص ٤٤٠

٢ – الدكتور محمد كامل حسين – في أدب مصر الفاطمية ص ١٦٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إليناخر بقصيدة تميم ، واختيارها هي دون غيرها للتنديد باتجاه صاحبها (١) النصري • وإذا كان ابن هانيء قد تحدث عن الخمر في مديح المعز ، وأبو الرقعمق قد تبذل في مديح المعز (٢) ، فليس تميم كهذين ، لأنه من السلالة الطاهرة •

شعر الخمر

كان تميم شاعرا ماجنا ، منكود الطالع • وكان أصحابه من المعربدين • وكانت مصر في أيامه زاخرة بالحانات — كما رأينا — وحديث الشابشتي عن أديرة مصر يدل على أن تميما قد عاش في بيئة كتلك التي عاش فيها أبو نواس • وقد دفع كل ذلك تميما إلى السكر دفعا • وظهر صدى هذا الواقع في شعره قطعا خمرية مستقلة أو لاحقة ببعض الفنون كالمديح •

يشرب تميم النبيذ والخمور ، ولا يحب شيئا كما يحب الخمر المعتق التي طال عليها الأمد حتى لم يكد يبقى منها شيئا :

لها روح وليس لها (٣) ... كما للروح جثمان

وهي التي :

يحلف من يشربها بالمصحف ... بأنها لو لم تذق لم تعرف (٤)

ولا يعجب شاعرنا بالخمر التي يعجل الخمار انضاجها بالنار ، لأنها دون تلك التي أنضجها الزمان الطويل ، فيقول عن نديمه الذي أرسله ليشتري له الخمر من الخمار :

فسأله هل طبخت بنار ... فقال : لا ، والطرح الكبار (٥)

أولا فاني قاطع الزنار ... ما عذبت بالنار والأوار

ولا عليها قدما عصار

ويريد تميم بالشطر الأخير أن عاصر الكرم لم يستخدم قدمه في عصر العنب اكراما للخمر •

---

١ — انظر القصيدة في تبيين المعاني في ديوان ابن هانيء ص ٤٢٩

٢ — الثعالبي — اليتيمة ج ١ ص ٢٤١   ٣ — ديوان تميم ص ٤٣١

٤ — المصدر السابق ص ٢٧٧   ٥ — المصدر السابق ص ١٧٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتميم مستعد أن يدفع في الخمر الكريمة ثمنا باهظا :

وقلم محتثا الى الخمـــار وابتاع منـــه الراح باختصـــار

بلا مماراة ولا اكتئـــار بمثلها وزنا من النضـــار (١)

محتسبا بعد مـــدى التجـــار

وقد تكون الخمر التي يشربها بمهدة الدار كما جاء في السطر الاخير (٢)، فتكون فارسية أو عراقية مجلوبة من الكرخ (٣) أو بابل ، تستحق أن توزن بالذهب ويكون لونها أصفر حينا وأحمر حينا آخر • وربما شربها خالصة (٤):

نشربها كرخيـــة الأنبـــاء صفراء لا نقهرها بمـــاء

وربما شربها ممزوجة :

ثم الى الراح دشـــب بالماء منهـــا ما صلـــب (٥)

وعند ما يمزج الساقي الخمر (٦) تعلو الكأس فقاقيع تشبه الحب ، أو اللـــؤلؤ ، أو الدر ، أو أعين الجراد ••• وعند ما تمتلئ الكأس يكون منظرها عجبا ، فهي تشبه فضة تستوعب ذهبا ، أو ياقوتا داخل برد ، أو عسجدا في در ، أو جلنارا مع ياسمين ، أو ثلجا ونارا (٧) •••• ويريد تميم بمثل هذه الصور أن يبهنـــا المبانية بين لوني الوعاء والشراب • وربما استحالت الكأس نارا خالصـــة فـــي خيال تميم :

وساق يدير عــلى القـــوم لهيبا من النار في كفـــه (٨)

وإذا كان الامر كذلك حق له أن يخشى على يد ساقيه ، فيصيح بالندم (٩) :

لا تترك القدح المملوء في يده اني أخاف عليه من تلهبه

والخمر مضيئة في شعر تميم ، فهي نور ، أو شهاب ، أو سراج ، أو برق ، أو شمس (١٠) ••• ورائحتها طيبة تشبه رائحة العنبر ، أو المسك أو الخلوق ، أو الورد ،

---

١ — ديوان تميم ص ١٧٧ ٢ — نفس المصدر ص ٥٥ ، ٦٢ ، ٣٢٢

٣ — المصدر السابق ، الصفراء ص ١٦ ، ٧٩ ، ١٨٣ •• حمراء ص ٣٢ ، ٦٢ ، ٨٢

٤ — المصدر السابق ص ١٦ وكذلك ص ٧٢ ، ٨٩ ، ١٦٩ ، ٣٨٢ ، ٤٣١

٥ — المصدر السابق ص ٧٣ وأيضا ص ١٦ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٣ ، ١٦٨ ، ٢٧٩

٦ — المصدر السابق ص ٤٥ ، ٣٨٢ ، ١٦٤ ، ٣٨١ تباعا •

٧ — المصدر السابق ص ٦٨ ، ١٨٨ ، ٤٢٩ ، ٤٤٦ ، ١٦٩ تباعا

٨ — المصدر السابق ص ٢٧٦ ٩ — المصدر السابق ص ٧١

١٠ — المصدر السابق ص ٣٢ ، ٩٢ ، ٨٧ ، ٢٤٦ ، ٦٢ تباعا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو الزعفران ، أو رائحة الحسان ...(١)

قال تميم يصف الكأس :

ينظم فيها ماؤها لؤلؤا　　كأنه نظم ثغور الحسان
كأنما الكأس بها تلجة　　يكيل ساقيها بها زعفران
أو درة صيغت على عسجد　　أو عسجد قد ذاب في اقحوان (٢)

ويسقي تميم ساق قد يشبه الفتاة أحيانا ، أو ساقية هيفاء ، أو غلامية ، وربما كانت مزنرة . وكلا الجنسين جميل أهيف ، قال :

يسعى بها مخطف الحشا　　أحور رطب اللفظ والاعضاء
يفهم بالحظ وبالايماء　　فهو منى مقلة كل رائي (٣)

أما ندامى تميم فهم صفوة الندامى ، يذكر أنهم أهل علم وأدب وفهم ، عذاب الحديث ، وأحاديثهم كلها تحف ، لا يعبون ولا يتناولون أطراف الكلام الردئ ، ومن أخلاقهم الموافقة ، وسرعة الاجابة ، والصبر ، والعفو عن السقطة وعدم الغدر ، والهزل في الوقت المناسب (٤) . يقول تميم في أحدهم :

ولي صاحب لا يمرض الجهل عقله　　ولا تتأذى النفس منه ولا القلب
اذا قلت لا في قصة لم يقل : بلى　　وان قلت د اصحو اصحو قال: لابد أن اصحو
وان قلت : هاك الكأس قال مبادرا　　ألا هاتها ، طاب التنادم والشرب
سميح اذا لبى ، صبور اذا دعا　　يهون عليه في رضا خله الصعب (٥)

ويتحدث تميم عن طريقة منادمته هو فيقول :

فخذا ولا تعتبها تشربي　　فيرى المحب عليها الملوم
لأني بحر ارتياحي المدام　　ويرضى خلائقي عليها النديم (٦)

واذا بدرت من أحد ندمائه كلمة جارحة لم يرد عليها بلسانه أو بيده وهو الأمير المهيب ، بل أنه يخفض للنديم جناحه ، ويبالغ في اكرامه :

فاسقني يا نديم واشرب بكاسي　　واقسم اللهو بيننا والنعيما
لا شربت المدام أن لم أعظم　　فوق تمشي على المدام النديما (٧)

---

١ - ديوان تميم ص ٥٣ ، ٣٠٠ ، ٤٣٩ ، ٤٤١ تباعا
٢ - المصدر السابق ص ٢٣ ، ٤٦ ، ٤١٠ ، ١٦٥ تباعا
٣ - المصدر السابق ص ١٦　　٤ - المصدر السابق ص ٤٤٢ ، ١٧٧ ،
٥ - المصدر السابق ص ٤٤　　٢٣٠ ، ٢٧٧ ، ٢٨٩ ، ٣٠٢ ، ٣٨٠ ، ٣٨٥ ،
٦ - المصدر السابق ص ٢٧٩　　٧ - المصدر السابق ص ٢٨٦　　٣٨٤ ، ٣٨٩ ، ٣٩٦ ، ٤١٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى أن النديم مما يزيد الشراب متعة :

قد يزيد المدام للشرب طيبا   حسن مسموعه وطيب نديمه (١)

لكنه مع ذلك يشرب وحده :

فإن لم يكن منكما مسعد   فإني بإسعاد نفسي زعيم (٢)

والوحدة خير من نديم السوء :

حق على الكأس وحدي انني   ممن غدا ولها عليه ذمام
ودع اللئيم لشأنه ولجنسه   ان المدام على اللئام حرام (٣)

وكان تميم يشرب في الحانات الكثيرة المحيطة به ، أو يشرب في الأديرة المنتشرة في البيئة المصرية ، وخصوصا دير القصير (٤) . يقول :

قصرت على دير القصير مجونى   ورحت وما لي فيه غير مصون
وكانت به للراح عندي وللصبا   ديون فلم أمطل قضاء ديوني
اذا بكر الناقوس باكرت شربها   وخالفت أديان النواقس ديني
ورحت صريعا بين كأس مدامة   وترجيع أوتار ولحظ عيون
ولم تبق اللذات شطر مروءتي   ولا أفسدت فيه الذنوب يقيني (٥)

ويدعو تميم لهذا الدير بالسقيا فيقول :

رب سق دير القصير فإني   بلغت لذاته وطيب نسيمه (٦)

وقد يجد من هذا الدير كثيرا في شعره (٧) . وذكر دير مرحنا مرة :

وكان الشاعر يحب الشرب في النهار حيث يضوع الشذا ، وتشدو الأطيار وذكر النهار في حديثه شيء أمر عادي . وكان يميل الى الشرب في منازه المختار في الروضة (٨) فاعتاد أن يذهب اليها . ولهج بها مرارا في شعره من ذلك قوله :

---

١ - ديوان تميم ص٣٩٦
٢ - نفس المصدر ص٣٨٠
٣ - نفس المصدر ص٣٨٠
٤ - المصدر السابق ص ٤٥ ، ٢٣٠ ، ٢٤١ ، و٢٤٨ ، ٣٠٥ ، ٣٤٣ ، ٣٧٢ ، ٤٤٣
٥ - المصدر السابق ص٤٤٣
٦ - المصدر السابق ص٣٩٦
٧ - المصدر السابق ص١٣٧
٨ - المصدر السابق ص٨٣ ، ١٦٤ ، ١٧٣ ، ١٩٣ ، ٢١٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حبذا طيب يومنا المطــــور ... بغناء المختار ماء السـرور
حين تجلى اللذات سرا وجهرا ... بشقيق الندى أبى المنصـور
أشرق الأفق بالمزهرة لمــــا ... زارها ، فهى بين عز وسـرور
ملك آمر ولكنــــه محســن ... فضله فى خلائق المأمـــور
ما ترى الروض كيف أبدى نسيما ... زاد فى طيبه على الكافــور
وطيور الأشجار كيف تغنـــت ... بين تغريدها وبين الصفير !
يعترين مثن نفوس فكالـــى ... ويجاوبن صوت مثنى وزيـر
من قيان كأنهن غصـــون ... ناعمات يمثن تحت بـــدور
كل مخطوطة الحشا ، تضم الشو ... ق بلحظ عذب وطرف سحور
تدع الفكر ، والهنا ، اللهو والنعم ... طربا تحت بندو المشهـور
وأدرها مدامة جند بهـــا ... مثلا للكبير بعد الصغير
لا أرتك الأيام بؤسا ولا زلـ ... ـت عزيز الجناب صافى الضمير (١)

وبهذا النص نعلم أن تميما يشرب حيث تصدح الموسيقى ، ويعلو الغناء . والحديث عن الموسيقى والغناء مما لا يكاد يهمل تميم بكره فى شعره الخمرى وربما شرب على صفحة النيل (٢) .

ولا يشرب تميم فى وقت دون آخر ، بل يشرب فى الليل والنهار ، وربمـا واصل كما قال :

كم صبوح وصلته بغبــوق ... وظلام وصلته بنهـــار (٣)

وليت الامر وقف عند هذا الحد ، فانه يزعم أنه قد يذهب الى الحانة فتطيب له الحال فيقيم طويلا (٤) :

ولم نزل فى بيت خمارهــا ... نشربها شهرا ومشتـــاة (٦)

ولكنه يفضل الصبوح على الغبوق ، أى أنه يفضل الشرب الذى يبدأ فى الصباح الباكر كما قال :

---

١ ــ ديوان تميم ص ١٦٢ .
٢ ــ المصدر السابق ص ٣٢٥
٣ ــ المصدر السابق ص ٣٠٢ وكذلك ص ٣٠٥
٤ ــ المصدر السابق ص ٢٢٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن الصبوح هو السرور بأسره وهو اللذاذة والنعيم الكامل
لا شيء أحسن حين ينحسر الدجى ويلوح للآل النهار الشامل
من أن تباكر بالندامى قهوة صفراء مما عتقتها بابل
خير النهار شبابه فاربع على الـ لذات فيه انهن رواحل (1)

وعندما يشرب تميم تخور قدمه ، ويثقل عليه الكلام . فان نطق تلعثم :
تقتص من أقدامنا ثأرها وتعقد اللفظ وتلوى اللسان (2)

ومعنى الشطر الأول أنه كلما كان الناس يستعملون أقدامهم في عصر العنب (3)
فان الخمر لا تنسى هذا الوطء ، فتنتقم لنفسها بأن تخدر أقدامهم حين يشربون .
وقد تخدر العقل ، فتصحو الأوهام على الأذهان ، وتساور السكارى أشتات الخيالات
ويحدثنا تميم عن هذه الحالة :

تعيد الصعب بالنشوات سهلا وتغنى بالمنى الرجل الفقيرا
وتكبر نفس شاربها ارتياحا فيحسب أنه أضحى أميرا (4)

ولا يقنع تميم بما تكفل له الخمر من لذة وراحة ، وبما يصاحبها من ألحان
وأنغام وورد ، فيضم إليها المتعة الجنسية (5) ، إذ يمزج الخمر بالرضاب ، ويجعل
نقله تفاح الخدود ، وريحانه ورد الوجنات (6) . ويشتط فيفعل أكثر من ذلك مع
النساء والغلمان (7) . ويحدثنا بوقاحة أنه قد يهوى انسانا فلا يقدر عليه ، فيحتال
عليه بالخمر حتى يسكر :

فكم حيلة لي في الغانيا ت تعيي من الناس محتالها
إذا غادة منعت نيلها ببخل ولم تخش تبخالها
صرفت إليها عنان المدام وعل الكؤوس وانهالها
فذلت وقد عز منها المرام وما كنت آمل اذلالها (8)

ويشرب تميم لأنه يؤمن باللذة في هذه الحياة . وقد تجلى ايمانه هذا
في خروجه على التقاليد . وكانت الخمر من مظاهر ذلك الخروج . ويعبر تميم عن

---

١ ـ ديوان تميم ص ٣٢٢ ٢ ـ المصدر السابق ص ٤٣٩
٣ ـ انظر حاشية المصدر السابق نفس الصفحة ٤ ـ المصدر السابق ١٨٦
٥ ـ المصدر السابق ص ٩٩ ، ١٧٣ ، ١٨٣ ٦ ـ المصدر السابق ص ٩٨ ، ٤٣١
٧ ـ المصدر السابق ص ١٧٣ ، ١٨٣ ٨ ـ المصدر السابق ص ٢١٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا الايمان بقوله :

انما الصبح بلوغ السؤل ممـا تشتهيه
ومدام تصطفيها ونديم ترتضيه
ورخيم صاحر المقـلة مصدوم التشبيه
جمع التفاح والـورا ح بخديه وفيه
نزق عن عاذليـه صلف في عاشقيه (١)

وكان يقوى مبدأ اللذة في نفس الشاعر أمور :

الأول : حبه الشديد للحياة الذى يعبر عنه بطرق شتى كان يقول لمن يخاطبه انه يود لو وهبه شيئا من عمره (٢) .

الثاني : احساسه بخطر الزمن ، ويتمثل هذا الاحساس في قوله الذى سبق أن رأيناه :

خير النهار شبابه فاربع على الـلذات فيه انهن رواحل (٣)

وقوله في مقدمة حديثه عن الشرب :

وما هو الا شباب منزول وعمر يسير ودهر قصير (٤)
وكل امرئ مشتار الحياة ولابد أن يقتضيها المصير

وقوله في ختام شعره الخمري :

فما آسى من الحدثان الا على عمر منحناه قصيرا (٥)

ولا يجد أوفق من أن يقتل الدهر لذة كما قال في خمرية :

لم تبن الذهر فاني امرؤ آليت بالنشوة أن أفنيه (٦)

الأمر الثالث : رغبته في الهرب من الواقع ليتخلص مما فيه من هموم . وكان واقع الشاعر مشوبا بما يحمله على أن يهرب . ومن شعره الذى من هذا القبيل قوله :

لا تثق بالدهر ذرعا واقتل الدهر جهارا
بمدام تقتل الهم غبوقا وابتكارا

---

١ ـ ديوان تميم ص ٤٩٢
٢ ـ المصدر السابق ص ٤١٣٤ ، ٤٦٤ ، ٢٨٧
٣ ـ المصدر السابق ص ٣٢٢
٤ ـ المصدر السابق ص ٢١٢
٥ ـ المصدر السابق ص ١٦٨
٦ ـ المصدر السابق ص ٤٤٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ودع الدهروان خـــان مثيرا مــا أثارا
انه أسفل مـــن أن تقتنى منه حذارا
لم تجد ما تغى الســـله من الأمر قرارا
فاسقنى صرفا وغـــن (دار بالخمر الخمارا)(١)

ولهجة تميم فى الحديث عن اللذة عموما لهجة جهيئة ، وربما تتسم منهمـا القارئ رائحـة الالحاد ، كما فى قوله :

أنعم من الشهاب بما تشتهيــه واطرب ودع من لام أو فنــدا
واغتنم اللذات مستمتعــــا ولا تبع يومك تهنى غــدا(٢)

ويبدو أن الشاعر مقلد فى البيتين السابقين ، لأن القارئ سيجـده فى مواضع شتى ماضيـا يطمع فى المغفرة :

أديراها على ولا تخافـــا الهنا فى ادارتها غفـــورا(٣)

وعند ما يتحدث تميم عـن الخمر يستعمل أسلوبين :

الأول ، هو الحديث المباشر وهو أن يصف الشاعـر الخمر وملابساتها وهذا ينطلق هو به ، ولا يجــريه على لسان سـواه ، ولا يكون فيه قص •

الأسلوب الثاني هو الأسلوب غير المباشر ، وهو أن يحكى لنا حكاية كهذه :

ولى صاحب لا يعرف الثقل جهله ولا تتأذى النفس منه ولا القلـب
اذا قلت : لا فى قصة لم يقل : بلى وان قلت : أصبر قال : لابد أن أصبر
وان قلت : هات الكأس قال مبادرا : ألا هاتها طاب التنادم والشـــرب
سميح اذا لبى ، صبور اذا دعـا يهون عليه فى رضا خله الصعب
غدوتنه يوما الى بيت حـــانة وللغيم دمع ما يكف له سكـــب
وقد نفحت ريح الصبا بمنافـــس عبيرة الانفاس طاب لها الشرب
فأمض بنا الادلاج بعد تعسف الى زولة شمطاء منزلها رحـــب
مزنرة أما أبوهـــا فقيصــــر وحسبك ملك جده قيصر حســب
قصيبة دينية هرقليـــــــــة تقاصر منها الخطو واحدودب الصلب
وقالت لنا : أهلا وسهلا ومرحبـا وقل لكم منى البشاشة والرحـــب
من أنتم • فقلنا : عصبة من بنى الصبا دعاهم اليك القصف والعزف واللعب
فقالت على اسم الله حطوا رحالكم فعندى الفتاة الرؤد والأمرد الرطب

١ – ديوان تميم ص ١٥٢
٢ – نفس المصدر ص ١٢٨
٣ – نفس المصدر ص ١٦٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وراح لقى أقذائها طول عمرها ... فجاءت كما يذري مدامعه الصب

أرق اذا رقرقتها في زجاجة ... والطف من نفس تداولها الحب

كأن سراجا في ترائب دنها ... اذا أقبلت من ليلة الدن تصب

فقلنا لها [illegible] ... ولا [illegible]

فجاءت تجر الزق نحوي كأنه ... على الأرض زنجي بلا هامة يحبو

فلما مزجناها بدا فوق رأسها ... حباب كما ينساب من سلكه الحب

وطافت بها هيفاء مخطفة الحشا ... معاطفها سلم والحاظها حرب

تمايل ردفاها وأدمج خصرها ... لها نا ولطفا مثل ما تدرج الكتب

شكا كشحها الزنار مما يجيعه ... وضاق بها الخلخال وامتلأ القلب

أغار على أعطافها كلما انثنت ... مع الكأس أو ندى ملاحتها الشرب

أحلت لي الصهباء تقبيل وجهها ... وما كان قبل السكر في لثمه عتب

كأني وقد أضجعتها وعلوتها ... من الشكل رفع تحت ضمته نصب

وما فيه .... بجنابة ... سوى قولها ان المسيح لها رب

فلما أفاقتني باطنها كلها ... ذهبت عن الإسلام اذ أمكن الذنب

وضرجت .... تفرد له البيض المهندة القضب

وقلت لها : أرواحنا علوية ... تقد نفوس الروس ان طمعت حرب

فما برحت حتى أنابت وأسلمت ... فهل لي في ذلك بها عند ذا ذنب !

أبا حسن هاك المدامة واسقني ... فقد شاب رأس الشرق واحلولك الغرب

كأن الثريا في ملاءة فجرها ... مصابيح الا أنها قد بدت تخبو

سلام على دير القصير ومرجها ... به ؛ فله على التخصص والقرب

فكم لذة فيه قضيت ؛ وخلة ... شفيت ؛ ولا واش علينا ولا شغب

منازل بستان الصبا في عراصها ... ويعذب فيها ماؤه ديمتها العذب (1)

وهذه القصيدة تحكي لنا سعي تميم تحت جنح الظلام الى الخمارة ؛ وشربه وفسوقه ولهما حوار طريف بين الساعين وبين صاحبة الحانة • وعند شاعرنا أكثر من حكاية ؛ وان كانت المذكورة من أشدها تعقيدا (2) •

---

1 - ديوان تميم ص ٤٤

2 - المصدر السابق ص ٢٢ ، ١٧٧

شعر تيم الخمري والشعر العربي :

تحدثنا عن صفات الخمر عند تيم ، وصفات مكانها وزمانها ، وصفات السقاة والندامى ، وما تصنع الخمر بالشاربين وما يحدث هو في سكره ، وعرفنا لماذا يشرب . ولا جديد فيما قال ، فالخمر المعتدلة مما كان يؤثره الشعراء العرب (١) وقد دخلوا مثله بخلاء الخمر . (٢) ويذكر ابن المعتز أن من أصناف الخمر الأحمر والأصفر (٣) ، وأن العرب يشبهون الشراب الأصفر بضوء الكوكب ، وصفرة الذهب وتضرم اللهب . (٤) أما الشراب الأبيض فيشبهونه بالأذوار وضياء النهار . (٥) وقد رأينا هذه التشبيهات الألفة في شعر تيم وان لم يذكر الشراب الأبيض . ويروى ابن المعتز شعرا شبهت فيه رائحة الخمر بالمسك واللادن والزعفران والقرنفل والريحان والتفاح ورائحة النساء أيضا (٦) . وهكذا تفنن الشعراء والسابقون لتيم في تشبيه رائحة الخمر كما تفنن .

وذكر الساقية والساقي في الشعر العربي منذ البداية . وقد عرف العصر العباسي الغلامية (٧) ، ولها ذكر في شعر أبي نواس (٨) . أما النديم فمن لوازم الشرب ويرى كشاجم أن على النديم أن يتحلى بالتواضع والشرف ، والوقار والعفة ، والنسك والشره ، والعبث والمزاح والعلم بالغناء والشعر والطبخ (٩) ، ويطيل التعرض لما ينبغي أن تكون عليه آداب النديم (١٠) . واذا استثنينا العلم بالطبخ الذى اشترطه الشاعر الطباخ وجدنا نداماه تميم كما شاء كشاجم . وفي شعر أبي نواس الكثير من آداب المنادمة (١١) .

وكان الشعراء القدامى يشربون في الخمارات والأديرة . وقد ذكر الأخطل الشرب في الرياض (١٢) . وذكر الرياض في خمريات أبي نواس كثير . ويحدثنا السري الرفاء عن شربه في المواضع في مواضع شتى من ديوانه كشربه في شربه على صفحة النيل .

---

١ — ابن المعتز — فصول التماثيل ص ٢٥

٢ — الدكتور جميل سعيد — تطور الخمريات في الشعر العربي ص ٣٨

٣ — راجع فصول التماثيل

٤ — المصدر السابق ص ٣٠

٥ — المصدر السابق ص ٣٧

٦ — المصدر السابق ص ١٧ — ١٩

٧ — ديوان أبي نواس ص ٦

٨ — كشاجم — أدب النديم ص ٣ — ٧

٩ — المصدر السابق ص ٧ — ١٢

١٠ — المصدر السابق ص ٢٢ — ٢٧

١١ — انظر الباب التاسع من ديوان أبي نواس رواية حمزة بن الحسن الأصفهاني

١٢ — ديوان الأخطل ص ١٦٢ ومادة أرض في اللسان .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما الغناء ساعة الشرب فعادة عرفها الجاهليون والمسلمون • ولا أدل على ارتباط الخمر بالغناء من اقترانهما في الفقه تحريما وتحليلا (١) ، فقد حللا تارة وحرما تارة ، وحلل أحدهما دون الآخر تارة أخرى • وليس الغناء على الشرب وذكر ذلك في الشعر وقفا على العرب ، فلدينا شعر فرعوني فيه جمع بين الغناء والخمر (٢) •

ويقول آدم متز " وكان الندماء يفضلون الشراب في الليل ، أو عند طلوع الفجر الأول ••• على أنه في عصر ابن المعتز نفسه بدأ الناس يتحرجون من الشراب في هذا الوقت الغريب • وابن المعتز يعده أحيانا يهدم الملائمة (٣) " وحقا ما ذكره الكاتب الغربي ، فلابن المعتز أرجوزة يذم فيها الصبوح (٤) •

ولكن مهما كان ممن يؤثرون الصبوح ، بل لقد عارض الشريف العقيلي أرجوزة ابن المعتز بأرجوزة له (٥) • أما الشرب في يوم الدجن فتقليد جرى عليه الشعراء ، وذكروه في شعرهم (٦) ، وكذلك أوهام السكر ، وخدر الخمر ، والجمع بين لذة الخمر والجنس ، وها هو ابن المعتز يقول (٧) :

شربت ولي بدي قدح ••• فأكثر نقلنا القبل

فالشاعر العباسي يحتفل بالاقبال على الشراب كغيره • والعكوف على الخمر اغتناما للذة أو فرارا من الهم منحى انساني عبر عنه شعراء العرب وغيرهم (٨) •

---

١ – ابن المعتز – فصول التماثيل ص ٦١ ٢ – سليم حسن – أدب الفراعنة جـ١ ص ٢١
٣ – آدم متز – الحضارة الإسلامية جـ١ ص ٤٢٨
٤ – ديوان ابن المعتز جـ ٢ ص ١١٠ ، أشعار أولاد الخلفاء للصولي ص ٢٠١
٥ – ديوان الشريف العقيلي ص ٣٠١
٦ – انظر الباب العاشر من كتاب الكامل للمبرد
٧ – ابن المعتز – فصول التماثيل ص ٨٠
٨ – جميل سعيد – تطور الخمريات ص ٢٤٧ ، شعر الرعاة ترجمة الدكتور محمد صقر خفاجة ص ٥٥ ، رباعيات الخيام •

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تميم وأبو نواس :

أبو نواس هو أمير الشعر الخمري في الأدب العربي . وقد تأثر بـه هذا الفن تأثرا قويا ، وقلده فيه كثير من الشعراء . وتتمثل آثاره في تميم فيما يلي :

أولا – استعار تميم كثيرا من معانيه . وزعم أبو الفرج في الفصل الذي عقده على الوليد بن يزيد[1] أن معاني أبي نواس مسروقة من الوليد بن يزيد . ومن المسائل المعروفة أن كثيرا من الخمريات في ديوان أبي نواس ليست له ، وإنما أظافها اليه الرواة[2] . وسرقة أبي نواس المزعومة ، واختلاط شعره بأشعار غيره يجعلان الحديث من المعاني التي أخذها تميم من أبي نواس يبدو واهي الأساس . ولكن العجيب أن ابن المعتز في " فصول التماثيل " كثير الاستشهاد بشعر أبي نواس . وكان ابن المعتز أسبق من أبي الفرج ، وكان شعر الوليد بين يديه ، فلو كان الشاعر العباسي كما صوره أبو الفرج لما أجله ابن المعتز ذلك الاجلال ، ولما اعتمد على شعره كما اعتمد . والظاهر أن أبا نواس كان يأخذ جزئيات من شعر الوليد وأبي الهندي وغيرهما ثم يدمجها في خمرياته ، فتبدو قصائده كلا متميزا ، تشع الجزئيات المستعارة فيه اشعاعات مخالفة لاشعاعاتها في أصولها الأولى . ومن القواعد المذهبية في علم النفس أن الجزء في كل غيره في كل آخر . ولا يمكن – مع ذلك – اهمال ما ساقه أبو الفرج ، وما وقع في شعر أبي نواس من الاختلاط عند مناقشة أخذ تميم بعض معانيه والأحوط أن يعرض للمعاني اللافتة مما اشترك فيه الاثنان .

قال تميم يتحدث عن قدم الخمر :

صفراء في الكأس علوية ... مخلوقة من قبل خلق الزمان[3]

يريد أن خمرة كانت قبل كون الزمان . وكان الزمان لما تحركت الافلاك . ويعبر أبو نواس عن هذا المعنى تعبيرا أصدق بالفلسفة فيقول :[4]

تخيرت والنجوم وقف ... لم يتمكن بها المدار

---

١ – أبو الفرج – الأغاني جـ٧ ص٣٠ ٢ – ديوان تميم ص ٤٣٩

٣ – مقدمة ديوان أبي نواس رواية حمزة الاصفهاني ٤ – ديوان أبي نواس ص٢٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولى شعر تميم أن الخمر استحالت روحا خالصة ، وأنها لا تدركهـــا العين . ويعبر أبو نواس عن هذا المعنى بقوله :

جاءتك بخاتمها من عند خمار ‌ روح من الكرم فى جسم من النار (١)

وبقوله :

دق معنى الخمـــر حتى ‌ هو فى رجم الظنـــون
كلما حاولهـــا النـــا ‌ ظر من طـــرف الجفـــون (٢)
رجع الطرف حســـيرا ‌ عن خيال الزرجــــون
لم تكن فى الوهــــم الا ‌ كذبت عـــين اليقـــين (٣)
فمتى تدرك مـــــالا ‌ يتحـــرى بالعيـــون

وحدثنا تميم عن الخمر التى أنضجها الزمن ، ولم تعذبها النار ، وهـــذا حديثه أبى نواس :

لما أتونى بكأس من شرابهم ‌ يدعى الطلاء صليها غير خوار
أظهرت نسكا وقلت : الخمر أشبهها ‌ والله يعلم أن الخمر اضمارى
آلى زعيمهم بالنار قد طبخت ‌ بعهد مدحتها بالشين والعـــار
فقلت : من ذا الذى بالنار عذبها ‌ لا خفف الله عنه كية النــــار (٤)

تصور هذه القطعة أبا نواس وقد وفد على قوم ، فقدموا له كأسا من الخمـــر الرديئة . فتظاهر بالتدين ، واستنكر أن يشرب الخمر . ولكن يزين زعـــيم القوم الفنى الخمر لأبى نواس أقسم انها مطهرة بالنار . فأشفق أبو نواس على الخمر ، وخص نفسه بالدعاء عـــلى من عذبها ألا يخفف الله عنــــه عذاب النار . وإذا كانت الخمرة مضيئة قبل أبى نواس فان ضوءها فى شعـــره لا مثيل له . وهو لا يكتفى بتشبيهها بالسراج والمصباح والقمر والشمـــس والنجوم ، وانما يغلو حتى يقول :

فسلك فى البيت اذ مزجت ‌ مثل فصل الصبح فى الظلم (٥)
فاهتدى سارى الظلام بهـــا ‌ كاهتداء السفر بالعلـــم

---

١ — ديوان أبى نواس ص ٤٧
٢ — كلمة الزرجون معناها الخمر كما فى هامش ديوان أبى نواس
٣ — المصدر السابق ص ٨٦ ‌ ٤ — المصدر السابق ص ١٠٨
٥ — المصدر السابق ص ٤١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحق تنسب اليه هذه الأبيات :

وسيارة ضلت عن القصد بعد ما ترادفهم أفق من الليل مظلم
فأصغوا الى صوت ونحن عصابة وفينا فتى من سكره يترنم
فلاحت لهم منا على النأي قهوة كأن سناها ضوء نار تضرم
اذا ما حسوناها أقاموا مكانهم وان مزجت حثوا الركاب وهموا (١)

وسقاة تميم وندماه أمثال سقاة أبي نواس وندماه . وسبق أن رأينا شاعرنا يشرب وحده أحيانا لعدم ظفره بالنديم الملائم ، وتلك عادة أبي نواس اذ يروي له كشاجم هذين البيتين :

خلوت بالراح أناجيها آخذ منه وأعاطيها
نادمتها اذ لم أجد مسعدا أرضاه أن يشركني فيها (٢)

ويعلق المؤلف على البيتين بأن أبا نواس منفرد مضطرا (٣) .

وتجاسر تميم فطمع نفسه بدعواه أنه ينتهز سكر الحبيب العصي فينال منه ما يريد (٤) . وهذه خدعة أبي نواس التي طالما جاهر بها .

ثانيا — استعار تميم من أبي نواس بعض التقاليد التي اشتهر بها . ومما استعاره منه الهجوم على بكاء الديار والسخرية من ماضي العرب . وكان أبو نواس — اذ يفعل ذلك — مدفوعا بالعصبية . واستظرف الشعراء بعده اتجاهه هذا فقلده بعضهم كابن المعتز وابن وكيع . وقال تميم مرة بعد أن سرد وقائع الشرب :

فهذه وقائع الأخيار لا وقعة الحشاك والقرنار (٥)

فهو يسخر في شعره الخمري من أيام العرب كما سخر منهم أبو نواس وابن المعتز وابن وكيع (٦) . ولكن تميما وابن المعتز وابن وكيع حينما كانوا يقلدون أبا نواس كان تقليدهم تظرفا لا عصبية .

وتقليد ثان تابع فيه تميم أبا نواس هو تضمين الأغنية . فان أبا نواس لم يكن يكتفي بذكر الغناء ، فكان يضمن شعره الأغنيات . ويقف أحد المؤلفين

---

١ — ديوان أبي نواس ص ٤٥ ٣ — كشاجم — أدب النديم ص ٧
٢ — كشاجم — أدب النديم ص ٦ وانظر ديوان أبي نواس ص ١١٤
٤ — ديوان أبي نواس ص ٤ ، ١٢ ، ١٩١ ، ٢٧٦ ٥ — ديوان تميم ص ١٧٨
٦ — ديوان ابن المعتز ج ٢ ص ٤٩ وديوان ابن وكيع ص ٦٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عند هذه التضمينات فيقول " وسابقو أبي نواس في وصف الخمر لا يغفلون الغناء فيه وكونه عنصرا لازما من عناصره . ولكن أبا نواس لا يكتفي بذلك ، وانما يضمن الشعر الاغنية نفسها ، وذلك كثير جدا في شعره (١) . والواقع أن أبا نواس مسبوق في ذلك وليس سابقا ، ففي الوساطة تضمينة للأقيشر الأسدي في تخمير له (٢) ، والأقيشر من شعراء القرن الأول . وثمة تضمينات أخر في غير الخمر سابقة لأبي نواس . بل ان هذا اللون من التضمين موجود في غير الخمريات في ديوان أبي نواس وان لم يشر المؤلف اليه . ولكننا نجد في ديوان أبي نواس أكثر من خمسين تضمينة غنائية ، مما يوحي بأن أحدا من سابقي أبي نواس لم يكثر من التضمين كما أكثر أو يتفنن كما تفنن . وقد نظم الشعراء أشعارا في الخمر ، وأشاروا فيها الى الغناء كما قلنا ، ولكن الكثيرين منهم لم يضمنوا أشعارهم الاغنيات . ومن قطع تميم التي ضمنها الاغنية قوله :

دع مقال العاذلات　　واله عن سعي السعاة
واشرب الراح وشبهها　　بالثنايا العطرات
واثقل ان شئت　　غنام بالحي الوجنات
أنا ما بين ندامى　　ى وراحي وسقاتي
قل لا أعرف الصحـ　　ـو ولا وقت الصلاة
واذا نومي السكـ　　ـر على تلك الهيئات
لم ينبهني سوى حـ　　ـس مثاني الغانيات (٣)
وغناهن سحيرا　　(سقنيها بحياتي)

وقد ضمن تميم الاغنية في أكثر من موضع (٤) .

وقد يعترض معترض فيقول : ان التضمين معروف في الشعر العربي ، فما لنا نقف عنده في شعر تميم ؟ والجواب أن التضمينة الغنائية تخالف غيرها من التضمينات في أنها ترف الى القارئ في جو مرح تعزف فيه الموسيقى ويصدح الغناء ، وتخالفها في أشياء أخرى ، وهي عندي أصل الخرجات التي

١ ـ الدكتور نجيب البهبيتي ـ تاريخ الشعر العربي ص ٤٤٣
٢ ـ عبد العزيز الجرجاني ـ الوساطة ص ١٥٠ . ويشك الجرجاني في نسبة النص الى أبي نواس .
٣ ـ ديوان تميم ص ٨٤ 　 ٤ ـ المصدر السابق ص ٢٣ ، ٩٨ ، ١٥٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مرتبا الموشح والزجل في الاندلس .

ثالثاً ـ استعار تميم من ابي نواس أسلوب الحكاية الخمرية . ففي خمريات أبي نواس عدد من الحكايات الطريفة الدائرة حول الشرب . وما أصوب هذه العبارة الموجزة التي جمعت ثلاثة من أصحاب الحكاية الخمرية " وجاء الاعشى بالقصص الخمري الذي لا نراه عند غيره من الشعراء الجاهليين ، بل اننا حين نقرؤه نتوهم أننا نقرأ شعر ابي نواس أو شعر تميم بن المعز " (١) . ولم يذكر المؤلف شاعرنا قط غير هذه المرة ، واشارته هذه راجحة مع ذلك . ثم ذهب يتحدث عن القصص الخمرية في شعر الأعشى ، وظن في موضع آخر أن قصص الاعشى قريبة من قصص ابي نواس ، وان افترقا في أن قصص الشاعر الجاهلي تأتي تابعة ، في حين أن قصص ابي نواس تكون مستقلة ، وأجود حبكاً ، وفيها ذكر الفسق والفناء (٢) . واذا ذهبنا نقرأ ما وصلنا من شعر الخمر بعد ابي نواس وجدنا الشعراء يمضون الى الخمارات ، ويحادثون الخمارين . وأظن أننا لن نجد أقرب الى ابي نواس في حكاية الخمر من تميم في بعض المواضع من ديوان الشاعر المصري . قال ابن المعتز :

لبسنا الى الخمار والنجم غائر غلالة ليل طرزت بصباح (٣)

وظلت تدير الراح أيدي جآذر عتاق دنانير الوجوه صلاح

وفي البيتين ذكر للمضي الى الخمارة في آخر الليل ، والاشارة الى جمال من يسقي . ويمتاز شعر ابن المعتز بالتركيز والميل الى الايجاز في الجانب الخمري منه وغيره من الجوانب . ولا صحة لما قاله أحد دارسيه انه يقص في غزله (٤) ، فالشاعر لا يميل الى السرد . فاذا انصرفنا عن ابن المعتز وجدنا الحكاية الخمرية عند غيره ألفيناها عند الشريف العقيلي . وليس الشريف موجزاً في حكايته ، ولكنه لا يشبه فيها أبا نواس كما يشبهه تميم ، لأن الشريف يهتم بالوصف لذاته وبالعبارة أكثر من اهتمامه بالسرد تطفر حكايته (٥) . ولنقرأ الآن هذه الحكاية لأبي نواس :

---

١ ـ جميل سعيد ـ تطور الخمريات ص ٦٤ ٢ ـ المصدر السابق ص ٢٣١

٣ ـ ديوان ابن المعتز جـ ٢ ص ٣٦ ٤ ـ عبد الله بن المعتز ص ٧٣

٥ ـ انظر ديوان الشريف العقيلي ص ٩٨ ، ١١٥ ، ١١٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأحور ذمي طرقت فناءه　　بفتيان صدق ما ترى منهم نكرا
فلما قرعنا بابه أهب خائفا　　وبادر نحو الباب ممتلئا ذعرا
وقال : من الطراق ليلا فناءنا　　فقلت له : افتح فتية طلبوا خمرا
فأطلق من أبوابه غير هائب　　وأطلع من أزراره قمرا بدرا
ومر أمام القوم يسحب ذيله　　بجانب منه الردف يثني مشيه الخصرا
فقلت له : ما الاسم/قال لي :　　دعاني أبي سابا ولقبني شمرا
فكدنا جميعا من حلاوة لفظه　　نجن ، ولم نسطع لمنطقه صبرا
فقلت له : جئناك نبتاع قهوة　　معتقة قد أنفذت قدما دهرا
فقال : اربعوا عندي التي تطلبونها　　قد احتجبت في خدرها حججا عشرا
فقلت : فما ذا مهرها قال : مهرها　　إليك فسقنا نحوه خمسة صفرا
فقلت له : خذها وهات نباطها　　فقام اليها قد تملى بنا بشرا
فشك باشفاق لها بطن مفيد　　فسالت تحاكي في تلألؤها البدرا
وجاء بها والليل ملق سدوله　　مدلا بأن وافى محيطا بها خبرا
وحية خدر راضها الخدر راصرا　　فكانت له قلبا وكان لها صدرا
اذا أخذتها الكأس كادت بروحها　　تخال بها عطرا وما ان ترى عطرا
وما زال يسقينا ويشرب دائبا　　الى أن غفى حين مالت به سكرا
(فيا ظبية ترعى مساقط روضة　　كسا الواكف الغادي لها ورقا خضرا
بأحسن منها منظرا زان مخبرا　　بل الظبي منها شابه الجيد والنحرا)
فيا حسنه لحظا بدا من لسانه　　ويا حسنه لحظا ويا حسنه ثغرا
ونام وما يدري الأرض وساده　　توسد سكرا أم وسادا رأى جهرا
فقمنا اليه حين نام وأوهدت　　فرائصه تجري بهدانه ضمرا (١)
فلما رأى أن ليس من ذاك مخلص　　..........

وتتفق هذه الرائية مع بائية الشاعر المصري في أمرين :
الأول ــ المهارة في الحكاية ، فشاعرنا المصري تميم أمهر من السيف الصقلي لاهتمام السيف بغير السرد ، في حين أن تميما وأبا نواس يهتمان بالسرد

---

١ ــ ديوان أبي نواس ص ١٢٤

والظاهرة الفنية أن شاعرنا يميل في شعره عموما الى الأسلوب غير المباشر المعقل في النص والحوار الخالص وانطاق الجماد • وسنرى هذه الظاهرة فيما بعد •

الأمر الثاني — أن أبا نواس وتميما يذكران ما جرى من الفسوق بوقاحة • ولتميم قصيدة هائية تشبه البائية [(١)] ، حكى فيها سعيه الى الشرب وتماجن • وقد حكى سعيه الى الخمر في غير الموضعين المذكورين [(٢)] ، ولكنه أقرب ما يكون الى أبي نواس في البائية والهائية • ولا ندع هذه النقطة دون الاشارة الى أن لأبي نواس حكايات خمرية لا يعقد حبكتها ، أو لا يخلع فيها العذار ، وهو في تلك الحكايات يشبه الأعشى والشريف المتهتك ، وتميما في غير قصيدته السالفتي الذكر ، ولكنه في أمثال رائيته التي رأيناها أستاذ تميم في قصيدته ، وأشبه الناس به •

رابعا — عارض تميم بعض شعر أبي نواس • قال أبو نواس :

أترك التقصير في الشر ب ، وخذها بنشاط
من كميت كسنا البرق أضاءت في الهواطي
هل — رعو الله — معذو ل غدا عند الصراط [(٣)]
خلق الغفران الا لامرئ في الناس خاطي [(٤)]

وقال تميم في عيد الفطاس :

خل من يأتم بالصـ ـبان يغدو في اختلاط
وافتد للصهباء نسقـ ـاها ونسقى ونعاطي
فطسوا في الماء جهلا وفطسنا في الهواطي
وشربناها عقارا خندريسا بنشاط [(٥)]

وتتفق هاتان المقطوعتان في القافية والوزن والعدد ، وفي الابتداء بفعل أمر معناهما واحد ، وفي لفظي قافيتين • وتدل هذه الاتفاقات على نية المعارضة •

---

١ — ديوان تميم ص ٢٢٠   ٢ — نفس المصدر ص ١٧٧
٣ — ديوان ابي نواس ص ١٨١
٤ — استبدلت كلمة " هل " بكلمة لن في النص الأصلي •
٥ — ديوان تميم ٢٥٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ديوان أبي نواس هذه القطعة :

ما استكمل اللذات الا فتى   يشرب والمرد ندماه
هذا يغنيه وهذا اذا   ناوله القهوة حياه
وكلما اشتاق الى قبلة   من واحد [illegible] [illegible]
سقيا لدهر كنت فيه لهم   معاشرا ، ما كان أحلاه (١)
نشربها صرفا ولم نمتزج   وشرطنا من نام نلقاه

ولهذه القطعة آثار على هائية تميم (٢) المماثلة للهائية ، فقد جعل أول الأبيات الخمسة السابقة أغنية يغنيها ساقية . وفي الهائية التي لتميم هذا البيت

اذا سقى ندمانه كأسه   ألثمه فاه وغناه

وقبل ختامها هذا البيتان

سقيا ورعيا لزمان مضى   بغير صد فقدمناه
ما كان أبهى حسن أيامه   فينا وأحلاه وأهناه

وفي أبيات تميم الثلاثة المذكورة أجزاء من مقطوعة أبي نواس ، فالكلام " ألثمه فاه ... سقيا ... ما كان ... أحلاه " كلام مشترك . وغير بعيد أن تكون أبيات أبي نواس الخمسة حطام قصيدة عارضها تميم .

تميم وشعراء آخرون :

كان لشعر الشعراء الحلبيين الذين عاشوا في قرن تميم أثر فيه يجد القارئ في ديوانه :

اذا هب سلطان الشتاء نافخا سحيرا ، وحل الفر كل نقاب
وزرعلى الأفق الغمام ثيابه   فتم فالله في عدة وحراب
بكن وكانون وكأس مدامة   وكيس و .... وافر وكباب
ودل كساء أدكن ومضرج   كما ضج الخدين ماء شباب
جمعت لك الكافات فيها ولم تكن   بمجموعة قبلي لرب كتاب (٣)

فيعجب للكافات السبعة التي يفتخر بها الشاعر . ان لهذه الكافات قصة في الأدب العربي ، ففي القرن الذي عاش فيه تميم نظم ابن سكرة هذين البيتين :

١ — ديوان أبي نواس ص ١٢٢
٢ — ديوان تميم ص ٥١
٣ — هامش ديوان تميم ص ٣٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جاء الشتاء وعندى من حوائجه   سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كمن وكن وكانون وكاس طـــلا   مع الكباب و ٠٠٠ ناعم كسـا (١)

واشتهر هذان البيتان ، واقترنت كافات البيت الثانى باسم ابن سكرة ، وأشار اليهما ابن خلكان ، وتحدث ابن تغرى بردى عن الشعراء الذين جاروهما (٢) • وهانحن نجد تميما فى قرن ابن سكرة يسلك فى قطعته الكلمات السبع ذوات الكافات ، ثم يزعم انه لم يجتمع لأحد قبله هذا العدد من الكلمات الكافية المبدأ • وزعمه لا يستقيم الا بأحد أمرين :

الأمر الأول — أن يكون تميم سابقا وابن سكرة لاحقا • ولكن شهرة ابن سكرة بالكافات تعترض هذا الاحتمال •

الأمر الثانى — أن يكون تميم غير صادق فيما قال •

ونجد فى ديوان تميم قصائد أخرى تتحدث عن الخمر ، عارض فيهـــا أصحابه (٣) كتلك التى رد بها على الشاعر أبى الحسن على بن الحسين التــميوانى •

١ — ابن خلكان — وفيات الأعيان ج ١ ص ٦٧٧
٢ — ابن تغرى بردى — النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٠٨
٣ — ديوان تميم ص ٤٣٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الغـــــزل

كان تميم من الشعراء الغزليين ، وقد أعانته مكانته الاجتماعية وحالة معيشته وحالته النفسية على التبريز في فن الغزل ، فقد كان أميـــرا حمل منه بين الملك فراغ ، ووجد الكثير من الجواري والغلمان في قصره ، فاندفع في ميدان الهوى يروى شبابه الثائر ، ويتمزى عما أصابه . وعرف في ذلك الميدان كيف يكون الحب ، وكيف تكون المتعـــة فطفق يحدثنا عن العواطف والمواقف ، ويصور لنا ضروب المتاع الجنسي .

والغزل تميم من أكبر فنون شعره . وهو اما قطع مستقلة أو قطع لاحقة بغيرها كالمدائح . وليست القطع اللاحقة بالمدح نسيبا فاترا ، بل هـــي شعر يحس القارئ جماله ، ويلمس حيويته ، فهي ليست مقدمات يجـــرى فيها الشاعر على سنن المادحين ، وانما هي أجزاء يقتطعها الشاعـــر لنفســه يتغنى فيها بأهوائه . أما القطع المستقلة فهي معرض طرافة .

وليس لتميم محبوب واحد يتغزل فيه كالعباس بن الملوح أو جميل بثينـــة أو العباس بن الأحنف ، وليس له جماعة أحباب يبرز من بينها محبـــوب ، كما برزت جنان في شعر أبي نواس ، وكما برزت شر في شعر ابن المعـــتز ، بل ليس له محبوب واحد نعرف عنه أي شيء . وفي ديوانه ذكر لعدد من الأعلام كسحر ولبلى وهند وأسماء ، ولكن هذه الأعلام تقليدية الا سحر التي لا نعرف عنها شيئا يتصل به . فلم يتغزل اذن في فرد أوافــراد معلومين ، ولكنه تغزل في الجنسين ، أحرارا وأرقاء ، بل لقد تغزل مرة في الفلاحات المصريات حين رآهن يجنين الجبن .

ويحب تميم من صفات المرأة الرقة البالغة التي لا تكاد تحتمل معهـــا شيئا ، والنحـــل والحور وفتور الطرف ، والجيد ، وبروز الصدر ، والهيـــف وامتلاء العجز والساقين ، وصغر القدمين . ويحب سواد الشعر ، وبياض البشرة ، وتورد الخد ، وبياض الأسنان . ويحب من الزينة الكحل والخضاب والعطر ، والقرط والخلخال . وتتفرق كل هذه الأشياء المحبوبة في شعره ،

(١) — الديوان ص ٣٢٨ ، ١٣٤ ، ١٠٣ ، ٣٦١ تباعا

(٢) — نفس المصدر ص ٤٢١

(٣) — ذكرت القم العصيرة ص ٤٤٨ من المصدر السابق

ويجمع منها قد رصالح في مطلع ترنيمه التي عارضها دالي الدعاة ، وهو :

أسرب مها عن لم صرب جنه   حكمتهن ولسـن هنـه

ألبني انتم ذا السـو لم يلوي بين النجـوم حلابيكنـه

فضمـن بالكحل أدم الظباء ...   ومجتهـن بأجمـسـادكنـه

ألسـن كتن اللائي لـسـن   بالآ تحولن عن عهدكنـه

ولم أر غيدا سواكن يحسـن   فأشبهن في لينهن الأعنـه

فضرن بالحسن شمس الضحـا   ولكنهان خبت وصبغ الدجنه

حملن رماحا جرمين البهـا   وأبدين ألحاظ أطلابهنـه

فياما أعـذب ألفاظهـن   وياما أملـح ألحاظهنـه

إذا رمن ظلما فسلطانهـن   علينا ملاحـة أحداقهنـه

برزن لنا عاطرات الجيـوب   بمدح الكثيب بوادي برته

فعطرن من طيبهن النسـيم   وأبدين من لوعق المستكنه

ولما سفرن صفن الضحـا   بماء الخدود وتوريد هنـه (١)

وقد يتغزل الشاعر في المرأة العذراء ، كما في قوله :

رأيتها في البستان أسـانـة   عذراء للألباب خـلابة

كأنها لما بدت ظبيـة   من الظباء العفر مرتابه

إذ هيماء الحسن فخفضها   تجود الخالق إذ هـابه

ما حسنها يوما بمنظـر   قد ركبته فـوق عنـابه

تنقد طول أوابحهـا   على رماح النور غـلابه (٢)

فتلعة نطوف مـنـه   أم بخوذ أدماء أجيات لماهـه (٣)

وفي الديوان غزل بمحبوب أسود ، وهويته غير واضحة . فاذا كان أنسى فان تميما قد تغزل في البشرة البيضاء والعذراء والسوداء للاناث .

---

١ — ديوان تميم ص ٤٤٥

٢ — المصدر السابق ص ٤٨

٣ — نفس المصدر ص ٣٠١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتغزل تميم في المرأة الغلامية ، فقال في الساقية :

قامت كما قام قضيب بان   ظاهرة المنديل والخفتان
شاطرة ساحرة اللســـــان   ترنمت عن شبه النســوان
وحسن خضاب الكف والبنان   واعتقلت عوالي المــران (١)

وكان تميم يحب الذكور أيضا . وقد دفع ثمن هذا اللون من الحـــب غاليا . ويخلع على الذكر الذي يتغزل فيه كثيرا من صفات الانـــاث ولاسيما الهيف وكبر العجز ، ونبه على الحب بالعذار الذي يطلـــع في وجـــوه الذكور (٢) . وربما تغزل في الذكر الاسود . وثمة احتمال أن يكون بعض محبوبيه الذكور صغـــارا (٣) . وهذا مثل صالح للنمط الذي يحبه من الجنس غير اللطيف :

الآن قد الفؤاد تحقـــــق   فيه وأجرى الدموع نوعين
لما انحنت فوق صدغه نون   من قوسها ، واتقى بصنفـــين
وانتصبت تحت صاد شاربه   وخط من عارضيه لامـــين
ومال صدغيه في بياضهمــا   ليلين صبــــا على نهارين
ورد رأس العذار منحرفـــا   من لدغ جفنين بابليـــين
صحح خديه ، ثم جرد من   غنج ضنى مقلتيه سيفـــين
آه للمدنف المعذب مـــن   هذين حسنا ، وآه من ذين
يحمل دعصين من روادفــه   قوامه في ذبول غصـــنين !
لام عذاريها املحـــــــه   أخاف عيني عليه من عيـــني
يا صاحبي من لحظه قد بكما   لا تعلماني الى العـــــذارين
وياعذاريه يا لحسن بمـــا   برزتما فيه لي بعـــــذرين
كأن خديه في سوادكمـــا   صبحان قد طرزا بليلـــين
لعاد شمس النهار شمسين   به وبدر الظلام بـــدرين
ارق جلدا اذا تأملتـــــه   شكوى بدت بين سلك دمعين (٤)

---

١ — ديوان تميم ص ٤١٥   ٢ — نفس المصدر ص ٤٢٥
٣ — نفس المصدر ص ٤١٦ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٤٤٨
٤ — نفس المصدر ص ٤٠٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واعتاد تميم أن يقرن الشعر بالخرز الأسود ، والصدغ بالعقرب أو الصولجان والوجه بالشمس أو القمر ، والوجنة بالتفاح ، والعيون بعيون المها ، والأسنان بالدر ، والريق بالعسل أو الخمر ، والنهود بالرمان ، والخصر بخصر الزنبور ، والكفل بالكثيب ، والبنان بالعناب أو العنم أحيانا . ويكثر الشاعر الزعم أن حمرة خد الحبيب أو بنانه من دمه المسفوك في ساحة الحب (١) ، ويكثر تشبيه الحبيب جملة بالغزال أو الظبي ، والقد بالقضيب .

وفي ديوان تميم معاني الحب الكثيرة : الاتصال بالحبيب بالرسول أو الكتاب أو الغمز بالعين أو المحادثة أو الوصال ، وما يعترض الحب من المساعد أو الرقيب أو العاذل أو الواشي ، وما يكون بين المحبين من الصفاء أو الوفاء أو الغدر أو الهجر أو السلو أو البين ، تلك المعاني التي دار عليها " طوق الحمامة " . ومكان البين في غزل تميم بارز ، ويتمثل في الحديث عن الفراق والتوديع . ومرد هذه الظاهرة إلى تعدد رحيل تميم عن مصر .

وللشاعر لهجات متعددة في غزله تتراوح بين السمو والانحطاط . ففي ديوانه لهجة القديسين :

لحى وقد حثوا الركائب والركبا   كأنك لست الهائم المدنف الصبا
ستعلم إن بانوا وخلفت بعدهم   بأنك ممن يفقد العقل واللبا
وأفضل ما في مذهب الحفظ والهوى   معاتبة بالهجران من بعدهم حبا (٢)

وفي الديوان لهجة ثانية شريفة :

إن تكن قد سلوت يا نور عيني   وتناسيت فالمزار بعيد
ففؤادي كما عهدت عميد   وجفوني بدمعهن تجود (٣)

وثمة لهجة مرحة كقوله :

الحمد لله شكرا   هذا الذي أتمنى
قبلت من كنت صبا   به كثيبا معنى
فكدت أنهبه بالضـ   ـم والعناق وأدنى
جنيت باللثم منه   ما كان باللحظ يجنى

---

١ ـ انظر ديوان تميم ص ٣٩ ، ٥٩ ، ١٣١ ، ٣٢٩ ، ٣٣٦ ، ٣٣٩ ، ٤٠٤ ، ٤٤٨
٢ ـ المصدر السابق ص ٥٠   ٣ ـ المصدر السابق ص ١٤٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قل للعــذول علي ما　　حتى به أن أهنـــا
لا نلت ما كان منيـــه　　يوم الوصال ومنـــا ! (١)

وعند تميم لهجة رابعة جريئة ، وهي تتمثل خير تمثل في ذكره غير اللائق للمقدسات . اسمعه يقول :

أيها الدعص والقضيب الذي قا　　بل بدر الدجى ببدر منـــير
لا تكن لحاظ عينيك من لقـ　　لي فما اللحظ فيه بالمقـــدور (٢)
لا تكن للنبي فيه خصيمـا　　عند رب النبي يوم النشـــور (٣)

ومثل هذا التعرض للمقدسات متكرر في الديوان .

وعند تميم لهجة خامسة خليعة جدا ، انحط فيها الى الحضيض . (٤)

فاذا نظرنا الى ما يستعمل تميم من الأساليب في غزله وجدنا أسلوبين :
الأسلوب الأول ، الأسلوب المباشر ، وهو أن يتحدث عن العواطف والمواقف بأسلوبه هو ، وأن يدع الحوار والانطلاق والقصص . ومن أمثلته آخـــر ما رأيناه .

والأسلوب الثاني ، غير المباشر ، وهو متعدد الصور . وتعرض لصوره بالتفصيل لأنها طريفة . وأول الصور الحكاية ، إذ يحكي لنا تميم أحيانا حكاية سعيه الى محبوبته فيقول :

وليلة أسريت فيهـــا ولا　　بدر ينير الأرض الا سرار
كالمقلة الدعجـاء زنجيـة　　كافرة لم نجـــوم المـدار
وصاحبي ذو رونق صـارم　　مدبج المتنين ماضي الغرار
أنحف من خصف نسيم الصبا　　حدا وأمضى من ظبا الاحورار
حتى طرقت الحي من وائـل　　والجو مكحول النواحي بقـار
والقوم من سورة كأس الكرى　　كأنما علوا بصـــرف عقـــار
فبت في محبوك مجدولة　　صامتة الحجلين ملأى السوار
مرتشفا من برد أنيابهـــا　　حلوا برود الظل عذب القطار
وهي من الخيفة لا تهتدي　　لموضع الشكوى ولا الاعتذار

---

١ ــ ديوان تميم ص ٣٢　　٢ ــ المصدر السابق ص ٢٢٢
٣ ــ نفس المصدر ص ٢٠، ١١٢، ٢٢٢، ٢٨٠، ٢٠٨، ٤٤٩
٤ ــ نفس المصدر ص ٣٢، ٣٦، ٤٦، ٣٩٥، ١١٣، ٣٢، ٣٥٤، ٣٦٩، ٤٠٥، ٤٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كأنها غصن نقا ناعم ... يميس من يمنى يدي للبصار
والدمع مستهبط من دمعها ... درا أبت سلكاه الا انتشار
كأنها تمسح رشحا من الـ ... ـكافور بالعناب من جلنار
حتى اذا رق قميص الدجى ... وابتسم الصبح وراء الازار
قامت كلها خافرا لونها ... تستوقف الليل عن الانحسار
فناد ليلا دانيا قربها ... أعجب بليل طالع من نهار
وحذرتني من أذى قومها ... حتى اذا لم يبد مني الحذار
يكتفونه لي بآبائها ... والتم من معشرها والنصار
ثم ثنت كفي على خافق ... من قلبها مرتجف مستطار (١)
كأنها ظبي رأى قانصا ... بحيث لا ينجيه منه الفرار (٢)

وتوجد حكايات أخرى غير هذه . وقد نرى المحبوب هو الساعي . ومن الحكايات الغزلية تلك التي يحكي فيها تميم ما يقع منه ساعة السكر ، وهي الجانب الحسي من شعره الخمري . وفي الديوان حكاية غزلية منصبة في قالب تشبيه طويل هي :

فما أم خشف ظل يوما وليلة ... بملتفة بيداء ظمآن صاديا
تهيم فلا تدري الى أين تنتهي ... مولهة حيرى تجوب الفيافيا
أضر بها حر الهجير فلم تجد ... لغلتها من بارد الماء شافيا
فلما دنت من خشفها انعطفت له ... فألفته ملهوف الجوانح طاويا (٣)
بأوجع مني يوم شدوا رحالهم ... ونادى منادي الحي ألا تلاقيا

والصورة الثانية من صور الأسلوب غير المباشر هي صورة الحوار . ففي ديوان تميم عدد كبير من الحواريات الغزلية ، هذا مثال منها :

ما هجرت المدام والورد والبد ... ر بطوع لكن بقسر وكره
منصفي من الثلاثة من لست ... تعلقني لم أجله والله من هي
قالت : الورد والمدامة والبد ... ر رضابي ولون خدي ووجهي

١ـ ديوان تميم ص ٢٦٧
٢ ـ نفس المصدر ص ٩٠
٣ ـ نفس المصدر ص ٤٦٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قلت : بخلا بكل شيء ، فقالت : لا ، ولكن بخلت بي بشبهي (١)
قلت فما ليتق شبهك ، قالت : انما يقتل المحب التشهي (٢)

وهذه الحواريات في الديوان أكثر من عشرين .

ولم يكتف الشاعر بالصورتين المتقدمتين من الصور غير المباشرة ، فأضاف صورة ثالثة غير مباشرة ، هي صورة الانطاق ، فأجرى على لسان الناطق وغير الناطق شعرا غزليا . من ذلك ما أمر أن يكتب على طرة جارية وعصابتها :

أنا من جوهر الاصوار خضعت لي في الحسن شمس النهار
ليس للشمس مثل خدي وقدي ولها مثلق والاحورار
من جمالي شق الجمال وطيب من لوجهي جواهر الاثمار
صاغني ذو العلا وحيدة حسن لوحيد الدنيا العزيز نزار (٣)

وفي الديوان قطعتان أخريان على لسان الجواري (٤) . وفيه على لسان العشق قطع منها :

ثياب الدمى البيض الحسان كثيرة ولكنني منهن أبهى وأجمل
أجر على بيض الجباه وأنثني على الطرر المستحسنات وأسهل
وألثم محمر الخدود بأسرها وألوى على اللبات طورا وأحمل
ولم تحظ ـ مذ كنت بها مليحة ولم ترض ذات حسن تتقل (٥)

ولدى تميم قطع أخر غير هذه (٦) . والعشق اذ تنطق عبر عن شعور تميم . نعم انها تصف نفسها بالدقة أو الرونق أحيانا ، ولكنها تتحدث حديث العاشق فتذكر أنها تلمس خدود الحسان وتلثمها ، ولا تبالي بالوشاة والرقباء ، وتصف جمال لابساتها ، وتذكر غيرتها عليهن من الطفيليين . وهذه خلاصة المعاني التي تلوكها في خيال تميم ، وهي المعاني التي يلوكها هو أيضا .

ويشبه حديث العشق بعض الشبه حديث الستائر . فكما أنطق الشاعر العشق أنطق الستارة مرات . ولكن الستارة لم تكن غزلة الا مرتين . قالت

---

١ ـ ديوان تميم ص ٤٥٣
٢ ـ المصدر السابق ص ٢٠٥، ٢٩٤، ١٢٣، ١٢٧، ١٣٠، ١٤٠، ١٥٢، ١٦١، ١٤٠، ٢٤٣، ٢٥٥، ٢٩٢، ٢٥٧، ٢٣٠، ٣٥٢، ٣٥٣، ٤٠٣، ٤٤٠، ٤٥٣، ٤٦١ .
انظر كذلك ص ٣٢٩ ٣ ـ نفس المصدر ص ٢٣٥ ٤ ـ نفس المصدر ص ١٢٤، ٢٣٤، ٢
٥ ـ نفس المصدر ص ٣٢١ ٦ ـ نفس المصدر ص ٢٠٥، ٢٤٤، ٢٤٩، ٢١٤، ٣٣، ٣٩٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السـتـارة :

أصون أبشار خدود الدمى   وأمنع الفادى من النظرة (١)

وظاهروني العين مستحسن   واسمي مشتق من الستره

وقالت مرة أخرى :

أنا أظرف الحجاب شخصا وموقعا   وأكتمهم سرا على المتكلم (٢)

وإن هم محبوب بوصل حبيبه   وتمنعهما من كل واش ومبرم

والستارة في النص الأول تبدى الغيرة على الخدود ، فتخفيها عن الأعين ، وتصد نظرات المتطفل . وتذكر نفسها بالحسن ، وأن اسمها مأخوذ من الستر . وتميم الجنسي يقصد بالستر ستراما لا يجمل أن يراه الناس في الغالب .

والستارة في النص الثاني تتحدث عن ظرفها وكتمانها ، وحمايتها للحبيبين من الواشي والثقيل ، وكأنما صورها الشاعر قوادة لما

غـزل تميم والشعر العربي :

وصف تميم المحبوب بصفات كثيرة ، وهي صفات تقليدية جرى عليها الشعراء بل إن الهيف ، وثقل العجائز صفتان نجدهما في الشعر الفرعوني (٣) . وسبب اعجاب العرب وغيرهم بهاتين الصفتين الجماليتين سبب عضوي وظيفي اذ أن المرأة التي تتمتع بهاتين الصفتين أصلح للنسل من غيرها (٤) .

أما الغزل في البشرة الذهبية فسمة معروفة ، أشار ناشرو الديوان الى شيوعها ومثلوا لها ببيت لبشار (٥) . وهي غير صفرة المرض ، يصف بها أبو تمام المحبوب الذى أكسب محبه صفرة المرض فيقول :

صفراء صفرة صحة قد ركبت   جثمانه في ثوب سقم أصفر (٦)

والتعلق بالبشرة الذهبية في الشعر العربي يرجع الى أيام الملك الضليل ، (٧)

---

١ - ديوان تميم ص ١٩١   ٢ - نفس المصدر ص ٣٩٦

٣ - سليم حسن - أدب الفراعنة جـ ٢ ص ١٧٢

٤ - عباس العقاد - عمر بن أبي ربيعة ص ٩٤

٥ - انظر هامش ديوان تميم ص ٣٧٠

٦ - ديوان أبي تمام ص ٣٩٦

٧ - انظر معلقة امرىء القيس مثلا ص ١٣١ شرح الزوزني

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تابعه كثير من الشعراء كعمر بن أبي ربيعة وعبيد الله بن قيس الرقيات وبشار وغيرهم .

ومحبوب تميم أحور العينين ، أسود الشعر دائما . وقد شبه النجوم بالأعين الزرق أكثر من مرة (١) ، ولكنه لم يتغزل في حبيب أزرق العينين أو أصفر الشعر ، مع أن التغزل في زرقة العين موجود في الشعر العربي قبل تميم ، نجده في ديوان عمر بن أبي ربيعة (٢) ، ونجد دفاعا عن الأعين الزرق في ديوان السري الرفاء (٣) . والغزل في صفرة الشعر موجود قبل تميم أيضا . وإذا نظرنا إلى الشعر المصري ألفينا الشريف العقيلي الذي عاش في آخر حياة تميم أو بعده يتغزل في حبيب ذهبي الشعر (٤) .

ويصف ابن خلكان العزيز فيقول " وكان أسمر أصهب الشعر ، أعين أشهل العين (٦) أي أن العزيز كان في شعره صفرة ، وفي عينيه زرقة . وإذا علمنا مدى اتصال الفاطميين بالروم (٧) ، وأن أم المعز أم ولد ، وأن أم العزيز وتميم أم ولد أيضا (٨) ، أمكننا أن نرجح أن الشاعر الذي لم يتغزل في زرقة العين وصفرة الشعر كان هو نفسه أزرق العينين أصفر الشعر .

وأما ما يقرن به تميم أجزاء المحبوب فلا جدة فيه . وقد جمع الصاحب معاصر الكثير من تلك القرانات في رسالة له (٩) ، مما يدل على سعة انتشارها ، وتجاوزها منطقة الشعر إلى منطقة النثر . وقد تتراكم القرانات في الشعر تراكما كما في بيتي أبي نواس :

---

١ — ديوان تميم ص ٩٦ ، ٢٠٦ ، ٤٤٦ ٢ — ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٥٧٢
٣ — ديوان السري الرفاء جـ ٢ ص ١٩٣
٤ — انظر بيتين لمهيار في نهاية الأرب جـ ٥ ص ٩٦
٥ — انظر ديوان الشريف العقيلي ص ٧٠ ، ١٠٦ ، ٢٢٩ . وإذا تقدمنا في الزمن وجدنا العيون الضيقة موضوع غزل ابن النبيه (ديوانه ص ٤٠ ، ٤٣ ، ٧٠ ، ٨٢) وابن نباتة (ديوانه ص ٤ ، ٨ ، ٢٣ ، ٩٣) وقد تغزل الأخير في العيون الزرق أيضا (ديوانه ص ٢٠٧ ، ٣٥٨ ، ٥٩٣) ودافع الشاب الظريف عن الشعر الأصهب (ديوانه ص ٤٣)
ويتكلم ابن حزم الأندلسي من الأفق الغربي فيعلن بغضه للشعر الأسود بالشعر والنثر (طوق الحمامة ص ٢٩ ، ٣٠) ٦ — ابن خلكان — وفيات الأعيان جـ ٢ ص
٧ — ابن الأثير — الكامل جـ ٨ ص ٢٦٣ ٨ — المقريزي — الخطط جـ ٢ ص ٨ ، ٢٩١
٩ — الثعالبي — اليتيمة جـ ٣ ص ٨٤

يا قمراً أبرزه مأتـــــم ... يندب شجواً بين أتـــراب
يبكي فيذري الدر من نرجسٍ ... ويلطم الورد بعنـــــــاب (١)

وقول الوأواء :

زار بليل علـى صبـاح ... علي تعصب على كثب (٢)

ويمكن العثور على عشرات الأمثلة غيرها في الشعر الذي قيل قبله .

ومعاني الحب الكبيرة عند تميم أشهر من أن نقف عندها ، وحسبنا أن نخص اثنين منها بالوقوف . قال تميم :

قد بت من الحافظة جـذوة ... تذكي ومن ملتمسه بارد
لما تشكيت إليه الهـوى ... والشوق نام والجوى زائد
أرسل لي تفاحة خـــده ... إلي كيلا يفطن الحاسد
فلونه في لونها ظاهـــر ... وريحه في ريحها جامـد (٣)

وكان لابد من تهادي العشاق بالهدايا الصغيرة من مراعاة الذوق ... وفي كثير من الأحيان ترسل المحبوبة تفاحة عليها أثر عضة لها . يقول ابن المعتز :

وآثار وصل في هواه حفظتها ... تحيات ريحان وعضات تفاح
وكتب لطاف تربها المسك إذ رجت ... على وصف أحزان وتعذيب أرواح

ويقول :

جاء الرسول مبشراً بزيارة ... من بعد طول تهجر وتجنب
وبكفه تفاحة قد ضمنت ... آثار عضتها كقرني عقـــرب

وكان ذلك من عادات الرومان أيضاً (٤) . ويبدو أن ابن المعتز كان مغرماً بالتفاح المعضوض ، فقد ذكره في موضع ثالث غير الموضعين اللذين ذكرهما المؤلف (٥) .

وذكره قبله أبو تمام في قوله :

تفاحة جرحت بالدر من فيها ... أشهى إلي من الدنيا وما فيها
حمراء في صفرة علت بغالية ... كأنها قطفت من خد مهديهـــا
جاءت بها قينة من عند غانية ... تشكو من السقم والأحزان تدميها
لو كنت ميتاً ونادتني بنغمتها ... لكنت للشوق من لحدي ألبيهـــا (٦)

١ — ديوان أبي نواس ص ٢٤٢

٢ — ديوان الوأواء ص ٢٨

٣ — ديوان تميم ص ١١٤

٤ — آدم متز — الحضارة الإسلامية جـ ٢ ص ١٤٧

٥ — ديوان أبي تمام ص ٢٦٨

٦ — رسائل الجاحظ ص ٢٠٧ ، ٢١٠ وانظر نهاية الأرب جـ ١١ ص ١٦٢ — ١٦٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أشار الجاحظ الى استخدام التفاح المعضوض وغير المعضوض في الحب (١) ، وتغنى به ابن الرومي وأبو نواس (٢) والبهاء زهير (٣) فيما بعد . بل ان استخدامه في هذا المضمار أوسع نطاقا مما ذكر آدم متز ، فقد لهج به الشعراء في العصر الفرعوني (٤) وشعراء عصر الاسكندرية (٥) .

وقال تميم :

ما ذم يوم الفـــراق الا	من غاب عن موقف الفراق
أوله انبا وتســـوف	للثم والضم والعنـــاق
لا نتقي فيه عين واش	ولا نداري ذوي النفـــاق
ان هاج حر الوداع شوقي	فبالوداع انطفى اشتياقـــي
لولا الفراق الذي دهانا	والبين ما أمكن التلاقي (٦)

يزعم الشاعر أنه لا يذم يوم الفراق إلا من يجهله . فمن مزاياه أنه وسيلة المحب للقاء حبيبه ، وضمه في تقبيله واحتضانه ومعانقته ، فتنطفئ حرارة التوديع ، ويرغم أنف الواشي والمنافق . ويولع تميم بهذا المعنى فيكرره (٧) . ويعلق ابن حزم على هذا الموقف قائلا " ... ولهـــذا تمنى بعض الشعراء البين ، ومدحـــوا يوم النوى ، وما ذاك بحسن ولا صواب ، ولا بالأصيل من الرأي ... " (٨) ويمضـــي المؤلف يهجن هذا المعنى . وتهمنا اشارته الى أنه معنى طرقه الشعراء . ونجـــد مصداق قوله في ورك السري الرفاء :

أنعم بيوم النوى وأحمد هـــا لوقفة تلتقي بهـــا المقـــل (٩)

أما لهجات تميم الأربع فمألوفة في الشعر العربي قبله ، تتبع أولاها مدرسة العذريين ، وهي مدرسة يبلغ شعرها الذروة في النقاء ، ويصور ألوانا غريبـــة من الوفاء والشوق . وقد رأينا قطعة تميم التي يعجب فيها من حياته وقـــد

---

١ — رسائل الجاحظ ص ٧٠ ، ٧١ . وانظر نهاية الأرب جـ ١١ ص ١٦٢ — ١٦٨

٢ — ديوان ابن الرومي جـ ١ ص ١٢٢ ، ديوان أبي نواس ص ٦٩٥

٣ — ديوان البهاء زهير ص ٨ ، ١١٥ ٤ — سليم حسن — أدب الفراعنة جـ ٢ ص ١٠٩ ، ١٦٩

٥ — شعر الرعاة ص ٧٢ ، ٧٧ ، ٨١ وشعر الاسكندرية ص ١٠٦

٦ — ديوان تميم ص ٣٠٠ ٧ — المصدر السابق ص ١٢٨ ، ٣٠١

٨ — طوق الحمامة ص ٨٩ ٩ — ديوان السري الرفاء ص ١٩٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذهب الركب بمن يحب ، ويتوقع بعدهم الجنون ، ويرى أنه جدير بأن يموت من الهجران • وهذه لغة المجنون • بل بيت تميم :

ستعلم إن بانوا وخلفت بعدهم بأنك ممن يفقد العقل والهـــا (١)

يشبه بيتا للمجنون ضمنه تميم نفسه لطعة له ، والبيت هو :

ستعلم إن شطت بهم غربة النوى وبانوا بليلى أن عقلك زائل (٢)

وقد ذكر الناسخ ذلك ٣.

وفي شعر تميم العذري التفات متكرر الى الطير ، وتأثر بنواحه ، قال مثلا :

ألا لا أرى ألآن ناح قمري بغصن بشامة وغرد في أعلى الأراك حمـــام

أهاج لك التذكار شوقا كأنمـــا له بين أحناء الضلوع ضرام

خليلي ! هل بعد الفراق تواصـل وهل بعد تود يع الحبيب مقام

دهتني النوى حتى كأن لحـــبقي على القرب مني والدنو حرام

وبما استهام القلب وهو مصـــدع وأوهى جمان الدمع وهو سجام

مطوقة ورقاء تندب شجوهـــا وتسهر فيه الليل وهو تمام

تنوح بلا دمع وللحزن آيـــة على نوحها مشهورة وغـــرام

ألا يا حمام الأيك مالك والبـكا كأنك ممن أسكرته مـــدام

كلانا محب صدع البين شملـه وكل محب بالفراق يضـام

سلام على من حجبت شخصه النوى وان كان لا يغني المحب سلام (٣)

وتذكر الأبيات السابقة بقول الشاعر العذري :

ألا إن هتفت في جنح ليل حمامـة بكيت ولم يعذرك بالجهل عاذر (٤)

ويقول المجنون :

ألا يا حمام الأيك ما لك باكيـاً أفارقت إلفا أم جفاك حبيـــب (٥)

وأما ليجات تميم الباقية فلهجات مألوفة في الشعر العربي •

وحكاية السعي الى الحبيبة في الليل معروفة ، نظمها امرؤ القيس ، واشتهر بها عمر بن أبي ربيعة ، وجاراه الشعراء في القرون التالية • وكثيرا ما يستغلها

١ ـ ديوان تميم ص ٥٩
٢ ـ نفس المصدر ص ٣١٤
٣ ـ نفس المصدر ص ٣٤٧
٤ ـ أبو الفرج ـ الأغاني جـ ٢ ص ٥١
٥ ـ المصدر السابق جـ ٢ ص ٧٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن هانئ الأندلسي (١) . وقد رأينا الحكايات الجنسية التي تنظمها خمريات تميم ، وعلمنا أن لها نظائر في شعر أبي نواس .

وكان الشاعر القديم اذا أراد الحديث عن سرعة ناقته شبهها بحمر الوحش التي يطاردها الصياد ، أو التي يطارد ذكورها الاناث ، أو التي تحضنها الأمومة ، ويطيل فيما يرتبه من الأحداث ، وما يخلع على الحيوان من العواطف ، فيصبح التشبيه الطويل حكاية ، وفي معلقة طرفة مثال صالح (٢) . وربما استبدل الطائر بالحيوان كما في قول معاوية الراعي :

وما بيضة بات الظليم يحفها … ويرفع عنها جؤجؤا متجافيا (?)

وما بيضة بات الظليم يحفهـا … بوعثاء أعلى تربها قد تلبـدا

فلما علته الشمس في يوم طلقة … وأشرف مكاء الضحى فتغـردا

أراد القيام فازبأر حفـافه … وحرك أعلى جيده فتأودا

وهز جناحيه فساقط نفضه … فراش الندى من متنه فتبددا

فغادرها في الأدحي صفراء تركبة … هجانا اذا ما الشرق فيها توقدا

بأبين منها من سعاد للامس … وأحسن منها حين تبدى مجردا (٢)

فتشبيه تميم السابق من هذا القبيل .

وأسلوب الحوار أسلوب معروف في الشعر ، استعمله امرؤ القيس ، وعمر بن أبي ربيعة ، ووضاح اليمن (٣) ، وحذا حذوهم الشعراء من بعدهم . فلا جدة في استقلال تميم لهذا الأسلوب إلا في الروح (٤) .

وأسلوب الانطاق يشبه ما كان يكتبه أهل بغداد على عصائب الجواري وطرورهن وما أشبهه . قال الأصمعي " رأيت على باب الرشيد وصائف على عصابة واحدة منهن مكتوب :

نحن حور نواعم … من أراضي مقدسة

الخ .... (٥)

---

١ — تبيين المعاني في ديوان ابن هانئ ص ٥٦٢ ، ٧٠١ ، ٧٧٣

٢ — البهبيتي — تاريخ الشعر العربي ص ٩٥ ٣ — ابن قتيبة — الشعر والشعراء ص ٣٤١

٤ — النويري — نهاية الأرب جـ٤ ص ٢٦٥

٥ — انظر فصل المصرية من هذا البحث ص

٦ — ابن عبد ربه — العقد الفريد جـ٣ ص ٤٤٢ وص ٤٣٩ — ٤٤٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تميم وعمر بن أبي ربيعة :

استغل شاعرنا حكاية السعي والحوار في الاسلوب غير المباشر ، وقد عرف عمر بن أبي ربيعة بهاتين الصورتين من الاسلوب غير المباشر . وقد شاعت الحكاية والحوار في القرون التالية ، ولكنهما عند تميم وعمر لا يتشابهان ، لاختلاف نفسية كل من الشاعرين ، ولتباين عصريهما . ولكن الحكاية التي قرأناها لتميم تشبه رائية عمر بن أبي ربيعة في أمرين :(١)

الأول — أن كلا من الشاعرين يمضي الى الحبيبة في الظلام ، وهم السهف ، ويدخل عليها والناس نيام ، فتتذعر الصبية ، ثم تهله ما يريد ، ويظل معها حتى يشرف الليل على نهايته ، فتحس الصبح ، ويبدي الشاعر استعداده لامتشاق الحسام اذا ما عرض له متعرض من الحي ، فترتاع الحبيبة ، وتخشى الفضيحة

الامر الثاني — الذي تتشابه فيه حكايتا تميم وعمر أن تميما يصف فزع المحبوبة فيقول :

قامت كئيبـــة خائفا لونهـــا تستوقف الليل عـــن الانفجـــار

ويصف عمر الموقف نفسه فيقول :

فقامت كئيبا ليس في وجهها دم من الحزن تذري عبرة تتحـــــدر

والصلة بين البيتين واضحة ، اذ يتفقان لفظا في نصف الشطر الاول " قامت كئيبا " ، ويتفقان معنى في بقية الشطر .

ويدل ما تقدم على أن تميما قد تأثر في حكايته هذه تأثرا مباشرا بعمر .

تميم وأبو نواس :

عرف الشعر العربي المجون قبل أبي نواس وبعده ، فكان الوليد بن يزيد شاعرا ماجنا ، وكان والبة بن الحباب ماجنا ، وكذلك كان أبو نواس ، وابن الحجاج ، وابن سكرة . وللمجون نصيب في غزل تميم وغيره . وسبق أن رأيناه ينظم أبياتا تجمع كافات ابن سكرة . ومن الصعب أن يقال ان ابن سكرة أو غيره أستاذ تميم في المجون ، إذ يبدو أن مجانته عموما ليس تلمذة لشاعر واحد بعينه ، وانما هو مسايرة لتيار المجون وتأثر بالبيئة . قال تميم حوارية :

---

١ — ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ١٨١

فانقت لام صدغها صاد لثمى ... فأرتها المرآة فى الخد لصا
فاسترابت بما رأت ثم قالت ... أكتابا أرى ولم أر شخصا !
ودعتنى لمحوه ، فنكست ... من الوجنتين لصا وقرصا
ثم قالت : ألا امحه محو من يجـ ... ـهد فى محوه ومن يتقصى
قلت : بالمشط يمحى قالت : المشط بالثنايا ، وأتبع القصقصا
قلت : إن الذى أمرت به فـ ... ـى علينا مؤكد ليس يعصى
ورأت اثرما محوت ، فقالت : ... كان لصا فصار والله فصا (١)
قلت : ان الفصوص تطبع بالخـ ... ـتم على خد كل من كان رخصا

وضع تميم شفتيه عند نهاية الخصلة المتدلية على وجه الحبيب كحرف اللام وقبله ، فتركت الشفتان أثرا على الوجنة يشبه حرف الصاد اتصل بالخصلة التى تشبه اللام فتكونت من لام الشعر وصاد القبلة كلمة " لص " . فلما نظرت الحبيبة فى المرآة رأت الكلمة التى لم تخطها بنان كاتب ، وكانت ماجنة كالشاعر ، فأظهرت العجب ، وطلبت من الشاعر أن يمحو الاثر ، فطفق يتمسس ويقرص ، وهى تستحثه . ولم يجد غير الكشط وسيلة ، فأعمل تميم أسنانه حتى ترك على الوجنة ما يشبه الفص . وهذه الحوارية الظريفة تشبه قول أبى نواس :

يا ماسح القبلة من خده ... من بعد ما قد كان أعطاها
خشيت أن يعرف اعجامها ... مولاك فى الخد فيقراها
ولو علمنا انه هكذا ... كنا اذا بعنا محناها
فصارفيها رسمها باقيا ... يعرفها من يتهجاها
ولا تركناها على حالها ... ولامها منها محوناها (٢)
فكان باقى الاسم لو قيسة ... بالفتح فى خدك مجراها

وهذه القطعة مضطربة بينة الخلط . والصواب أن يوضع البيت الرابع منها بعد البيت الأول ، وأن نتصور بعض أبياتها ساقطا حتى يستقيم المعنى . والصلة بينها وبين حوارية تميم واضحة مع ذلك .

---

١ ــ ديوان تميم ص ٢٠٥ ... ٢ ــ ديوان أبى نواس ص ٣٢٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد روى الجرجاني في الوساطة شعرا فيها لأبي نواس، اخترع تميم معناه، (١) وصبه في شعر يخالف الاصل في الوزن ويعلق معه في القافية .

تميم وشعراء آخرون :

ذكر الناسخ أن تميما قرأ أبياتا لابن المعتز فعارضها، وحكم صديقه (٢) الحسين بن ابراهيم الرسي، ففضل الحكم شعر صديقه في شعر قاله هو.

وأبيات ابن المعتز هي :

شغلت بلذة القبل ... وبعد الكتب والرسل
ومعشوق يواصلني ... بلا مطل ولا علل
أتى عجلا يطير به ... جناح الخوف والوجل
وندمان يساعدني ... ويسقيني ويشرب لي
مضرجة اذا أضربه ... تيها ترميك بالشلل
موردة اذا مزجت ... كورد الخد من خجل

وشعر تميم هو :

شغلت بخلسة المقل ... ومزج الكحل بالكحل
وما اعتلت به الألحا ... ظ في أجفانها النجل
ومعشوق يكاد يذو ... ب خداه من القبل
يعاتبني وعتبني ... ويغضبني ويغضب لي
تلاقينا بلا وعد ... ولا كتب ولا رسل
يشجعنا تماشتا ... وتخذلنا يد الوجل
فألثم خضب برد ... تفجر من جنى عسل
ويرقع وجهه عني ... بظاهر حمرة الخجل
غزال لم أرح يوما ... به خلسوا من الوجل

وقد تناول شاعرنا بداية بيتي ابن المعتز الأول والثاني، واتجه بهما اتجاها

---

١ - انظر الوساطة للجرجاني ص ١٦٥ وديوان تميم ص ٤٢٥
٢ - ديوان تميم ص ٣٤٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خـابرا ، وينصرف ابن المعتز الى التضمين بعد الأبيات الثلاثة الأولى ، ويمضي في غزله لا يلوي على شيء ، فيختلفان هنا أيضا • وجدير بالذكر أن الأبيات الثلاثة الأولى من قطعة ابن المعتز هي كل ما ورد في ديوانه (١) ، وهكـذا احتفظ له ديوان تميم بالنص كاملا •

ولأبي الفتح البكتمرى قطعة مطلعها :

قالوا بكيت وما أ فقلـ ـت مسحت عن خدى خلوقا (٢)

عارضها تميم بقطعة مطلعها :

يا كاتبـا عن دمعـ ـه ، مسحت عـن خدى خلوقا ! (٣)

وعارضها مرة أخرى بقطعة ثانية مطلعها •

لا تعذل الصب المشوقـا حكم الهوى ألا يفيقـا (٤)

وقد عارض تميم أبا هريرة أحمد بن عبدالله المصام في نص له (٥) • ويحق لنا في هذا المقام أن نناقش بعض المقدمات الغزلية للمدائح التي عارض بها تميم المادحين ولنبدأ بالمتنبي • قال تميم :

يعد وجمع الوجد ما هيج البعد وأوجع منه قرب من قربه الصد
أرى الدمع الآن غض شؤونه فيبدو اذا أبدته ما لم يكن يبدو
وصبان دمع العين عذر بينه اذا بان عنه الصبر واحتكم الوجد
وما ينقضي عهد الأسى من متيم اذا لم يدم يوما لمحبوبه عهد
أأمرني بالصبر وهي تحده وما ذلني في الحب وهي له جند
كما لم تجد عيناك بدا من البكي كذا ما لجسمي من ضنى بهما بد
اذا وعدت عندي ثنى جودها الوعد وان سمحت يوما فنائلها لمسد
يضيق بها خلخالها وسوارها ويحذيها من خلفها كفل نهد
وان هي أسرتني اند جى تم حسنها عليها اونم الحلي والمسك والند
لها خلق في كل يوم من الحشا طريف ، له بين الحشا حرق تلد (٦)

---

١ ـ انظر ديوان ابن المعتز جـ ٣ ص ٩ •   ٢ ـ الثعالبي ـ اليتيمة جـ ١ ص ٤٧٠
٣ ـ ديوان تميم ص ٢٨٥   ٤ ـ نفس المصدر ص ٢٨٦
٥ ـ انظر اليتيمة جـ ١ ص ٣٢٢ ، وديوان تميم ص ٦   ٦ ـ ديوان تميم ص ١٠٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال المتنبي في مطلع مدحه للحسين بن علي الهمذاني :

لقد حازني وجد بمن حازه بعد فيا ليتني بعد ويا ليته وجد !
أسر بتجديد الهوى ذكر ما مضى وان كان لا يبقى له الحجر الصلد
سهاد أتانا منك في العين عندنا رقاد وقلام رعى سربكم ورد
ممثلة حتى كأن لم تفارقي وحتى كأن اليأس من وصلك الوعد
وحتى تكادي تمسحين مدامعي ويعبق في ثوبيّ من ريحك الند
اذا غدرت حسناء وفت بعهدها فمن عهدها ألا يدوم لها عهد
وان حقدت لم يبق في قلبها رضى وان رضيت لم يبق في قلبها حقد
كذلك أخلاق النساء وربما يضل بها الهادي ويخفى بها الرشد
ولكن حبا خامر القلب في الصبا يزيد على مر الزمان ويشتد (١)

ويلاحظ على الشاعرين اطالتهما في الحديث عن حبيب بعيد ، وانتقالهما الى الحديث عن أخلاق النساء .

وفي قول تميم :

اذا وعدت جنبد ففي جودها الوعد وان سمحت يوما فنائلها ثمد

نظر الى قول المتنبي :

اذا غدرت حسناء وفت بعهدها فمن عهدها ألا يدوم لها عهد

ويلاحظ على قطعة تميم أن هذا البيت :

وعصيان دمع العين غدر بربه اذا بان عنه الصبر واحتكم الوجد

مستقى من بيت المتنبي في قصيدة أخرى :

فان دموع العين غدر بربها اذا كن اثر الغادرين جواريا (٢)

ولعل بيت تميم :

آمرني بالصبر وهي تصده ويعاذلني في السقم وهي له جند

---

١ - ديوان المتنبي جـ ١ ص ٢٤٤
٢ - المصدر السابق جـ ٢ ص ١٥١

معتمد في شطره الثاني على مطلع المتنبي في الشطر الثاني منه :

أود من الأيام مالا توده وأشكو اليها بيننا وهي جنده (١)

ويلاحظ على قطعتي تميم والمتنبي اشتراكهما في الاعتماد على التفكير الذي مال بهما الى تقرير الأحكام وتعقيد العبارة ، واشتراكهما في الطباق ، وفي فخامة العبارة .

وكان الوأواء الدمشقي ممن عارضهم تميم في مدائحه . وقد مرت بنا المقدمة التي تغزل تميم فيها في المذكر ، وهي مقدمة القصيدة التي عارض بها الوأواء (٢) .

فاذا قارناها بمقدمة الوأواء وجدناهما تتفقان في هذه الوجوه :

أولا — النسيب مذكر في كلتا القصيدتين .

ثانيا — الحديث عن سطوة العينين ، وتضاد لوني الصدغ والوجه بطريقتين متماثلتين .

ثالثا — استغلال الحروف الأبجدية في البيان .

رابعا — قال تميم عن خدي المحبوب وعينيه :

يا ساريي لحظيه ذدتكما لا تسلما الى العذارين

وياعذاريه ما أحسن ما برزتما فيه لي بعذرين

وقال الوأواء :

يا مرهفي مقلتيه دونكما قلبي فقداه بين نصفين

وياعذاريه هاكما كبدي فابتدرا نحوه بسيفين

والشبه ظاهر بين بنية البيتين الأولين والبيتين الأخيرين ، اذ يستعمل كلا الشاعرين النداء في مخاطبة العينين والعذارين .

---

١ — ديوان المتنبي جـ ١ ص ٢٥٥

٢ — انظر قصيدة الوأواء في ديوانه ص ١٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المـــــــدح

عاش تميم في ظل الخلافة الفاطمية ، ثالثة الخلافات في العالم الاسلامي . وكانت كل خلافة وكل امارة محوطة بالمادحين ، يغتنون بها ، ويتشيدون بمآثرها ، ويمجدونها بالحق وبالباطل . وما كان من المعقول ألا ينافس الفاطميـــون الحاكمين في الشرق والغرب ، ولا كان من الممكن أن يسكت تميم والشعـــراء من حوله يترنمون كالنحل بأمجاد الفاطميين . ولو فعل — وما كان أحسبـه اليه أن يفعل أحيانا — لزاد ما بينه وبين أبيه وأخيه سوءا ، ولعـــرض نفسه لمتاعب جمة . يقول ابن الأبار " وكان تميم لما استقر بمصر ، وتوفـــى أبوه في شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين ، وولى أخوه نزار يمدحه طالبـــا للسلامة منه ، لانه لم يكن يأمن عاديته بسبب انخلاعه عن العهد " (١) .

ولم يكن الشاعر في حاجة الى أن يمدح غير أبيه وأخيه ، ولم يكـــن مركزه الاجتماعي يسمح له أن يمدح غير الخليفتين . قال جامع الديوان " لم تذله رقة الطبع ، فيستذل مديحـــه ، ولم تطالبـــه مهانة السوقة نفـــش خطابه الملوكي صبحـــة ، بل كان هو مقصود الثناء ، محمود الفناء ، والسنـــة المدائح في مكارمـــه مطلقـــة الأعنة " (٢) . وهذا ما قاله جامع الديوان ، فقـــد رأينا أبا الرقعمق يمدح شاعرنا (٣) ، ولعله مدح بشعراء كثير لم يصلنا .

مدائح المعـــــز :

خاطب الشاعر أباه بضع عشرة مرة في الديوان ، ولكنه لم يكن مادحـــا في كل المخاطبات ، اذ نراه يشكر ، أو يعتذر ، أو يهنىء دون أن يمـــدح (٤) . ولكنه قد مدحـــه مدحـــا صريحـــا عدة مرات بقصائد ومقطوعات (٥) ، ومدحـــه مرة برجـــز ، ومدحــــه (٦) في نهاية طردية .

---

١ — ابن الأبار — الحلة السيراء ورقة ١٣٣ ٢ — ديوان تميم ص ٥ .
٣ — الثعالبي — اليتيمة جـ ١ ص ٣٠٥ ٥ — نفس المصدر ص ١٨٤
٤ — انظر الديوان ص ٤٩ ، ٥٥ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ٣٦٣ ٦ — نفس المصدر ص ١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويمدح الشاعر أباه بالأخلاق الحميدة التي عرفها الشعر العربي منذ الجاهلية ، ويغدق عليه الخصال الدينية ، ويذكره بصفات الحكم ، وبالصفات الشخصية ، والشجاعة والكرم من أظهر ما يمدح به المعز من الأخلاق التقليدية ، تلك الخلتان اللتان تناولتهما الأقلام المادحة في القرون الخالية حتى أذبلتهما . والبهاليل من الصفات التقليدية التي مدح به تميم أباه ، قال :

ان المعز الباذل الأكثرا   لم يبق من بذل نداه حرا (١)

ولا يقف الشاعر عند مدح أبيه بالصفات السابقة فقط ، بل يمدحه بالعفو وسعة الصدر كما في قوله :

رأيتك يغني العذر عندك كله   فترضى ، ولا يغني مواهبك القصد

ولا توحش الجاني إذا زل إنه   إذا اعتذر المعروف عندك والوعد (٢)

وقوله :

سمح السجايا مستهلا غمرا   أرحب من يمشي عليها صدرا (٣)

كما يمدحه بالعقل في مثل قوله :

وقل بالرأي العوالي السمرا (٤)

وصدق تميم ، فقد عرف المعز بمثل هذه الصفات ، وهو من خير من عرفهم التاريخ ، لين جانبه ، ورحابة صدره ، ورجاحة عقل ، وسعة حيلة .

ويمدح الشاعر أباه بالصفات الدينية . وقد تقترب هذه الصفات الدينية من الصفات الشخصية أو تختلط بها . قال يصف المعز بخوف الله :

المتقي من رهب الإله ، ولا يعدو عن حدوده سببا (٥)

وقد يصفه بالتقوى والوفاء بالنذر :

يدرع التقوى ويوفي النذرا (٦)

وقد يصفه بجميل الإحسان ، ومجانبة الآثام ، وعدم الاغترار بالدنيا كما قال في آخر الطردية :

---

١ — ديوان تميم ص ١٨٤
٢ — المصدر السابق ص ١٠٥
٣ — المصدر السابق ص ١٨٤
٤ — المصدر السابق ص ١٨٤
٥ — المصدر السابق ص ٥٦
٦ — المصدر السابق ص ١٨٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من لم يكدر منه صدواه ولم يحص انه تقواه
ولم تغير دينه دنياه (١)

وربما مدح تميم المعز بصفات الحكم كما في قصيدته التي مطلعها (٢):

الله مدت رقابها العرب والملك بات عليه منكب

وكما في اشارته اشارة عابرة الى الخطبة :

فلا تحسبوا اللفظ الذي سار خطبة ولكنه حلي لهم وقصور (٣)

وقد يمدح الشاعر أباه بالصفات الشخصية كما رأينا :

منهجه المدحة :

حين يبدأ تميم المدحة يهجم على المدح مباشرة كما في قصيدته التي مطلعها :

عليك سحت رقابها العرب والملك عليه منكب

أو يتخلص ويرجع كما في هذا المطلع :

لو أن أيام هذا الدهر تحتشم ما كان عنهن من العذل منصرم

أو يمزج كما في منظومته التي أولها :

شكا العود بالأوتار شجوا فأطربا وترجم عن معنى الضمير فأعربا (٤)

ولم يكن الشاعر يطرق في المديح ، وانما كان يزاحم أباه في المدحة ، وخير مثال قصيدته التي مطلعها :

بعد وجميع الوجد ما هيج البعد وأوجع منه قرب من قربه الصد (٥)

وتلك التي مطلعها :

لو أن أيام هذا الدهر..... .....

فان حديثه عن نفسه فيهما قد استغرق من كل منهما حوالي النصف، وهو

---

١ - ديوان تميم ص ٢٢
٢ - نفس المصدر ص ٥٥
٣ - نفس المصدر ص ٩٩
٤ - نفس المصدر ص ٣٦٣
٥ - نفس المصدر ص ٤٦
٦ - نفس المصدر ص ١٠٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإن نسي نفسه في بعض المدائح - جائر جداً على أبيه في تلك المقطوعة الغلمة " شكا السود ٠٠٠٠ " التي قال جامع الديوان انها في مدح المعز ، إذ تبدأ المقطوعة بالحديث عن السود المطرب الحنون ، والخمر والساقية المخضبة البنان " ثم ينتقل الشاعر الى الفخر ، ثم يختم ببيتين في مدح المعز .

وتنتهي المدحة بالدعاء[١] او بالصلاة أو السلام على المعز[٢] ، أو بالفخر بالنصر[٣] ، أو بغير لازمة[٤] .

فاذا نظرنا نظرة عامة الى المدح رأينا ما يلي :

أولاً - قلة نصيب المعز من المديح اذا قيس بما ناله الخليفة العزيز . ومرد هذه الظاهرة الى عامل الزمن ، فان المدة التي عاشها تميم في حياة أبيه شاعراً ناضجاً مدة قصيرة ، اذ مات أبوه وهو في حوالي الثامنة والعشرين من عمره . وربما كانت العلاقة السيئة بين الأب والابن من أسباب قلة المديح .

ثانياً - شيوع التكلف في تلك القصائد المختصة بالمديح وفي المدح التابع . وهذا راجع الى أن الشاعر كان لم يبلغ ذروة نضجه ، ولم يمرن قلمه على المديح ، والى أن العلاقة بين المادح والممدوح كانت سيئة .

ثالثاً - انعدام الابتداء بالوقوف على الاطلال وهي من دلائل استقراره واستقرار المجتمع الذي كان يعيش فيه .

مدح العزيز :

خاطب تميم أخاه بالشعر كثيراً ، فمدح ، وعاتب ، وشكا ، وواسى ودعا الى الشرب . ونصيب المدح مما خاطب به شاعرنا أخاه كبير ، فقد مدحه

---

١ - ديوان تميم ص ٦٩ ،٧١، ٧٨
٢ - نفس المصدر ص ٥٧ ، ١٠٦
٣ - نفس المصدر ص ٣٦٦ .
٤ - نفس المصدر ص ٤٦
٥ - نفس المصدر ص ٣٦٨

مديحا خالصا عشرات المرات ، وعود أن يقف على الخليفة جانبا من (١)
الطرديات والأراجيز يشيد به فيه ، ونظم في مديحه المخمسة المشهورة .

ويمدح الشاعر أخاه بالأخلاق الموروثة كالكرم والشجاعة والحلم والذكاء والسمو وغيرها ، وينسب اليه الخلال الدينية ، ويسند اليه صفات الحكم ، ويضفي عليه الصفات الثمينة . وتتجمع الصفات الموروثة في مثل قوله :

اذا رمت أن أثني بما أنت أهله من المدح أعجزتني خصائل أربع
نوال اذا قل النوال أفضته ورأى كحد السيف ، بل هو أقطع
وحلم اذا قلت حلوم ذوى النهى وطاشت حبا الأقوام لا يتضعضع
واشراق أخلاق صفت لي صفوة ورقت كما رق الشراب المشعشع (٢)

وقوله :

تلقاه في الحرب كرارا اذا استعرت وحام طير الردى بالمعشر النزل
حسام ما من عظيمات الأمور أبيـ ـن الحسم ، وصال ما منهن لم يصل
لا بالضعيف قوى الآراء عن حدث يروى الاثلم ولا الهيابة الوكل
ينال بالسيف ما عنها السيوف به وبالنباهة ما يعيى ذوى الحيل
يقظان حين ينام الخلق ، محترس مترف شيء عجلان ذو مهل (٣)

فالممدوح في النص الأول كريم ، ثاقب الرأي ، حليم ، عذب الأخلاق ، وفي الثاني مقدام ماهر ، ذكي ، ثابت ، واسع الحيلة ، متيقظ ، حذر ، يجمع بين الترف والخشونة ، والتعجل والتريث . ولم يكذب تميم في هذه الصفات ، فقد رأينا أخاه كذلك في حروبه وسلمه .

ومما يلفت النظر في الصفات التي خلعها تميم على أخيه كثرة حديثه عن بهائه الذي تمثل خير تمثيل في كثرة تشبيهه بالشمس والقمر . وكثير من تشبيهاته يراد بها البهاء (٤) . ويبدو أن العزيز كان يرتاح اذا سمع أحاديث بهائه ، وقد عرفناه رقيق الذوق ، بهي المنظر . فلم يكذب تميم

---

١ — ديوان تميم ص ٣٦٨
٢ — نفس المصدر ص ٣٤٠
٣ — نفس المصدر ص ٢٦١
٤ — الديوان ص ١٤٦ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣٦١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٤١٩ ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تميم في الحديث عن جماله أيضا . واذا كان عبد الملك بن مروان قد ضاق بعبيد الله بن قيس الرقيات لما قال فيه :

يعتدل التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب (١)

ورأى في ذلك ما لا ينبغي أن يقال ، فان الزمن قد غير النفوس بعده ، وهيأ لأبي نواس أن يقول في الأمين :

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر قمر تقطع دونه الأوهام (٢)

واذا نظرنا في الشعر المصري بعد تميم رأينا ابن النبيه كثير الوصف للممدوح بالجمال . وينسب الشاعر الى أخيه خلالا دينية ، كأن يجعله يصل الرحم :

أطاب لي العيش أني ملك منتصر بأنصر الناس للقربى وللنسب (٣)

أو يجعله بارا باليتامى :

ومن بر اليتامى من كل خلق سواه (٤)

ثم إنه يمدحه بصفات الحكم . واهتمام الشاعر بهذه الناحية يزداد ، فيقول :

سعى للسلم وقد أصبحت بها الحرب نزاعة للشوى
فكشف من ليلها ما سجا ولم من نهجها ما التوى (٥)

ويقول :

وسستهم بمحكم الآراء سياسة الوالد للأبناء
سالمة من فتن الأهواء منعما للعود والابداء
والأخذ في الدولة والاعطاء (٦)

فالنص الأول يرينا العزيز حاكما حازما يقضي على الفتن الناشبة في أطراف دولته ، ويزيل شرورها ، ويتدارك ما أحدثته الفتن من ضلال ، والنص الثاني يريناه أنه سياسيا يتسم بالحكمة والرفق والديمقراطية .

ومن صفات الحكم الحديث عن فصاحة الخليفة في الخطبة . واذا كان الشاعر قد ذكر خطبة أبيه ذكرا عابرا ، فانه قد وصف خطبة أخيه وظروفها ،

---

١ - ديوان قيس الرقيات ص ٢١
٢ - ديوان أبي نواس ص ٤٠٨
٣ - ديوان تميم ص ٦٩
٤ - نفس المصدر ص ٢٤
٥ - نفس المصدر ص ٩
٦ - نفس المصدر ص ١٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكرر وصفهما . وهذا مثل يتصل بالفصاحة وحدها :

وقمت بهم في منبر الملك خاطبا ... بما لم يقم ملك سواك ويخطب
وأفصحت حتى ليس إلاك مفصح ... وأسهبت حتى ليس إلاك مسهب
يشرطوا بالإله ، وتـارة ... تخوف من عصيانه وترهب
بيانا ووعظا قد تناهيت فيهما ... كأنك لم يسهاك قس ويحرب
وأفحمت الأسماع برهان حكمة ... يقصر عنها من يقول ويخطب
لأنك في بحر البلاغة مغرق ... وفي ساحق أرض النهوة منجب (١)

ويوف الارتباط الوثيق بين الخطبة والخلافة منذ كانت الخلافة .

أما الصفات الشخصية بين الخطبة والخلافة/منذ/كا فقد أكثر من إضافتها على المنبر كما مر بنا .

بنية القصيدة :

يفتتح الشاعر مدائح أخيه بالنسيب على عادة الشعراء ، أو بالخمر مثل :

وزنجية الآباء كرخية الحلب ... عبيرية الأنفاس كريمة النسب (٢)

وقد افتتح بغزل المذكر مرة ، (٣) وبوصف الحصان مرة (٤) . ولقد يفتتح بالحنين إلى الوطن (٥) ، أو بالفخر (٦) ، أو بالحكمة (٧) ، أو بالمدح مباشرة . ويزاحم أخاه في المدح مزاحمة شديدة ، إذ يفتخر فيطيل ، ويتحدث عن الخمر فيسهب ويغزل فيكثر ، ويشكو أو يشكر فيبلغ مشتهاه . وقد يقف القصيدة كلها على أخيه (٨) ، وقد يذهب هو بأكبر النصيبين ، وقد يجور على أخيه كما في المقطوعات التي يتحدث فيها عن أهوائه ، ولم يجعل لأخيه منها غير الذنب (٩) .

---

١ — ديوان تميم ص ٤٣
٢ — نفس المصدر ص ٦٢ وانظر كذلك ص ٧٨ ، ٨٦ ، ٣١٥ .
٣ — نفس المصدر ص ٣١١ ؛ ٤ — نفس المصدر ص ٥٣ ، ٢٠٤
٥ — نفس المصدر ص ٧ ؛ ٦ — نفس المصدر ص ٩٨ ، ٣٠٩ ، ٣٨٨
٧ — نفس المصدر ص ٤ ، ٢٤ ، ٥١ ، ١٤٥ ، ١٥٦ ، ١٨٣ ... الخ .
٨ — نفس المصدر ص ٥١ ، ١٠٠ ، ١٥٦ ، ١٦١ ... الخ .
٩ — نفس المصدر ص ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ١٦٢ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٨٥ ، ٣٢٤ ، ٤٠٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وربما كان انبساط الشاعر مع أخيه ، وإكثاره من الحديث عن مشاعره وأهوائه راجعين الى ما يلي :

أولاً - كان العزيز مرحا ، وكان مفرج الكلفة بينه وبين أخيه ، لذلك نرى تميما يدعوه الى الشرب[1] وإن أبا الرقعمق يمدحه بشعر أوله مجون .

ثانيا - شعور تميم أنه الأخ الأكبر جعل له دالة على أخيه .

ثالثاً - احساس تميم أنه أمير ، وأن الخلافة كانت في طريقها اليه لولا تدخل القدر ، فنفسه جديرة بأن يمدحها ، ويتغنى بأهوائها .

وقد جنح الشاعر الى الأسلوب غير المباشر في المدح قليلا ، فأنطق الليمون بقوله :

أنا الليمون قد غذيت عروقي بعرد الماء في حرز حريز
حصنت فليس يحسن أن يحلي بأمثالي سوى الملك العزيز[2]

وأجرى على ألسنة الشعرة حوارية مدح[3] .

ويختم تميم المدحة بالصلاة والسلام على العزيز ، أو بالدعاء له ، أو بالخبر بشعره . وقد يسري البدائع اللوازم في ختامها .

ويلاحظ على مديح العزيز عموما ما يلي :

أولا - الوفرة . وهي ترجع الى طول المدة التي عاشها الشاعر في ظل العزيز ، فقد بلغت حوالي تسع سنوات ، والى انقياد الشعر للشاعر ، فقد ازداد نضجا ، والى استعداد الشاعر النفسي لأن يمدح ، فقد كان الصفاء يظلل المادح والممدوح أحيانا ، والى الثواب الجزيل الذي كان يجود به المدح على صاحبه .

ثانيا - ذكر الحوادث التاريخية ، وتصوير الخليفة بطلا للجماعة . والسر في ذلك أن الدولة الفاطمية قد تعرضت لأخطار عظيمة في عهد العزيز

---

١ - ديوان تميم ص ٣٠٥
٢ - الحلة السيراء ص ١٣٤
٣ - ديوان تميم ص ٤١٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـ كما رأينا ـ وقد نهض الخليفة الشاب بأعبائها خير نهوض . والشاعر كان يرى مصير أسرته بمخاطر ، وملكها متعرض للزوال ، وكان يرى أخاه الشاب يتحدى الأعاصير بجسارة ، ثم انه قد شارك بنفسه في الحرب ، فمن الطبيعي أن يكون لهذه الحال صدى في شعره . ومن الأمور ذات الدلالة التاريخية أن الشاعر قد تحدث مرارا عن الأحداث التي تتعلق بالخصوم المشارقة ، وتحدث مرة في الديوان عن هزيمة جسيمة لحقت بالروم ، ولم يذكرهم مرة أخرى ، (١) ولم يذكر قط أحداثا تتصل بالمغرب أو الأندلس في ديوانه كله . والسبب أن شر المشارقة كان متصلا ، وشر الروم كان أهون لانشغالهم بالحروب الداخلية ، وأن الشقة كانت قد بعدت بين المعز وبين المغرب والأندلس .

ثالثا ـ ظهور الطابع المرح في مدح المعز . ولم يكن تميم مرحا في مدح المعز إلا في القطعة الخليعة .

رابعا ـ ظهور الاخلاص في المدح أحيانا ، وهو ثمرة العلاقات الحسنة التي كانت تظلل الأخوين في بعض الفترات .

خامسا ـ عدم الوقوف على الأطلال ، فلم يقف تميم في مطلع أي مدحة على الأطلال ، وإن فعل ذلك في الرجز (٢) ، والرائية التي ناقض بها ابن المعتز (٣) . وقد ثار أبو نواس على الوقوف على الأطلال ، ثم وقف عليها في المديح وغيره .

مدح تميم والشعر العربي :

اذا نظرنا نظرة عامة الى مدح تميم رأيناه ينظر الى الشعر العربي ككل الشعراء ، فيستفيد منه ، ويظهر أثر الاستعارة في أبياته ، ونراه يعارض قصائد مختلفة . ولقد أولع تميم بالجمع بين الكرم والشجاعة في البيت الواحد كما في قوله :

(٤)
كأن العطايا والمنايا بوابل   يجود بها في حين يرضى ويغضب

---

١ ـ المراد بالأحداث الأحداث المعاصرة لا الماضية .
٢ ـ ديوان تميم ص ١٧٥   ٣ ـ نفس المصدر ص ١٨٥
٤ ـ نفس المصدر ص ٤٢

ومثل هذا الجمع متكرر في ديوانه ، تجد له أمثلة متعددة (١) . وهو جمع معروف في الشعر العربي كما في قول طرفة :

يداه يد خيرها يرتجى وأخرى لأعدائها غائظة (٢)

أو قول حسان بن ثابت :

له كف تلين دما ، وكف عطايا جودها ريح الشمال (٣)

أو قول الأخطل :

له يومان : يوم قراع كبش ويوم يستظل به مطير (٤)

أو قول جرير :

ماري الجياد إذا السنين تتابعت ورفق الطعان مشية المصراد (٥)

أو قول ابن الرومي :

ماجفر حاربه الحوادث دوني بندى حاتم وبأس شبيب (٦)

أو قول ابن هانئ :

فارغب أو ارهب إن أيمانهم مبسوطة تسعد أو تشقى (٧)

أو قول الوأواء :

الذي لا تراه جد كان إلا واقفا بين نائل وعقاب (٨)

وفي اليتيمة بعض الأمثلة لهذا الجمع (٩) ، وفي ديواني الفرزدق (١٠) والسري الرفاء بعض منها (١١) . ولا نجد أبياتا تتم المماثلة أخذا ، بل نجد حذوا . وكقول تميم :

لمن يناس لو عدمنا وإذا جاد ينفس فهو ينساها (١٢)

---

١ — ديوان تميم ص ٦١ ، ١٥٧ ، ٢١٧ ، ٤٤٢ ، ٤٥٥

٢ — ديوان طرفة ص ١٠٥

٣ — ديوان حسان بن ثابت ص ٩٠

٤ — ديوان الأخطل ص ٢٠٤

٥ — ديوان جرير ج ١ ص ٤٨

٦ — ديوان ابن الرومي ج ١ ص ١١٣

٧ — تبيين المعاني في ديوان ابن هانئ

٨ — ديوان الوأواء ص ٩

٩ — اليتيمة ج ٣ ص ١٥٦ و ج ٤ ص ١٣ ص ٤٩٤

١٠ — ديوان الفرزدق ج ١ ص ٥٥ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٢١٩ ، ٢٩٢ ، ٣٤١ الخ

١١ — ديوانه ج ١ ص ٩ ، ١٤ ، ٢١ ، ٢٥ ، ٣٥ ، ٤٧ ، ٥٧

١٢ — ديوان تميم ص ٤٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومثله قول السري :

ناس من الجود كل ما يجود به ... وذاكر منه كل ما وعدا (١)

وقد قال قبلهما ابن الرومي :

مهما وجدت فيه ذكور ومحتسب ... وما اصطنعت فشيء غير محتسب (٢)

وقال تميم يمدح أباه :

أغر أروع وضاح لناظره ... كأنه في أعالي هاشم علم

حلو الشمائل في أخلاقه شرس ... طورا ، ولين ، وفي عرنينه شمم (٣)

يلقى ذوي الغنى والعدم منه بلا ... وليس تخذله في صالح نعم (٣)

وقد اجتمع في قوله آثار من الخنساء والفرزدق معا ، اذ أخذ من كل منهما لبنات ضمنها الابيات . وشعر الخنساء المراد هو :

لغر أبلج تأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار (٤)

وشعر الفرزدق المنظور اليه هو :

بكفه خيزران ريحها عبق ... من كف أروع في عرنينه شمم (٥)

وربما قال قائل : ان أبيات تميم متأثرة بالفرزدق وحده ، فقد جاء في قصيدة الفرزدق الميمية هذا البيت :

هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم (٦)

ويرد بأن بيت تميم فيه ثلاث كلمات من بيت الخنساء ، وكلمة رابعة هي " أروع " لها وزن كلمة " أبلج " التي في بيت الخنساء ولها معناها أيضا ، بينما بيت الفرزدق ليس فيه الا كلمة واحدة موجودة في بيت تميم ثم أن صفة الشموخ التي قصدها تميم أظهر في بيت الخنساء منها في بيت الفرزدق .

---

١ — الثعالبي — اليتيمة جـ ١ ص ٤٦٣
٢ — ديوان ابن الرومي جـ ١ ص ٢١٤
٣ — ديوان تميم ص ٣٦٦
٤ — ديوان الخنساء ص ٨٠
٥ — أبو الفرج — الاغاني جـ ١٩ ص ٤١ (طبعة ساسي)
٦ — نفس المصدر ونفس الصفحة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمـــيم وأبو نواس :

يشير أبي نواس بعض الأثر في مديح تميم ، فيقوله :

فامضت عزمك حتى أخفت ... به في بطون النساء الأجنة (١)

يشبه قول أبي نواس :

وأخفت أهل الشرك حتى انه ... لتخافك النطف التي لم تخلق (٢)

وقوله :

حتى الذي في الرحم لم يك صورة ... لفؤاده من خوفه خفقـــــان (٣)

وقد عارض شاعرنا رائية أبي نواس المشهورة التي أنشدها بين يـــدى الخصيب (٤) ، وانتزع منها بعض الصور والألفاظ ، وان خالفها في عـــدد الموضوعات ونوعها وترتيبها . قال تميم يمدح أخاه :

تباشرت الدنيا به وبملكـــه ... وأشرق منه منبـــر وســـرير

وهذا معتمد على قول أبي نواس :

زها بالخصيب السيف والرمح في الوغى ... وفي السلم يزهـــو منـــبر وسرير

وقال شاعرنا :

فدم لأبي المنصور يا ملك سالمـــا ... فليست عليك الدائرات تـــدور

ومنه مأثر مجلو بيت أبي نواس :

فتى يشترى حسن الثناء بماله ... ويعلم أن الدائرات تـــدور

تـــميم وأبو تمـــام :

تأثر تميم في مدحه بعض التأثر بأبي تمام ، نقد ما اتهموا أفتكـــين قال تميم في عزيز مديح أخيه :

فان يك بدر لم يفن بشبيهــه ... فذى الوقعة الكبرى شبهتها بدر (٥)

وكان أبو تمام قد قال في يوم عمورية يخاطب المعتصم :

ان كان بين صروف الدهر من رحم ... موصولة أو ذمام غير منقضب

فبين أيامك اللاتي نصرت بهـــا ... وبين أيام بدر أقرب النسب (٦)

١ـ ديوان تميم ص ٤٢٤ ، ٢ـ ديوان أبي نواس ص ١٤٠ ، داعي الدعاة ص ١٦٤

٣ ـ ديوان أبي نواس ص ٤٠٦ ، ٤ ـ ديوان تميم ص ١٤٢ وديوان أبي نواس ص ٤٥٠

٥ ـ ديوان تميم ص ٢٠٢ ، ٦ ـ ديوان أبي تمام ص ١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والشبه بين القولين ظاهــر •

وقد عارض تميم بائية عمورية التي مطلعها :

(١) السيف أصدق انباء من الكتب   في حده الحد بين الجد واللعب

بقصيدة مدح بها العزيز مطلعها :

(٢) قواضب الرأى أمضى من شبا القضب   والحزم في الجد ليس الحزم في اللعب

ويمضى شاعرنا يأتى بالحكمة تلو الحكمة متأثرا بالشاعر السابق • ثم ينتقل الـــى المدح ، فيتضاءل أثر أبى تمام ، ويكاد ينحصر في استعارة القوافى • ولا يصــح أن يتخذ تضاؤل الأثر الذى تركه أبو تمام على المديح دليلا على أن الشاعــر المتأخــر لم يعارض المتقدم عامــدا ، فان الاقتراض في الحكم بين •

تميــم والمتنبى :

أثر تميم تأثرا ظاهرا في المديح ، فيضمن بعض أشطار من شعره ، واقــترض بعض معانيه • فقد قال تميم في معرض مدحه العزيز لما انهزم أسطـــول الـــروم :

(٣) ولم تدع منهم بيض السيوف سوى   من قد حماها اللمى والدل والخفر

وقال السرى الرفاء :

ألفت ظباك الروم حتى انهـــا   لم تبق الا ضبية أو ريمـــا

وأشار الثعالبى الى أن قول السرى مأخوذ من قول المتنبى :

(٤) ولم يبق الا من حماها من الظبى   لمى شفتيها والثدى النواهد

وهكذا استعار الشاعران معناهما من المتنبى •

(*) وقد عارض تميم عدة قصائد للمتنبى ، وقلده في جوانب منها أو حـــذا حذوه ، واستعار منه بعض معانيه • وكلما تقدم الزمن بالشاعر المصرى زادت معارضاته لأبى الطيب استقلالا في معانيها • ومن معارضات تميم المبكرة قصيدته

---

٣ — اليتيمة جـ ١ ص ٤٠٣   ١ — ديوان تميم ص ٦٨
٢ — نفس المصدر ص ١٨٣   ١ — ديوان تميم ص ٧
• — انظر ديوان تميم ٣٤ ، ١٠٢ ، ٢٨٨ ، ٣١٣ ، ٣٨٨ • وانظر على التوالى ديوان المتنبى جـ ٢ ص ٤٩٨ ، جـ ١ ص ٢٤٥ ، جـ ١ ص ٤٠٣ ، جـ ٢ ص ٢٠٨ ، جـ ٢ ص ٢٨٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التي مطلعها :

بمثل رجع الوجد ما هيج الهند   وأرجع منه قرب من تهوه الصد (١)

وهي معارضة لقصيدة المتنبي التي مطلعها :

لقد حازني وجد بمن حازه بعد   فياليتني بعد ويا ليته وجد (٢)

وقد ضمّن المتنبي شطري بيت تميم :

وما راح عن كسب المعالي مقصرا   (ولو خبأته بين أنيابها الأسد)

وبيت المتنبي هو :

بصير بأخذ الحمد من كل موضع   ولو خبأته بين أنيابها الأسد

واستعار شاعرنا معنى الشطر الثاني من بيت المتنبي :

وأنفسهم مبذولة لوفودهم   وأموالهم في دار من لم يفد وفد

ونشره في بيته :

اذا زاره وفد غدا من تليده   وطارفه عند الذي لم يزر وفد

كما نظر الى قول المتنبي :

وأصبح شعري منهما في مكانه   وفي عنق الحسناء يستحسن العقد

وقال :

وليس لكل الناس يستحسن الثنا   كما ليس في كل الطلا يحسن العقد

هذا أهم ما استعاره تميم لداليته من دالية المتنبي . وقد استعار لهما معاني أخرى في المديح من قصائد أخرى للمتنبي . قال الشاعر المصري :

ولو كثر السائلون نصابك لم يكن   لطيبه منك الآن عن كرم رد

وجاء المتنبي بهذا المعنى من قبل في قوله :

لو كفر العالمون نعمته   لما عدت نفسه سجاياها (٣)

وتحسن الاشارة الى أن للمتنبي قصيدة لها وزن الدالية التي عارضها تميم ولها قافيتها ومطلعها :

أقل فعالي بله أكثره مجد — وذا الجد فيه نلت أم لم أنل جد (٤)

---

١ - ديوان تميم ص ١٠٢   ٢ - ديوان المتنبي ج ١ ص ٢٤٤

٣ - نفس المصدر ج ٢ ص ٥٠٨   ٤ - نفس المصدر ج ١ ص ٢٣٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهي قصيدة لا يكاد يتغزل فيها ، وانما يمضي في المدح ويشير اشارة عابرة الى أنه يحكي نقد من العجب . ونرجح أن تميما عارض الدالية السابقة التي ناقشنا بعض معانيها لأن أثرها أكبر من أثر الدالية التي مطلعها نخر . ولم تخل قصيدة تميم مع ذلك من أثر لدالية المتنبي الثانية ، ولكنه أثر قليل ظهر عندما افتخر تميم بعد أن قضى أربه من الغزل .

وقصيدة تميم التي مطلعها :

ما قال أوه لفقده واحسنا ... كمستريح للسلوه آهــا (١)

من قصائده المتأخرة ، فقد نظمها في مدح العزيز معارضا بها قصيدة المتنبي في مدح عضد الدولة :

أوه بديل من قولتي واهـا ... لمن نأت والبديل ذكراهـا (٢)

وقد تأثر شاعرنا في مديحه بالشاعر السابق ، ولكنه التأثر الذي لا يؤاخذ عليه ، فانه قد نظر الى مدحة عضد الدولة نظرة فاحصة ، ثم ذهب يعارضها معارضة الند سالكا طريقه الخاص ، صابغا شعره بالتشيع .

تميم وابن هانئ :

لابن هانئ قصيدتان متحدتا البحر والقافية ، أولاهما في مدح المعز ومطلعها :

تقدم خطى أو تأخر خطى ... فان الشباب مشى القهقرى (٣)

والثانية في رثاء والدة جعفر ويحيى ابني علي ومطلعها :

ألا كل آت قريب المدى ... وكل حياة الى منتهى (٤)

وكان منتظرا أن يعارض تميم بقصيدته التي مطلعها :

أمنذلا وما عذلتي النهي ... ولا طرد الحلم عني الصبا (٥)

قصيدة لابن هانئ في مدح المعز ، ولكنه عارض بمدحه العزيز المرثية ، بدليل اتفاق مدحة العزيز والمرثية في التحدث عن الزمن ، والفخر بالنفس ، وبدليل اعتماد تميم على معاني ابن هانئ في الغرضين المذكورين وفي المديح ، وبدليل تضمينه

١ ـ ديوان تميم ص ٣٤   ٢ ـ ديوان المتنبي جـ ٢ ص ٤٩٨
٣ ـ تبيين المعاني في ديوان ابن هانئ ص ٧٧٣   ٤ ـ نفس المرجع ص ٧٨٥
٥ ـ ديوان تميم ص ٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لهذا الشطر من المرثية :

وقلبا يصبر على الفلا

وفي المرثية مديح لجعفر ويحيى منه هذا البيت :

فلم تغمد السيف حتى انثنى   ولم تصرف الرمح حتى انحنى

وما أشبهه ببيت تميم :

فلم تصدر الرمح حتى انثنى   ولم تغمد السيف حتى انفرى

وهناك تشابه عام بين القصيدتين يستدل عليه بقول ابن هانئ في مدح أحد المعزين :

فمن قومك الصيد صيد الملوك   ومن قومها الأسد أسد الشرى

وقوله فيه أيضا :

فضلك يرقى ولا يستجيب   ونارك تذكى ولا تصطلى

وقوله في قبر المتوفاة :

بكته المغازي وبيض السيوف   وهذى المناجيح قب الكلى

وقوله ان قبر المتوفاة لو كان في بلاد العرب :

أتته الحجيج من الراقصات فمنها فرادى ومنهما مثنى

وثم شبه عام بين الأبيات السابقة وأبيات تميم التي أولها :

يقود الى الحرب من جنده   أسود رجال كأسد الشرى

وثانيها :

فلولا الامام المعز الذى   تداركهما وهي لا تصطلى

وثالثها :

كأن الهام سكارى تجول   بها الخيل في النقع قب الكلى

ورابعها :

وقفت على البحر بحر الذكور   فناء يمد الفرادى مثنى

ونرى الشبه بين أبيات المجموعتين يزداد تضاؤلا باستمرار ، فبعد أن كان شبها في ألفاظ ومعان مطروقة في البيت الأول عند كل من الشاعرين ، زاد الشبه المعنوى واللفظى ضآلة في البيت الثانى عند كل منهما ، ثم ان الشبه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في البيت الثالث عند كل منهما يقف عند الصفة ؛ أما في البيت الرابع من كل من المجموعتين فإن التشابه لا يتعدى بعض الالفاظ مع اختلاف ما تؤديه الالفاظ المتشابهة .

تميم والوأواء الدمشقي :

مدح الوأواء سيف الدولة بقصيدة مطلعها :

صولج الآمين في عذارين ... في ذهبيين جوهريين (١)

فعارضها تميم بقصيدته التي مطلعها :

الآن قد الفؤاد يحسين ... فيه ؛ وأجرى الدموع نوعين (٢)

وأعلن معارضته لها مفتخرا بقصيدته :

تزري بألفاظها العذاب على ... (صولج الآمين في عذارين)
وتحتقر قلة إذا ذكرت ... (في ذهبيين جوهريين)

وقد رأينا العلاقة بين غزل تميم وغزل الوأواء . ويتشابه مدحا الشاعرين ؛ قال تميم يمدح أخاه :

المخجل الغيث راحتاه إذا ... جاد بعينين مرزمين ~~أنصف في الحكم بين شكلين~~

وقال الوأواء : من قاس جدواك بالغمام فما ... أنصف في الحكم بين شكلين

وقال تميم :

برزت كالشمس يوم أسعدها ... بل زدت نورا على النيرين
كأن في السرج منك منتصبا ... بدر سماء ولمت شبلين

وقال الوأواء :

ينظر منك الأنام بدر دجى ... وما رأينا فاتك الفراين
والشمس لما برزت بارزة ... والأسد الباسط الذراعين

وقال تميم :

يا ابن نبي الهدى وأفضل من ... يسمو بجدين هاشميين
من ذا كمنصورك المبارك أم ... عزك الراضيين هذين
أم من يدانيك في أبوته ... من علويين فاطميين

---

١ - ديوان الوأواء الدمشقي ص ١٧ ... ٢ - ديوان تميم ص ٤٠٨

وقال الوأواء لسيف الدولة :

قل لسمي الوصي يا ثاني السـ ـبطين ويا ثالث الريحانتين

ويا هلالا بدت مطالعـه في أفق بدرين علويين

ويلاحظ على البيتين الأولين تشابههما في المعنى العام ، واختلافهما في التعبير ، ويلاحظ على البيتين التاليين اتفاقهما في تشبيه الممدوحين بالشمس والبدر والأسد ، واختلافهما في نسق التشبيهات وفي زيادة التشبيه بالصارم عند الوأواء ، ويلاحظ على البيتين الأخيرين أن الشبه بينهما عام ، اذ أن تميما لما رأى الوأواء يذكر كلمة الوصي ذكرا عابرا مشيرا الى التشابه في الأسم بين الامام علي وسيف الدولة ، ويشيد بأصل الممدوح وانتمائه الى الوصي والنبي ، والتفخر بالأصل الفاطمي ، وهذا الفخر تحدى لذلك .

ولا نستطيع أن نقول إن تميما سارق ، فان ما توارد عليه الشاعران معان عامة في المدح ، والاثر في النسق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الوصـــــــف

قــرأ تميم كثيرا من الأوصاف البدوية والحضرية التقليدية في الشعر العربي وتأثر بها وأحب البيئة المصرية الزراعية الحضرية ، فراح يطالعها صباح مساء فيرى ظواهرها الطبيعية والانسانية والاجتماعية • وكان هو من الشعراء الوصافين ، يدل على أصالة نزعته الى الوصف أنه كان يبتدىء به بعض قصائده (١) فقد افتتح بوصف الحصان قصيدة مدح بها أخاه ، وبوصف الناعورة والرياض قصيدة هجا بها الحزب الأموي (٢) • وليس شعر الوصف عنده قليلا ، بل هو جانب كبير من جــوانب الديوان ، بعضه مستقل ، وبعضه تابع كالمثالين السالفي الذكر •

يصف تميم الظواهر الطبيعية كالسماء والأجرام والهواء والسحاب والليل والنهار، والصحراء والسراب والورد ، والنهل والغدران والبرك ، ويصف المشاهد الانسانيــة كالقصور والمجالس والفوارات والبرك الصناعيــة ، وكالأطلال ، وكالمراكب والسلاح والأسلحة وبعض الآلات الموسيقية والشموع ، ويصف بعض الحيوانات كالحصان والناقة وكلاب الصيد ، وبعض الطيور كالباز ، ويصف من النباتات الرياض والكرم ، والفواكه كالتفــاح والخوخ والعنب والمشمش والأترج والليمون ، والنيلوفر والياسمين والخيم والورد والنوار والسوسن والنرجس ، ويصف بعض الظواهر الاجتماعيــة كالاحتفال بالعيدين ، ويصــف المأكولات أحيانا • وهكذا صور الموضوعات البدوية والحضرية •

ولتميم في الوصف لغتان : اللغة الأولى هي اللغـة المتسمة بالوعورة • وتستخدم هذه اللغـة حين ينظم الرجز ، فيصف به الفلاة والمطية والسراب والمورد والســلاح والقلة والسحاب والبرق والرعد والمطر وما يطلعه المطر من النباتات (٣) والصيــــد ، وربما وصف بها التشوق الى الحبيبة ، أو الشرب • قال يصف الفلاة :

وصامت الجو بعيد المرقــد • مشتبه الأعــلام جهم المشهــد
مرت الرياح عارى السراب ندده • يحارضه كل هـــاد مهتــد
صلد النبايت صليب الجلمد • يمرض فيه الريح بعد المقصــد (٣)

ويمضي الشاعر بعد هذه الأبيات في وصف المطايا وغيرها باللغة نفسها • وله عدة

---

١ — ديوان تميم ص ٣٤١
٢ — نفس المصدر ص ١٢١
٣ — نفس المصدر ص ٢٤٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منظومات من هذا النوع ولعل صعوبتها راجعة الى أنها فن يلائمه أن يكون (١) كذلك ، فقد ارتبط الزجر بالاعراب من جهة ، ودارت تلك المنظومات في جو بدوي يوحي بلغة غليظة من جهة أخرى .

ومهما حاول الانسان فانه لن يستطيع أن يتخلص من أثر بيئته . واذا كان تميم قد نجح في ترصيع لغته فانه لم يستطع أن يجعل سجيته الحضرية تلاشى كل التلاشي في أرجازه ، قال : (٢)

والنجم الجوزاء لم تبدد ... كأنها لآلئ لم تعقد
سابحة في فلك من عسجد ... وتارة تسبح في زبرجد
ضمن التدارك في أثناء جسد ... كأنما شعراء اذا لم تخمد
جمانة في كف عبد أسود

فهذا خيال حضري ترف ، لا يكتفي بتشبيه النجوم باللآلئ ، فيشبهها باللآلئ متفرقة ، تخوض فلكا من الذهب أو الزبرجد ، هو من الأنماط الشعر المجسد الطويل . ويخص الشعرى فيشبهها بحبة اللؤلؤ في كف عبد أسود . وما أشبه الصورة الأخيرة بقول المعري فيما بعد :

لليلتي هذه عروس من الزنـ ... ـج عليها قلائد من جمان (٣)

واللغة الثانية التي يستخدمها تميم في الوصف هي اللغة السهلة . وهي التي عالج الموضوعات الحضرية من ظواهر طبيعية وحيوية واجتماعية ، ومشاهد انسانيـة .

ولم ينس الشاعر لغة الانطلاق في الوصف ، فجعل القصر يتحدث عن نفسه فيقول :

ان يحسد الصبح اشراقي فحدور ... من تشرق الشمس والأفلاك والنور
أطاعني الحسن وانحط الجمال على ... سمكي وأسعد بنياني المقادير

---

١ - ديوان تميم ص ١٢ ، ١٦ ، وانظر كذلك ص ١٧٥
٢ - نفس المصدر ص ١٣٤ ٣ - سقط الزند ص ١٢٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فساحتي يا بن هادي الخلق مشرقة   ومنزلي بالعلا والمجد معمور
دانيه منح بعيد ما يقاربه   خفض وطيب وتقديس وتطهير
يحله النيل أركاناً منازله   إذا بدت للصبا فيه تواسير
ولا تزال تلاقيه يخطفها   من كل وجه رياض أو أزاهير
ولست بالقفر والبيداء محدقة   ولا على غبار الترب منشور
من حلني فهو ساكن المبتهج   ومن رآني قرير العين مسرور (1)

البيئة المصرية في وصف تميم :

من حق البيئة المصرية علينا أن نخصها بوقفة لنراها في شعر تميم ، ففي شعره تصوير لمظاهرها المتميزة ، ومشاهدها العامة . فالنيل العظيم الذي تكرر الحديث عنه في الديوان ، يتفرغ له تميم فيصفه حينا (2) ، ويمدحه ويصف الديوان (3) مصعده حينا آخر (4) ، وقد تكرر وصفه للنيل أيام الفيضان ، قال يصف اتصال النيل في مدحة من مدح أخيه :

وزادت حدود النيل حتى كأنها   أتته ارتياحا تقذف الموج أو رهب
كأن بياض الماء فاض على الثرى   بمسك ، وضجت فيه عنبرها الترب (5)
ويد نصب الغلمان حتى كأنها   مدائن تدعو من جيوشك بالحرب

وقال يصف النيل وركوبه :

يا حبذا حلوان والنيل   يرح بحسن اللهو مأهول
وحبذا مركوبه إذ هم   على جناح الريح محمول
كأنه في الماء زنجية   لها من الموج أكاليل
والنيل في رونق شمس الضحى   سيف صقيل المتن مسلول
حتى إذا ما درجته الصبا   وماج منه العرض والطول
فهو لمن أبصره جوشن   عليه نهاد الأرض مسدول

---

1 — ديوان تميم ص ١٢١
2 — نفس المصدر ص ٤٠ ، ١٤٠ ، ٢٠٠ ، ٩
3 — نفس المصدر ص ٦ ، ١٤٠ ، ٢٠٥ ، ٢٨٠ و ٢٢٤
انظر وصف بركة متصلة به ص ٩٩ ، ٢٤٢
4 — نفس المصدر ص ٦٤
5 — نفس المصدر ص ٢٢٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو حبك ترصعها جوهر ... عدد فيهن محلول

نادمت فيه الحور أكتبه ... أهيف فوق الردف مجدول

أكثرما يبذل من وصلـه ... لثم على الكأس وتقبيل (١)

وفي الديوان صور متكررة لوصف الاحتفال بالعيد ، منها وصف الاحتفال بعيد الفطر :

لئن أتى العيد من لقياك في فرج ... لقد مضى الصوم من مناك في نسكل

برزت فيه بروز الشمس طالعة ... وقد أعاد الضحاء النقع كالطفل

والبيض تزهر والأعلام خافقة ... والأرض في رهج والجو في زجل

فليس يعرف لحظ الشمس مرسله ... إلا إلى سابح في الأرض أو بطل

والشمس فوق مدار الجيش قد حجبت ... في جوها بفنون البيض والأسل

حتى بلغت المصلى خاشعا نسكا ... خشوع جدك في أزمانه الأول

قمت فيهم خطيبا مصقعا لسنا ... بكل منفصل نثرا ومتصل

فأي قلب جليد لم يرق لها ... وأي مقلة موعظة غراء لم تقل

بلاغة تبرى النظم محكمها ... وخطبة لم يشنها مهمل الخطل

أبنت بالحق ما قد كان مشتبها ... من الهدى فتجلى كل مشتكل

برهان صدق شفعت الارشاد به ... وشفته بين بث القول والعمل

نالوا بما صمموا الزلفى فما افترقوا ... الا وهم من رضا الرحمن في جمل

صلوا وراءك والأملاك خلفهم ... مصلين لأعلى السؤل والأمل (٢)

وهذه صورة صادقة ، رآها الشاعر فرسمها ، وها هو المقريزي ينقل عن المسبحي وصفا لعيد الفطر ، وما كان فيه من ركوب الخليفة فيقول : " وفي يوم العيد ركب العزيز بالله لصلاة العيد ، وبين يديه الجنائب ، والقباب الديباج بالحلي والعسكر في زيه من الأتراك والديلم والعزيزية والاخشيدية والكافورية ، وأهل العراق بالديباج المثقل ، والسيوف والمناطق الذهب ، وعلى الجنائب السروج (٣)

١ — ديوان تميم ص ٣٣٤

٢ — نفس المصدر ص ٣٤٩ وانظر الصور المماثلة ص ٤٣ ، ١٤٣ ، ٣٤١ ، ٤١١

٣ — اتعاظ ج ١ ص ٢٦١

الذهب بالجوهر ، والسرج بالعنبر ، وبين يديه الفيلة عليها الرجالة بالسلاح والزرافة . وخرج بالمظلة الثقيلة بالجوهر ، وبيده قضيب جده - عليه السلام - فصلى على رسمه وانصرف .(١)

أرأيت الشبه بين ما جاء في النص السابق وبين ما جاء في شعر تميم ، وان عبر كل من النصين عن احتفال العيد بأسلوبه الخاص ، فأطال أحدهما أو فصل حيث أوجز الآخر أو أجمل . إن رواية المؤرخ المصري تثبت أن تميما صادق الأداء .

ولم ينس الشاعر النيروز ، وهو عيد جرى الفاطميون على الاحتفال به كل عام ، فوصفه أيضا بعد الفراغ من تهنئة أخيه :

ذكرتك ما بين كر الكؤوس ... وقد أتبل اللهو مرخى العنان
وقد جاوب الزهر في جنبه ... مع النم ترجيع صوت المثاني
وجاوب لسية فاختة ... وطالتهما نغمات القيان
ونحن نعوم وسط الكؤوس ... تخالها حبب كالجمان
ولما تبدت مراجيحنا ... تحركها بالغواني الغواني
ونحن من المائن في واسل ... مشوب بخمر وصلة وبستان
فمن حامل رثى زرافة ... ومن قاذف بسلاف القيان
وقد مد في النيل بدر الدجى ... صفيحة سيف صقيل يماني (١)

ألا ما أطرف ما صور تميم صخب الاحتفال ، وما دار فيه من مجون ولهو في الليل ، على شاطئ النيل الذي يتألق تحت ضوء القمر كالسيف اليماني المصقول ، فسمع الموسيقى تصدح ، والمغنيات تغني ، والأراجيح تهتز ، ونرى الشرب تدور عليهم الكؤوس والمابين يرشون الخمر على الناس بالمنازف والقنينات ، ونبصر النسوة عند الأراجيح طائفتين : طائفة تركب وطائفة تدير . ومن يعرف الموالد المصرية يجد لها فيما قال تميم ، فالعزف والغناء والسكر والأرجحة والمابينات عناصر رئيسية فيها إذ ذهبت القرون وبقيت هي ، وكأنها أطياف تراود مصر من الماضي . وما أشبه ما له تميم بما وصفه المقريزي النيروز .(٢)

١ - ديوان تميم - ص ٤١٦

٢ - انظر الفصل الأول من الباب الأول

١ - المقريزي - اتعاظ الحنفا ص ٤٥١

وقد أشار تميم الى عيد الغطاس [1] ، ووصف مواكب الاحتفال التي كان يراها دائما [1] .
وما زلنا الى اليوم نحتفل بارسال الكسوة الى الكعبة • وهذه سنة سنها الفاطميون •
ولم يفت تميما أن يصف الكسوة أو القميص كما يسميها هو • وقد وصف المقريزى كسوة أعدها المعز للكعبة [2] ، وأوصافها تكاد تكون شرحا لأبيات تميم ، فليس بعيدا أن تكون الكسوة التي وصفها المقريزى هي التي وصفها تميم ، لأن المعز لم يمكث في مصر الا أقل من ثلاثة أعوام [3] •

والشيء الجلي في شعر تميم أنه كرر وصف الاحتفال بعيد الفطر ، حتى ان القارئ ليظن أن أوصافه الطويلة للموكب والخطبة والصلاة جميعها لعيد الفطر ، اذ أنه ذكر في بعضها اسم هذا العيد ، وترك بعضها دون أن يذكر فيه أى العيدين ولم يذكر فيه الأضحى ذكرا صريحا في أى منها • ولعل هذه العناية راجعة الى أن عيد الفطر كان أبهج الأعياد ، وأحبها الى الناس ، لأنه يشير الخلاص من أسر رمضان • وقد عبر شاعرنا عن هذا مرة حين هنأ أخاه به ، فأظهر الشماتة بزوال الصيام ، وأعلن فرحه بزوال الصيام على اللذة والقصف [4] •

وفي الديوان أوصاف أخرى غير ما ذكرنا ، فقد وصف الشاعر بعض مشاهد مصر كالنواعير والبساتين التي أكثر الفاطميون من انشائها [5] ، ووصف النواعير الدائمة الأنين [6] والقصور [7] • وبين القبة والقبة تسمع صلصل النواقيس منبعث من دير القصير [8] مألف تميم ومجلس أنسه الذي ذكره كثيرا ووصفه • ولكن فاته وصف الأهرام وأبي الهول فلم يذكرهما في شعره قط ، مع أنها كانت على طرف الصحراء غير بعيدة عنه •

وصف تميم والشعر العربي :

قلد تميم الشعراء القدامى في وصف البيد ووحشتها واقفارها ، وما فيها من أطلال وآل ، وما يختلف عليها من آل ليل ونهار ، وسحاب وبرق ورعد ومطر

---

١ — ديوان تميم ص ٢٠٨
٢ — نفس المصدر ص ٩٥
٣ — نفس المصدر ص ٩٥ • وانظر الخطط جـ ١ ص ٤٨٠ ٢ واتعاظ الحنفا ص ١٩٣ ١ والفاطميون في مصر ، حاشية ص ٢٠٦
٤ — ديوان تميم ص ٤١٣
٥ — نفس المصدر ص ٢٠ ، ٤١١ ، ٢٩٤ ، ٢
٦ — نفس المصدر ص ٢٤٥
٧ — نفس المصدر ص ١٢٨ ، ١٧١
٨ — انظر حاشية الهامش

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قد يجرى فيها فيطلع بعض النبات ، وجاراهم في وصف الراحلة والسرى في جوف الصحراء • واصطنع لأوصافه تلك لغة قريبة من لغة القدامى • ومعروف أن الأوصاف ـ ولا سيما الحضرية ـ من أبرز فنون الشعر العربي المتحضر • ويرى آدم متز أن الشعر الوصفي كان عوضا عن التصوير الذي نبذه العرب ، ثم قوى تياره لما حمل العرب الشعوب المحكومة على استبدال اللغة بالهجنة ، فأصبح شعر الوصف يقتضيها الزهد • ويعتبر الصنوبري وكشاجم من وصافي الطبيعة الكبار.(١) ويقول(٢) وفي أواخر القرن الرابع أولع الأدباء بوصف جميع الأشياء على اختلافها فنجد وصف المراب التي تجانب وصف الشاعر صورته في المرآة ، وذلك ارضاء لرغبة الناس في المستحدث • وقد وصف المأموني الشاعر بخاري جميع أصناف الأطعمة من جبن وزيتون ، والسمك المشوى ، وماء الخردل والبيض المقلى والفالوذج والهريسة وغيرها كثير.(٣)

والحق أن نزعة الوصف كانت قوية في القرن الرابع حتى لقد نافس النثر فيها الشعر • ولكن الولوع بوصف كل شيء لم ينتظر نهاية القرن ، فان ديوان كشاجم الذي عد من وصافي الطبيعة فيه قطع كثيرة يصف بها الأطعمة والعود والقيثار والدواة والمحبرة والسكين والقلم وغيرها • وكشاجم من الشعراء الذين عاشوا في النصف الأول من القرن الرابع • والقرن الرابع قرن تنم ، لهذا فما كان له إن يعزل تيار الوصف القوي فيه ، فجاراه ، وعالج موضوعات عالجها معاصروه •

وقد وصف البحتري خروج المتوكل لصلاة عيد الفطر فقال :

أظهرت عز الملك فيه بجحفل لجب ، يحاط الدين فيه وينصر
خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت عددا يسير بها العديد الأكبر
فالخيل تصهل والفوارس تدعي والبيض تلمع والأسنة تزهر
والأرض خاشعة تميد بثقلها والجو معتكر الجوانب أغبر
والشمس ماتعة توقد بالضحى طورا ، ويطفئها العجاج الأكدر
حتى طلعت بضوء وجهك فانجلت تلك الدجى وانجاب ذاك العثير

---

١ ـ الحضارة الاسلامية جـ ١ ص ٤٢٧ ٢ ـ نفس المصدر ص ٤٢٩
٣ ـ نفس المصدر ص ٤٤١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتف فيك الناظرون فاصبع — يومى اليك بها وعين تنظر
يجدون رؤيتك التي فازوا بها — من أنعم الله التي لا تكفر
ذكروا بطلعتك النبي فهللوا — لما طلعت من الصفوف وكبروا
حتى انتهيت الى المصلى لابسا — نور الهدى يبدو عليك ويظهر
ومشيت مشية خاشع متواضع — لله لا يزهى ولا يتكبر
فلو ان مشتاقا تكلف فوق ما — في وسعه لسعى اليك المنبر
أبديت من فصل الخطاب بحكمة — تنبي عن الحق المبين وتخبر
ووقفت في برد النبي مذكرا — بالله تنذر تارة وتبشر
ومواعظ شفيت الصدور من الذي — يعتادها وشفاؤها متعذر
حتى لقد علم الجهول وأخلصت — نفس المروّى واهتدى المتحير
صلوا وراءك آخذين بعصمة — من ربهم وبذمة لا تخفر (١)

وإذا رجعنا الى الوصف الذي رأينا فيه خروج المعز لصلاة العيد وقارناه بوصف البحتري ، وجدنا كلا الخليفتين يسير في جيش كبير متألق سلاحه ، ويثير ترابا يحجز أشعة الشمس ، وقد وقفت الرعية تطالع الموكب ، فإذا بلغ الخليفة المصلى دخله بخشوع ، وصلى بالناس ، ثم صعد المنبر فخطب خطبة بليغة أنذر فيها وبشر ، وشفى الصدور ، فما انصرف المصلون الا وقد غفر الله لهم . وتتكرر هذه العناصر المشتركة في أوصاف تميم المتعددة لموكب أخيه . وإذا كان ثم بعض شبه بين بيت تميم .

فليس يصرف لحظ العين مرسله — الا الى ساجد في الارض أو بطل

وبين بيت البحتري :

والتف فيك الناظرون فاصبع — يومى اليك بها وعين تنظر

فان الشبه تام بين بيت البحتري وبيت تميم في نص آخر يصف الموكب :

فمن مشير براحة صرفت — اليك أو ناظر بعينين (٢)

---

١ ـ ديوان البحتري ج ١ ص ١٠٠
٢ ـ ديوان تميم ص ٤١١ . انظر كذلك ص ١٤٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا كان هناك شيء من الشبه بين بيت تمم :

حتى بلغت المصلى خاشعا نسكا خشوع جدك في أزمانه الأول

وبين بيت البحتري :

ذكروا بطلعتك النبي فهللوا لما طلعت من الصفوف وكبروا

فإن الشبه أقوى بين بيت البحتري هذا وبين بيت تمم في وصف من أوصافه :(١)

تأملوا من مبنهم خلقا فيك وخلقا محمديين

وإذا كانت قطعة تمم التي رأيناها من قبل ليس فيها ما يشبه معنى البحتري في بيته :

فلو أن مشتاقا تكلف فوق ما في وسعه لسعى اليك المنبر

فإن قطعة أخرى لتمم في وصف الاحتفال بالعيد قد حوت ما يشبه هذا المعنى :(٢)

ولو نطقت أحجار ركن لسلمت عليك المصلى أو أتتك تسير

ولا يفوتنا أن نلاحظ ورود عبارة البحتري " صلوا وراءك " في وصف تمم الذي رأيناه ، والشبه بين عبارة البحتري " والأسنة تزهر " وعبارة تمم " والبيض تزهر " ، ولا تدع المشابهة بين أوصاف تمم ووصف البحتري مجالا للشك في أن الشاعر المتأخر متأثر بالشاعر المتقدم . وكأنما عز على تمم أن يرى المتوكل في هالة الموكب الديني دون أخيه ، كما علو أبيه من قبل أن يرى الخليفة العباسي نفسه يتدرع كسوة الكعبة ثمن سنة المحمل .(٣)

وذكر صاحب زهر الآداب قطعة لتمم في الوصف وأشار إلى أنه اعتمد فيها على الحسن بن وهب :(٤) وقال تمم في قطعة يصف الشمعة :

اذا ما رأسها قطعت استطالت وجانبها التخوف والحذار(٥)

وكرر هذا المعنى فقال :

وصفراء تكثر أبناءها تميتن اذا قطعوا رأسها(٦)

وقد أولع السري الرفاء قبله بهذا المعنى فقاله :

يجمز لإصلاحها رأسها فإفسادها عند إصلاحها(٧)

---

١ - ديوان تمم ص ٤١
٢ - نفس المصدر ص ١٤٣
٣ - اصابط الحنفا ص١٩٣
٤ - زهر الآداب جـ ٣ ص ٤٥
٥ - ديوان تمم ص ٢٢٨
٦ - نفس المصدر ص ٢٠١
٧ - ديوان السري الرفاء جـ ١ ص ٧٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال :

واذا مرضها مرضة | فشفاؤها ضرب الرقاب (١)

وقال :

شفاؤها ان مرضت ضرب العنق

وعنده غير ما سبق (٢) وهكذا جارى شعر القدماء والمحدثين فى الوصف ، واستعمل لغة أولئك وهؤلاء وأدى بعضا من حق البيئة المصرية عليه ، فوصف النهر العظيم وتحدث عن الاحتفالات المتصلة فى مصر .

---

١ — ديوان السرى الرفاء جـ ص ١٨٦
٢ — المصدر السابق جـ ص ٢٧٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفخـــــــــر

ينظم تميم في الفخر القطع المستقلة ، ويقف عليه جوانب من شعره في الفنون الأخرى كالمديح ، ويدور فخره حول شجاعته وصبره وكرمه وعقله وغير ذلك من الصفات الحميدة ، ويفتخر أيضا بعلمه وأدبه ، وحسبه ونسبه . وربما أدار القطعة حول صفة واحدة من الصفات المذكورة كقوله :

ومشفقة تخشى علي من الردى   تشفق في بعض الصبر بالفتك

فقلت لها : لا تعذليني على العلى   أليس مذاق الذل شرا من الهلك

وعز على سيفي ورمحي وهمتي   جلوسي جبانا تحت حادثة أبكي (1)

وكان تميم معجبا بنفسه جدا ، فاينًا في الفخر بها ، فتارة يقول مثل قوله السابق وتارة يقول وهو يصف الخمر :

أرق من فهمي ومن تمييزي (٢)

أو يقول وهو يصف المرآة :

وحكى أديمك رقة   ونضاضة شعري المرقق (٣)

أو يقول وهو يصف شعرا له :

وحاكها تشبه فكري الذي   نظمها في لفظه أو حكى (٤)

وفي البيت الأخير فخر مركب ، إذ أعجب الشاعر بفكره في الوقت الذي أشاد فيه بشعره ، وهو كثير الفخر بالشعر ، يواجهه به أخاه مرارا في أخريات قصائده كما في قوله :

فدونكها من مادح لك ماجد   تذل له شوس القوافي وتخضع

له فطنة لم تنب يوما سهامها   يجس الغرض الأقصى ولا تتمنع

على أنه أمسى وأمسى شعره   جمان على برد علاك مرصع

فلو كان المسك من طيب نشره   إذا رددت ألفاظه تتضوع (٥)

---

١ — ديوان تميم ص ٣٠٨
٢ — نفس المصدر ص ٢٤٢
٣ — نفس المصدر ص ٢٨٧
٤ — نفس المصدر ص ٣٠٤
٥ — نفس المصدر ص ٢٦٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يقلد تميم في فخره ، فتراه بدويا أحيانا • وأكثر ما يكون ذلك في الرجز حين يصف مخاطرته بنفسه للوصول الى المحبوبة ، أو حين يصف سراه في الليل الرهيب بقلب ثابت ، أو حين يتحدث عن صبره على تعب السفر • ومن الفخر البدوي — وهو من غير الرجز — قوله :

وطروق ليل تائه متعجهـــا حتى يخيل من السرى مسهمـــا
أوقدت ناري بالفضاء لضيفه ودعوته وهنا الى ناوضهـــا
وليته بشرى فبات ممهـــدا وأتم قرانا فألفى متهمـــا (١)

وقد يغلو الشاعر في فخره فيبلغ درجة الاحالة :

همتي أنافت بي على الهمم قبل الفطام ومبلغ الحلـــم
وسما بقدري في العلا أدبي حتى وطئت كواكب الظلـــم (٢)
تثني علي اذا سكت يد بسماحها وتضيء لي شيـــمي

ويذكرنا البيت الأخير بقول ابن الطحان القيني :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم العقد ثاقبه (٣)

والشاعر غالي جدا في قوله الذي يبدأ بهذا البيت :

أنا المرتى بالأكهـــا م والمعـــروف بالخبـــر (٤)

وقد كرر كلمة أنا ثلاثا وثلاثين مرة في أبيات متتابعة بلغت عشرين •

ولم يكن تميم يفخر في اليقظة ، بل كان يفخر وهو نائم • قال جامع الديوان • ورأى في النوم رجلا يسأله عن علمه بالنجوم ، فلم يجاوبه بشيء ، فاذا بهاتف يقول له : قل يا مولاي :

عندي أما حسبه من علم النجوم فلو يمتحنها لتناهى دونها الكلـــم
لي في العلوم وفي الأفعال سابقة وكل مملوة مأثورة قـــدم (٥)

وهذان البيتان ليسا الا تعبيرا عن اعجاب الشاعر بنفسه ، فليس الهاتف الا صوته الباطن •

---

١ — ديوان تميم ص ٣٧١
٢ — نفس المرجع ص ٣٧٤
٣ — الأغاني جـ ١٣ ص ٩
٤ — ديوان تميم ص ١٧٤
٥ — نفس المرجع ص ٣٩١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وستلك الباطن .

وإذا كان الشاعر مقلداً في فخره البدوي ، فإنه صادق في فخره بشجاعته وحلمه وكرمه ، فقد حارب في الشام في جيش أخيه ، وكان واسع المعرفة كما يدل شعره ، وكان كريماً كما يدل مدح أبي الرقعمق له :

فخر تميم والشعر السوري :

تلك تميم في فخره بدأ فتى بدوياً ، وصدق في فخره فليس تهابه الحضرية وبدا على حقيقته ، وإن بالغ أحياناً . وربما ظن فخره بشعره تأثراً بالمتنبي الذي طالما فخر بشعره ، ولكن الحق أن الفخر بالشعر يرجع الى عصر سابق لعصر تميم والمتنبي ، فكثيراً ما فخر أبو تمام بشعره (١) . والمتنبي – مع ذلك – بين الأثر في فخر تميم . فالمتنبي ، ولاشك شاعر فخور . ولفخره نغمة خاصة يحسها القارئ كلا متكاملا ، وهي تأتلف من معان حملها مسحة الغرور ، تلابس ألفاظاً معينة استدعتها تلك المعاني ، فإذا قرئت ترك في النفس أصداء طنانة متميزة . واقرأ هذا الفخر الحماسي لتميم :

سيحتل بمصري صولة ذكرها وصارم ليس ينبو حده خذم
لا أحمد النوم ما لم تحتطم قضب من السيوف ، ولم تحصد بها لمم
ولم يجل بالقنا والخيل سابحة فتى ، ولم يجر بين الجحفلين دم
ولم تشن على الأعداء في دفع تظل منها سيوف الهند تبتسم
لا فخر للمرء إلا حد منصله لا ما تزخرفه الألفاظ والقلم (٢)

وقد قال هذا الفخر في أول عهد تميم بالشعر . وفيه من فخر المتنبي نغمته ، وفيه شيء من معانيه ، وشيء من عبارته في المدح . فالتهديد بمهاجمة الأعداء على هذا النحو موجود في قصيدة قالها المتنبي في أول عهده بالشعر أيضاً . وهذه بعض أبياتها مختارة :

---

١ – انظر ديوان أبي تمام ص ١٢ ، ٣٣ ، ٥٥ ، ٥٤ ، ١١٩
٢ – ديوان تميم ص ٣٦٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سيصحب السيف على مثل مضربه ويحمل خبري من صحة الصمم
الركن وجوه الخيل باهمنة والحرب أقوم من ساق على قدم
فكل منقلبت بما زال منتظري حتى أولت له من دولة الخدم (١)

فكلا الشاعرين سيمضيين بسيفه ورجاله في حرب غامضة لا تدري على من ستشن • وواضح اتفاق النصين في البحر والقافية وان اختلفا في حركة الروي • وبين بيت تميم الثالث وبيت المتنبي الثاني اتفاق لفظي • وانتسام السيوف في البيت الرابع من النص الأول يذكر بقول المتنبي مادحا :

اذا نحن سميناك خلنا سيوفنا من التيه في أغمادها تتبسم (٢)

والبيت الأخير من شعر تميم يحمل المعنى الماثل في بيت المتنبي :

حتى رجعت والاقلام قوائل لي المجد للسيف ليس المجد للقلم (٣)

ويصحب تميم بمعنى من معاني المتنبي وهو استبدال الفخر بالنفس بالفخر بالآباء ؛ فيردده في مثل قوله :

ليس من ساد عن وراثة جد وحظ من الحظوظ متاح
يستحق الثناء او يستوجب الشكر ويحوي مدائح المداح
انما السيد العلي الحقدي من علا للعلا صدور الرماح
ورمى ليل كل خطب بهم مذكات أنوارها من الصباح
واقتنى العز بالظبا والعوالي واشترى الحمد بالندى والسماح
فكذا تقتنى المكارم والمجد ويستهضم العدو الملاحي
لا كمن لذ جده برجال سواه وسما طائرا بغير جناح (٤)

وهذا المعنى من المعاني المحببة الى المتنبي ؛ لأنه كان من أسرة لا وزن لها فكان يستعيض عن الفخر بنفسه بالفخر بأسرته ؛ فيقول مثلا :

أنا ابن من بعضه يفوق أبا الباحث ، والنجل بعض من نجله
وانما يذكر الجدود لهم من نفروه وأنفذوا حيله (٥)

وهذا المعنى متكرر عند أبي الطيب •

---

١ – ديوان المتنبي جـ ٤ ص ٣١٤ ٢ – نفس المصدر جـ ٢ ص ٢٥٧
٣ – نفس المصدر جـ ٤ ص ٤١٣ ٤ – ديوان تميم ص ٩٢ وكذلك ص ٢٧١
٥ – أحمد السكندري وآخرون – المفصل في الأدب العربي ص ٧٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد عارض تميم بمدحة له مرثية لابن هانئ(١) . وفي المرثية فخر واضح الاثر في فخر المدحة ، فقد قال ابن هانئ :

ولي زفرات تذيب الحصى ... وقلب يسد على الفلا

فضمن تميم الشطر الثاني ناسيا كلمة مزوجة في الأصل :ـ

فلي أن لي عزمات اذا ... توحشن حشن طوال القنا

ونفسا تكن بها الخافقات ... لو قلبا يسد على الفلا)

وقال ابن هانئ :

فلو كنت أطوى على عزمة ... تكشف ليلى عن الشنفرى

فأخذ تميم المعنى وتصرف قائلا :

وبرزت عزما على ثابت ... وأربيت فتكا على الشنفرى

فاذا كان ابن هانئ يقرن نفسه بالشنفرى في الفتك ، فان تميما يجعل نفسه أفتك من الشنفرى ، وأعزم من صعلوك آخر هو تأبط شرا .

وعند شاعرنا معان أصلها شكوى قلبها هو فخرا ، فقد قال ابن هانئ :

ومن لي بمثل سلاح الزمان ... فأسطو عليه اذا ما سطا

فقال تميم :

وانا لقوم نروع الزمان ... ولسنا نراع اذا ما سطا

وقال ابن هانئ يشكو ويفخر في آن :

أشيمك يا برق شيم النجيم ... وما فيك لي بلل من صدى

كلانا طوى البيد في ليله ... فأضعفنا يشتكي الوجى

فقال تميم :

فلا تستشيما بروق السحاب ... فللسرى في شيم برق الظبا

أصبنا أشا لكنها لم تهب ... على ضول مسراه يشكو الوجى

لقد تلون تميم في فخره ، فقلد حينا ، وصدق أحيانا ، وجارى بعض الشعراء وتأثر بهم ، وكان المتنبي أقواهم أثرا في فخره .

---

١ ـ تجمع المعاني في ديوان ابن هانئ ص ٢٨٥ ، وديوان تميم ص ٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشـــــــكوى

كان المنتظر أن يكون تميم هو الخليفة الخامس في قائمة الخلفاء الفاطميين ولو أنه كان حسن الطالع لعرفت مصر سلسلة من الخلفاء غير المعز والحاكم ومن أتى بعدهما • ولكن أباه عزله ، ولم يكن ما بينهما على ما يرام • ونعرف أنه لما تولى العزيز سعى الوشاة بين الأخوين ، وألبوا الخليفة على الأمير • ولما اتسع نطاق الفتن في الشام أصاب شرها الشاعر ، فحمل سيفه وخرج لمقاتل أعداء الدولة التي حسم زعامتها ، ولقي الشدة من حكومتها • ولم يقف الشر عند هذا الحد فقد تجاوزه الى شيء متصل به تميم ، ويفرغ فيه همومه ، ألا وهو الشعر ، اذ راح حساده يزعمون أنه ليس له ، وأن هناك من يصنعه له (١) • ولاشك أن هذه التهمة التي تعود الشعراء أن يتهم بها بعضهم بعضا قد آلمت الشاعر • ولا يستطيع أن يتصور مدى ايلامها الا شاعر يواجه بمثلها • وهكذا أصبح تميم في نفسه وفي فنه ، فكثر أنينه ، وجأر بالشكوى من الناس والزمان • والله وانسكبت شكواه في قطع مستقلة منتثرة في الديوان هنا وهناك ، أو اندست في قصائد أخرى قالها في المديح أو الخمر أو غيرهما •

أراد مرة أن يمدح أباه فاستهل المدحة قائلا :

لو أن أيام هذا الدهر تحتشم ... ما كان منهن مني العذل ينصرم

وكيف يرضى عن الأيام من غشيت ... به فأنوارها في عينه ظلم (٢)

ثم يلتفت الى الناس فيحقرهم ، ويعود الى الشكوى مرة أخرى • وهذا الاستهلال يعبر عن عمق الشاعر بواقع حياته في ظل أبيه ، وضعه في بداية القصيدة ، ولم يعبر حتى يستهل الاستهلال الذي تعوده المادحون •

ويجمع الشاعر بين شكواه الناس وشكوى الزمان في قصيدة وجهها الى أخيه أولها :

رضيت بحكم سابلة القضاء ... وان أضحت تكدر صفو مائي

---

١ - راجع تصدير ديوان تميم

٢ - ديوان تميم ص ٣٦٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهل يستطيع أهل الأرض حلا ... لعقد شد من فوق السماء؟
الى كم تهدم الأحداث ركني ... وترميني بجور واعتداء؟
مصائب الزمان بغير ذنب ... وتخذلني يدي وذووا اصطفائي
ويمضي مني لين لو جاء صباح ... به عندي لخضب بالدماء
حياتي بين وان او خسوف ... وماع من بعير طول دائي (١)

ويحدث أن يقص الشاعر أبيه من العتاب بختم القصيدة بهذا البيت الشديد :

ويشو زائد علينا اذا لم ... يكدره لديك بنو الزناء؟

وكان الشاعر يضيق بالشكوى الى الناس ، لأن قلوبهم لا تلين ، فيلجأ الى الطير شاكيا :

أقول لسرب من حمام عرضن لي ... يغردن في أعلى الغصون ويندبنا
ويسكن في خضراء ناعمة البها ... أنيقة روض النبت آنسة المغنى
سوارح لا يخشين خصما ولا نوى ... روايح لا يحزن هما ولا حزنا
فتلك هنيئة للحمام أمانه ... وان كانت الأيام تسطو أمنا
أسرب حمام لو لقيت بمثل ما ... الاقي لأصبحت أول من يضني
ولو قد علمت الذي أنا عالم ... لما ناح منكم هاتف لا ولا غنى (٢)

فهو يرى الحمام على الأفنان الخضراء يغني حينا ، ويندب الهديل المفقود حينا لا تزعجه قعقعة سلاح ، ولا يحضر قلبه هم ، فيهنئه بحياته الوادعة ، ويشكو اليه ما لو لقيه لأخرسه .

وربما ضاق الشاعر بالشكوى الى أي كائن ، فالناس لا يجدون ، والله يعلم ما تخفي الصدور ، فما أزنق أن يترك الشكوى حينئذ ويصبر لمتاب :

عداني أن أشكو الى الناس أنني ... عليل ومن أشكو اليه عليل
ويمنعني الشكوى الى الله علمه ... بجملة ما ألقاه قبل أقول
سأسكت صبرا واحتسابا لأنني ... أرى الصبر سهما ليس فيه فلول (٣)

---

١ - ديوان تميم ص ٤٨
٢ - المصدر السابق ص ٤٢٧
٣ - المصدر السابق ص ٣٦٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكوى تميم والشعر السوري :

تذكرنا القطعة التي شكا فيها تميم الى الحمام محنة جرى عليها الشعراء في شعرهم ، وهي أن يبثوا السرب أو الطير ما يلقونه من تباريح الحب • وتميم لا يشكو الى السرب هواه في هذه المرة ، ولكنه يشكو همومه التي ابتلي بها •

واذا قلبنا الطرف في ديوان تميم وجدنا المتنبي ذا أثر في شكواه • فأبو الطيب كان شكاءً • واذا أمعنا النظر في الشكوى التي في مطلع المدحة رأينا اثر المتنبي فيها ، فان لهجتها في الحديث عن ظلم الأيام هي لهجته • والشطر الثاني من ذلك المطلع الكئيب هو من أنقاض بيت المتنبي :

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره اذا استوت عنده الانوار والظلم (١)

ويقول تميم :

أراني انا ما بت أمرا يسرني من الدهر والايام عن كونه طرد
وأصبح فردا في مرامي ومن غدا عظيما يقل المسعدون له بعد (٢)

وهذان البيتان معتمدان على بيتي المتنبي :

أهم بشيء والليالي كأنها تطاردني عن كونه وأطارد
وحيدا من الخلان في كل بلدة اذا عظم المطلوب قل المساعد (٣)

ولكن اعتماد تميم على الشكوى كان محدودا – فلم يطل النظر اليه كما فعل في مدحه ، لأن واقعه كان بعيدا بما يمنعه عن أن يصبح عالة على أبي الطيب •

---

١ – ديوان المتنبي جـ ٢ ص ٢٦١   ٣ – ديوان تميم ص ١٠٣
٢ – ديوان المتنبي جـ ١ ص ١٧٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحكمـــة والموعـــظة

للحكمة نصيب ما في شعر تميم . وهي تنتظم في سلك الفنون الأخرى كالمـديح ، أو تنفـرد بمقطع مستقلة كما في قوله وقد اختبر عوداً في حضرته :

جـربوا عـوداً فقلتُ لهـم | اذ أصابوا ؟ جبذا وردي
هكذا في الناس ذو كـرم | ولئيم فاسـد المقـصـد (١)

سمع الشاعـر موضحي العـود المختبر ، وكان يتوقع أحد أمرين : أن يكون العـــود مرضيا أو يكون غير مرضي ، فذكرته تجـربة العود بتجاربه في الحياة ، تلـــك التجارب التي تكشف حقائق الناس ، فيحمد هذا كما حمد العود ، ويذم ذاك كمـــا كان العود سيذم لو أنه انضح بهـه أنه سيئ .

ويفكـر تميم في الزمن ، فيراه متقلبا لا يدوم على حال ، فينطق بمثل قوله :

لا تأمن الدهر الخـوون صفـا | لك سلمه بعد الوغى وتحلمـا
واذا جرى لك بالسرور فـداره | واحذر تقلبه وان هو أبرمـا (٢)

ويردد الشاعر حكما تتصل بالموت في مطالع مراثيه ، فيرى أن كل حي فـــان وصائر الى الله ؛ لأن الموت محتوم على الناس عظيمهم وحقيرهم ، يدركهم أينمـــا كانوا ، فيفقد أعمارهم بسيوفه القاطعـــة ، فما أهـون هذه الحيـاة مهما طالــت . ونحن مع ذلك نغفل عن الموت الذي لا يغفل عنا ، ونخـدع بالحيـاة ، ونغتر بأمانيها ونفكـر فيها ، وما أجـدرنا أن نفكـر في الموت ، فلن يسلم من غـرور الحياة الا من جعل الموت نصب عينيه (٣).

وكان تميم يفكر أحيانا في المآسي التي يباشرها هو ويباشرها الناس ، مع أنهم يحملون تبعتها على عواتقهم ثم يودعون هذه الحياة ، فيعجب من هذه الحـــال ، ويعجب كل العجب من الذين يقترفون المآسي ملحدين ، فيرى أولئك ضـعـاف العقول ؛ لأن من انشأهم أول مرة يحييهم كذلك :

---

١ ــ ديوان تميم ص ١٢٤   ٢ ــ نفس المصدر ص ٤٠٧
٣ ــ المصدر السابق ص ٤٧ ، ٢٢٦ ، ٤٩٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يا عجبا للناس كيف اغتدوا · في غفلة عما وراء الممات
لو حاسبوا أنفسهم لم يكن · لهم على احدى المعاصي ثبات
من شك في الله فذاك الذي · أصبح في تمييزه بالشتات
يحشرهم بعد البلى مثلما · أخرجهم من عدم للحياة (١)

ولتميم خصلة خلقية عقلية فتراه ينصح الممدوح أن يحرص على الافادة ، وطيب الذكر والتواضع فيقول :

اذا الدهر أعطاك القياد مملكا · ودارت بما ترجوه يوما سعوده
فلا تسم فيه عين قلبك حيرة · وخذ وأفد من كل ما تستفيده
يموت الفتى طفلا وكهلا وهمة · ويبقى على الأيام والدهر جوده
فكن لجميع الناس فيه مشاركا · فما قليل سوف تصحو رقوده
ولا تتكبر ان قدرك فوق مثلما · ملكت ، وان الكبر ما لا يزيده (٢)
وزد لعطاء الله ذل تواضع · فانك والاكرام طرا عبيده

وللشاعر حكمة تتعلق بالحمية والشجاعة كقوله :

تميط الأذى عن حاملها الصوارم وتحمى المعالي للكرام المكارم
***
وما تنفع البيض البواتر صحبها · اذا لم تكن يوما علاها العزائم (٣)
وما الحلم بالمعروف في خلق الفتى · اذا لم يكن للحلم جهل ملازم

ولقد بدأ أبو تمام بائية عمورية بحكم تدور حول الايمان بالسيف والكفر بالتنجيم (٤) فلما عارض تميم البائية بدأ قصيدته بحكم تدعو الى الايمان بالرأى ثم القوة ، لأن الرأى أمضى من السيف (٥) وكأنه — اذ يغض من شأن القوة — يعارض — من طرف خفى — سخرية أبي تمام من التنجيم الذى غالجه أسرته ، ويعلمه حق العلم . ولقد اعتمد — مع ذلك — على بائية أبي تمام في قوله (٦) :

وليس يستطعم الراحات طيبة · من لا يخوض اليها شدة النصب

---

١ — ديوان تميم ص ٨٣
٢ — المصدر السابق ص ٣٠٩
٣ — المصدر السابق ص ١٣٨
٤ — ديوان أبي تمام ص ٧
٥ — ديوان تميم ص ٦٨
٦ — نفس المصدر ص ٦٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويحس المرء روح المتنبي في أبيات تميم المتعلقة بالحمية ، ويسمع فيهـا لهجته . ومما لا ينبغي أن يفوته أن قصيدة تميم التي منها الأبيات المشـار إليها فيها كلمة " خضارم " في آخر هذا البيت :

وما كل من تدعى بعداه بماجد ولا كل من يغشى الحروب خضارم (١)

وكلمة " خضارم " من الكلمات الفريدة التي استعملها المتنبي في وصف المعركة (٢) :

فلله وقت ذوّب الغش ناره فلم يبق الا صارم أو ضبـارم

ولو ورد في نص تميم كلمة غير " خضارم " التي قرع بها المتنبي الأسماع ، لمـا كان لنا الحق أن نقف عندها لنقيم بها علاقة بين الشاعرين .

وقد استعار تميم من المتنبي بعض حكمه ، فقال :

والملك لا يظفـر بالشفـاء ما لم يكن يغسـل بالدمـاء (٣)

وهو معتمد على بيت المتنبي :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم (٤)

وقال شاعرنا :

وأفضل الحلم حلم عند مقـدرة وأعذب الجـود ما وافى بلا طلب (٥)

وقال :

ولا يعد الحلم حلمـا إذا لم ينشر الحلم مع الاقتـدار (٦)

وكلا البيتين شبيه ببيت المتنبي :

كل حلم أتى بغير اقتـدار حجة لاجئ إليها اللئـام (٧)

وقال تميم :

ولولا احتمال النفس كل مشقة إذن لتساوى في العلا الحر والعبد (٨)

وقال المتنبي من قبل :

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقـر والاقـدام قتـال (٩)

---

١ — ديوان أبي تميم ص ١١
٢ — ديوان المتنبي جـ ٢ ص ٢٧٢
٣ — ديوان تميم ص ١٨
٤ — ديوان المتنبي جـ ٢ ص ٢٨٣
٥ — ديوان تميم ص ٦٨
٦ — المصدر السابق ص ٢١٩
٧ — ديوان المتنبي جـ ٢ ص ٣٠٦
٨ — ديوان تميم ص ١٠٠
٩ — ديوان المتنبي جـ ٢ ص ٥٠٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال تميم :

وشر الأرض أرض لـ ... ـس فيها لله الخوان (١)

وبيته شبيه بالشطر الأول من بيت المتنبي :

شر البلاد مكان لا صديق به ... وشر ما يكسب الانسان ما يصم (٢)

ولم يكن تميم بارزا للحكمة دراسته للغزل وشعر الخمر ، فقل نصيبها من شعره ، ودس فيها بعض معاني المتنبي .

١ــ ديوان تميم ص ٤٣١

٢ــ ديوان المتنبي جـ ٢ ص ٢٦٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الـــــرثاء

لتميم مراثٍ قليلة ، رثى بواحدة أخاه عبد الله الذي انتزع منه ولاية العهد ، وبثانية أباه (١) ، وبثالثة أخاه عقيلا ، وباثنتين جاريتين ، وباثنتين أخويين أسلافه (٢) ، ويلاحظ على مرثيتي أخويه اتفاقهما في البحر والقافية ، وفي البنية وبعض المعاني ، وتبدآن بالحكمة ، وتشيران الى غرور الحياة وحتم الموت على الأمير والمأمور ، وبهذا تميز أيضا من مراثيه بالحكمة .

ورثاء تميم ذو ألوان ، فيكون تارة نواحا على الميت كما في رثاء جاريته :

ذكرتك بالريحان والراح ذكرة | مرددة كادت لها النفس تزهق
فلما تناولت الغناء شرادها | واتبع مزموما من الضرب مطلق
تنهضت الصبيان سخطة نهيسم | فلما نأى ظلت دموعي ترقرق
الى الله أشكو نقدها مثلما شكا | الى الله فقد الماء عطشان موثق
كأن فؤادي منذ بان بها الردى | جناح وهت أجزاؤه فهو يخفق (٣)

كانت الجارية الميتة من المغنيات اللاتي يسقين تميما ويغنينه على الشرب . فلما جلس ليشرب يوما ، ورأى الخمر ، وسمع الغناء ، وتنسم الريحان ، تذكر تلك التي ارتبطت في ذهنه بهذا الجو ، فرأى مكانها خاليا بين الجواري المحيطات ، فبكى من الحنين الى تلك التي تركته كالظمآن المقيد ، وجعلت قلبه يخفق كجناح الطائر الضعيف .

وقد يخلط الشاعر النواح بالتأبين كقوله في رثاء عقيل :

كان خف الضمير عذب السجايا | ليس في سر أمره تقصير
صادق الود ، وارى الزند لا يـ | ـكدره في كل حالة تطهير
صار من بعد ذلك الأنس وحشا | وهو في قعر حفرة مقبور
آه من لوعة لها في سواد الـ | ـقلب دمع وفي الفؤاد زفير
كيف يبقى امرؤ تولى أبوه | وأخوه بحبله مبتور (٤)

---

١ — ديوان تميم ص ١٤٢ ، ٥٧ ، ٢٢٦ ، ٣٠٢ ، ١٠٦ ،
٢ — راجع فصل التشيع من هذا البحث   ٣ — ديوان تميم ص ٣٠٣
٤ — نفس المصدر ص ٢٢٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد جعل رثاءه كله تأبينا مرة (١) . وقد أضاف الى النواح والتأبين عنصرا ثالثا في الرثاء هو الاعتبار في قصيدته التي منها النص السابق فقال :

أين آبائي الذين تفادوا ... وبهم كانت الليالي تنير

أين جدي حسين بن علي ... أين زيد المفجع الموتور

أين مهدينا المليك والقائم ... ثم أين المعز والمنصور

أين تلك الحلوم والفضل والألـ ... ـباب بل أين ذلك التدبير

أين ذاك السلطان والملك والنعـ ... ـمة والبطش والعلا والظهور

أين ذلك الجيوش والعزة القعسـ ... ـاء والجمع والعديد الكثير

فرقتهم يد المنون فبادوا ... وحوتهم بعد القصور القبور

ومن الظواهر اللافتة في النص السابق كثرة تكرار " أين " في أول عدد متتابع من الأبيات ، كأنما يعدد الشاعر . وجدير بالذكر أن ظاهرة التعديد متكررة في مراثيه (٢) .

ونتأثر تميم في نواحه على جاريته العهدية بالشعر العذري . فالبيت الرابع من قطعته معتمد على بيت قيس بن ذريح في الغزل بعض الاعتماد :

الى الله أشكو فقد لبنى كما اشكا ... الى الله فقد الوالد بن يتيم (٣)

والبيت الخامس منها معتمد على البيت الثاني من الشعر المنسوب الى المجنون :

كأن القلب حين يقال يغدى ... بليلى العامرية أو يراح

قطاة عزها شرك فباتت ... تجاذبه وقد علق الجناح (٤)

وقد عرفنا أن تميما يستفتح الرثاء بالحكمة المتعلقة بالموقف . وهذه سنة المتنبي سار عليها شاعرنا . وأول ما يلاحظ على مرثية عبد الله ولي العهد (٥) أن هذا البيت منها :

(واذا لم يكن من الموت بد) ... فطويل الحياة نزر حقير

فيه شطر من بيت المتنبي :

واذا لم يكن من الموت بد ... فمن العجز أن تكون جبانا (٦)

---

١ — ديوان تميم ص ٤٠٦

٢ — الاغاني جـ ٦ ص ١٩٨

٣ — الأغاني جـ ٢ ص ٤٨

٤ — ديوان المتنبي جـ ٢ ص ٤٧٣

٢ — ديوان تميم ص ١٤٨ ، ١٤٩ ، ٢٢٧ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، وكذلك ١٢٠

٥ — انظر القصيدة ص ١٤٧ من ديوان تميم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومرثيتا عبد الله وعقيل متأثرتان بقصيدة قالها المتنبي يرثي بها محمد بن اسحاق التنوخي أولها :

اني لأعلم واللبيب خبير | أن الحياة وان حرصت غرور
ورأيت كلا ما يعلل نفسه | بتعلة والى الفناء يصير (١)

ومطلع مرثية عبد الله :

كل حي الى الفناء يصير | والليالي تعلة وغرور

والعلاقة واضحة بين البيتين لفظا ومعنى ، وكأنما البيت السابق تلخيص لسابقيه ثم إن كلتا مرثيتي تميم تدور حكمتها في المطلع حول ما قال أبو الطيب : غرور الحياة ومصيرها . ونجد في مرثية عبد الله وفي النسف هذا البيت :

شيعته ملائكة الله | وروته رحمة وطهور

وهو شبيه ببيت المتنبي يصف نعش محمد بن اسحق :

وحفيف أجنحة الملائك حوله | وعيون أهل اللاذقية صور

وفي رثاء عقيل جاء هذا البيت :

ليس يخلو من السرور سوى من | تبره في فؤاده محفور

ويذكر بعجز الشطر الثاني ببيت المتنبي :

حتى أتوا جدثا كأن ضريحه | في قلب كل موحد محفور

وهكذا تأثر تميم بالمتنبي في مراثيه ، كما تأثر به في المدح والفخر ، فمال الى الحكمة مثله ، واستمال بعض معانيه . وبين الشاعرين شبه هام هو أن كليهما ليس من شعراء الرثاء لأنه لم يكن يهمه من يحيا أو من يموت . وليس تميم — مع ذلك كالمتنبي في رثائه جملة وتفصيلا ، فانه بعد أن يدع الحكم في المقدمة يتجه اتجاها خاصا ، ثم ان القطعة التي رثا بها أباه طليقة لا يتقيد فيها بمحنة .

---

١ — ديوان المتنبي جـ ١ ص ٣٣٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الهجـــــاء

هجا تميم خصوم عشيرته ، وله هجاء قليل غير الهجاء الحزبي . ضـــاق مرة بأحد الكتاب فهجاه بقصيدة طويلة أولها :

إذا لم تعرف الخـــيرا ... فتأتيه ، ولا الشـــرا
ولم تقصد بأفعالــــ ... ـك لا نفعا ولا ضرا
ولم يعدل بك التمييـ ... ـز لا عسرى ولا يسرى (١)
فأنت الباب لا يقصـــد ولا ... به تجارة المجـــرى

وهذه الأبيات تصور المهجو لا يتميز الخير من الشر ، ولا يبدى ارادة ، ولا يقصد بما يفعل شيئا ، كالباب المندفع . وبناء على هذه المقدمة يمضى الشاعر فى تجريد مهجوه مما شابه بعد بخسرة ، لأنه لم يقصد به شيئا . ويجرده أيضا مما يجب عليه حسيا لعدم النية . وينتهى الى استحسان المـــــوت لهذا الكائن المحايد .

وللشاعر هجاء اجتماعى قليل كقوله :

أرى أناسا ولكن جلهم نعـــم ... كثير قليل ، وموجودون قد عدموا
ناس سواسية بضنى الكريم بهم ... حتى كأنهم الأوصاب والسقـــم
من لم يكن طالبا لما بالائم فلا ... يجهل بأنهم أن حصلوا غـــنم (٢)
أرتهمونى قليلا همة بلغـــت ... بحيث لا ينتهى الهم والهمـــم

ولتميم هجاء وجهه الى غير العاقل ، وهو هجاؤه للبلاد التى لها صـــلة بالجيش . فنحن نعرف أنه كان صاحب الجيش ، فيعسكر معه فى العباسيـــة أو عين شمس أو بلبيس أو غيرها ، فينقطع عن ملاهى القاهرة ، ويحال بينـــه وبين البيئة المصرية البهيجة . فراح يهجو مواطن الجيش المرتبطة فى ذهنـــه بالالم والحرمان . قال يهجو عين شمس :

عين شمس لا عاينتك الشموس ... منزل مقفر وربع دريس
يرجع الطرف خاسئا وحسيرا ... وتقاسى الكروب فيه النفوس

---

١ - ديوان تميم ص ٢٣٤   ٢ - نفس المصدر ص ٣٦٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عسكرت فيه للأماني جيوش ... وترى للذنب فيه خميس (١)

فهو دار الا من الشؤم والـ ... ـبشر ، فلا حل أرضه التقديس (٢)(٣)

وفي الديوان هجاء لبلبيس والسماسية ، وفيه هجاء للشام كلها : (٤)

يا شام ، شؤمك هائل ... يمضي ويأتي المتلجج (٥)

فتحن منك ونحسه ... في كل أمر منهج

ولابد أن نذكر هجاء تميم الاجتماعي السابق الذكر بالمعنى ، لما فيه من عتوه وكبره ، ولاحتوائه على بعض معانيه . فالبيتان الأول والثالث منه مستمدان الى الأذهان قول المتنبي :

(٦)
فكل أناث وطلتها اسم ... ترى بعيد كأنهما غنم

أو الشطر الأول من بيته :

(٧)
أرى أناسا ومحصولي على غنم ... وذكر جود ومحصوله على الكلم

والبيت الثاني من هجاء تميم الاجتماعي مأخوذ من بيت أبي الطيب :

(٨)
وانما نحن في جيل سواسية ... شر على الحر من سقم على بدن

وهجاء تميم كرثائه القليل ، واذا استثنينا كلمة واحدة جاءت في قصيدته التي هجا بها أمه الكتاب والتي رأينا بعضا منها من قبل لم نجد في هجائه كلمة بذيئة أو لفظا نابيا . نعم كان الترف وما يحيط به يدفعه الى المجون في غزله أو خمره الخمرية ، ولكن عفة الملكية كانت تصرفه عن أن يكون بذيئا في هجوه .

---

١ - ديوان تميم ص ٣٥٢
٢ - نفس المصدر ص ٢٨٣
٣ - نفس المصدر ص ٣٠٢
~~نفس المصدر ص ٩٠~~
٤ - نفس المصدر ص ٩٠
٥ - نفس المصدر ج ٢ ص ٣١٤
٦ - ديوان المتنبي ج ٢ ص ٣٣٠
٧ - نفس المصدر ج ٢ ص ٤٤٨

الاخـــوانيات

يخاطب تميم الحسين بن إبراهيم الرسي ، فيقول معاتبا :

تأخرت الرسائل منك عني (1) وأبعدت من تعهدى الرقاع

***

ولسنا نلتقي لقيا اجتماع فيمنعنا عن الكتب اجتماع

ولكن ضرب الاقلام حسنا اذا افترقت بشخصينا البقاع

ويخاطب أحد أصحابه فيقول في كتابة :

ما لي عدمت مكاتباتك برهة (2) لملامة ذا أم لخوف مرجع

ويخاطب آخر فيقول :

ما صرفت حالنا بكتاب (3) مثلما يفعل المحب المعنى

وذكر القلم والكتابة وما أشبههما متكرر في شعر تميم ، لانه كان يراسل اخوانه وأسرته بالشعر ، وكان الشاعر كثير الاخوان ، وكان لنفسه من أصحابه شعراء يراسلونه بالشعر ، منهم آل الرسي ، فكثر في ديوانه هذا الفن الشعري الذي يصح أن نسميه شعر الاخوانيات . وهو يدور حول السؤال عمن يفصل بهم الشاعر ، أو الرد على سؤالهم ، أو التهنئة ، أو التعزية ، أو المواساة ، أو الاهداء ، أو الاستهداء ، أو الاعتذار ، أو الدعابة ، أو الالغاز . وهذه موضوعات خفيفة في كثير من الأحيان . ويلاحظ عليها أنها قد يندرج بعضها في ثنايا الفنون الأخرى ، وقد يندرج فيها غيرها كالوصف والفخر مثلا .

هذه فنون تميم التي عالجها في شعره ، رأينا أساليبها ، ووقفنا على معانيها وهي فنون كثيرة متنوعة ، تتفاوت مقاديرها في الديوان تفاوتا يرجع الى ميول الشاعر واتجاهاته فيكثر حيث يطيب له الحديث ، ويقل حيث لا يناسب الموضوع استعداده النفسي . وقد تأثر تميم بأبي نواس في الجانب المرح من شعره ، وتأثر بالمتنبي في الجانب الجاد ، وترك شعراء آخرون بعض الآثار في ديوانه ، من

---

١ – ديوان تميم ص ٢٦٤

٢ – نفس المصدر ص ٢٦٣

٣ – نفس المصدر ص ٤٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أهمهم البحتري . ولم يكن لابن هانئ الأندلسي غير أثر عابر في أساليب شعرهم ومعانيهم مع أنه كان شاعر البلاط الفاطمي في دور المغرب . وما أبعد البون بين شعر تميم السهل وشعر ابن هانئ المتكلف الصاخب .

أما ابن المعتز فإن له في ديوان تميم أثرا أهم من معارضة شاعرنا لقصيدته التي عرضناها ، وسنرى هذا الأثر في مكان آخر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الثالث

نظرات متفرقة في الديوان

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

المصرية في شعر تميم

كان تميم في الخامسة والعشرين يوم وفد على مصر مع أسرته . وهكذا تنازعته بيئتان ، بيئة المغرب وبيئة مصر . ولكن قدر لشاعريته أن تنضج في البيئة المصرية ، وأن تجود بأفياء يمان المصرية فيها . فماذا كان شأن هذه البيئة في شعره .

في ديوان تميم ظرف ، وفي حوارياته الغزلية سرعة بديهة . وهاتان الخلتان من سمات الدنس المصرية كما لاحظ جون ولسون (١) . غير أن اعتراضا ما يبدو أنه يحسوق الحديث عن ظرف تميم وسرعة بديهته ، هذا الاعتراض هو أنه قد دخل مصر شابا ، فلماذا لا يكون ظريفا أصلا . ولماذا لا يكون بعض شعره الظريف قد قيل في المغرب .

أما أن بعض شعره المتسم بالظرف قيل في المغرب فيضعفه ما يأتي :

أولا — في الديوان ثلاث قطع مغربية لا أثر للظرف فيها (٢) .

ثانيا — لم يشتهر المغرب بالظرف لا خلقا ولا أدبا .

ثالثا — لم يأت تميم مصر شاعرا ناضجا ، فقد تأخر نضج الفن بعض التأخر ، بدليل أنه ليس في ديوانه شعر مغربي غير القطع الثلاث . فلا ينتظر أن يكون له في المغرب شعر ذو خطر ، وربما ظن مغربيا بعض شعره الضعيف الخالي من الدلائل على المحل ، ولكن هذا الظن يعترضه أنه ليس في الديوان كله دليل واحد على مغربية بيت واحد من الشعر عدا القطع الثلاث المشار إليها .

رابعا — إذا كانت الحواريات هي خير ما يمثل سرعة البديهة عند تميم ، فإن حالها تدل على أن ما قيلت في مصر ، فهي قطع ذات بنية فنية قوية . والقوة التي من هذا النوع ما لا يتاح للشاعر إلا بعد معاناة الشعر فترة من الزمن (٣) . فمن غير المعقول أن يقول تميم تلك القطع في باكورة حياته الفنية .

---

١ — جون ولسون — الحضارة المصرية ص ٢٤٦

٢ — ديوان تميم ص ٢٤ ، ٢٢٣ ، ٢٨٤

٣ — أنظر ديوان تميم ص ٣٩ ، ١٢٣ ، ١٥٢ ، ١٦١ ، ٢٤٩ ، ٢٥٥ ، ٢٩٢ ، ٣٠٢ ، ٣٣٥ ، ٣٠٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٤)

أما أن الشاعر كان ظريفا قبل دخول مصر فذلك جائز ، غير أنه لا يجوز أن ننسى أن تميما كان يختلط بالمصريين أحيانا في الأعياد ، وأنه اصطفى منهم غلمانه وندماءه ، ولاشك أنه كان يسمع فكاهات المصريين في الطرقات والمتنزهات والاحتفالات العامة . فإذا فرضنا أنه كان ظريفا بطبعه كالكثير من المتحللين من القيم الخلقية فإن ظرفه سيزداد في مصر . والشيء الهام أن الشاعر قد يكون من الظرفاء ولا يظهر ظرفه في شعره ، للحاجة الى بيئة موحية ، يصورها طابع شعري فكه يجده ، ويحس فيها مجتمع يقدر الظرف . ولو كان تميم قد انتقل الى غير البيئة المصرية لتركنا قضية ظرفه معلقة ، لكن شيئه ساء الجيل اكثر حشي طابا يجعل الحديث من مصرية هذه الظاهرة في شعره وجعلها .

وربما معترض يقول : قد نقبل أن شعر تميم الظريف مقول في مصر كله . ولكن ما المانع أن يكون قد تأثر في شعره ذلك بالأشعار الفكهة في الأقاليم الأخرى .

ويرد على هذا الاعتراض الثاني بأنه لابد أن يتأثر تميم بما قرأ من الأشعار الفكهة في الأقاليم الأخرى ، ولكن ظرف شعره لا يرد كله الى تلك الأشعار ، فلا يكون لبيئة مصر وشعرائها وأدبائها نصيب فيه ، فإن مثل ذلك التأثر يكون عاملا مساعدا فقط ، في حين أن الأصل ليس غريبا لها . ويكفي نفسي أن أحد القدماء قال إن من أقام في مصر سنة وجد في أخلاقه رقة وحسنا (١) ! ومن طريف ما لاحظه مؤلف حديث بناء على القول القديم وتأييدا له " ... فإن الذين يسكنون مصر من الشوام والأجانب يتطبعون بطابع أهل مصر ، فتخف روحهم ويتعودون النكتة ، وإنك لتسمعها هناك من اليوناني والايطالي والتركي .... " (٢) فلا أقل من أن يؤثر مصر في ظرف تميم .

قال شاعرنا يحث على الشرب وهذا من شعره المصري المحقق لأنه ذكر فيه اسم بلدة مصرية :

---

١ ـ السيوطي ـ حسن المحاضرة جـ٢ ص ١٨١

٢ ـ عبد العزيز عبد الأهل ـ النكتة المصرية ص ٤٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(١)

السكر في إسكرهندي وقــار ... فاخلع بها للهو حلة العذار
ولا تطع في شرق لائمـــا ... ان تقول اللوم في السكر عار
وما كنها سلب لب الفتـــى ... وحلمه في لطف واختصــار
حمراء في الكأس فإن شعشعت ... ولد فرع الماء فيها اصفــرار
في قدح ليس له مشبهـــه ... الا صفاء الما وضوء النهـــار
كأنما الساقي اذا مجهـــا ... في صحوه يجمع عليها ونـــار
نبه صبوح الكأس ان كنت من ... ألاتها واخلد خلع العـــذار
أما ترى النيل وريح الصبـا ... تنظم فيه زردات صفـــار!
لاسيما ان خرق الناي أو ... ناولك الكأس صوت السوار
وبت تبغي بيننا أشنبـــا ... مستعذب الظلم برود القطـار
ومقلة بإمرة نكشـــة ... ووجنة منهقة جلنـــار
كأن لام الصدغ في عاجهـــا ... ليل تبدى جنحه في نهـــار
من كان لا يعلم هذا وذا ... فهو وحق الله عين الحمار!(١)

الست ترى خفة الروح تصلصل في الأبيات وتتألق في البيت الأخير • وهل كان ابن هانئ الأندلسي يقول مثل هذا الشعر •

وأنصت الى هذه الحوارية التي يظهر فيها الدلال المصري :

سألته قبلة يوما على عجل ... فاحمر من خجل واصفر من وجل
واختل ما بين اعطاف مراتقه ... وبين طبع تمادى فيه بالملل
وقال : وجهي به زلا خطاء به ... ومصر اليه زلا يدعوه للقبل(٢) !

واسمع هذه الأخرى :

تعلمت بالعتب حتى لم يزل ... يقطعه التقعد للهلاكا
لا تتهمني بالجفا طالبا ... حسبي من الأنام رؤياكا
وكيف أنساك ولي مهجة ... حياتها ماء ثنايـاكا
والله لا أنسى له قوله : ... كم تتناساني وأرعاكا

١ — ديوان تميم ص ٩٦١/١٠ في هامش الديوان
٢ — نفس المصدر ونفس الصفحة
٣ — المصدر السابق ص ٣٠٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان كنت ممن تجهل منزل الهدى   كيف ترى في الحب آدابي !

فالله لا أنصفت ان لم أكن   مقبلا من أجل ذا ذاكا ! (١)

فالشاعر في المقطوعة الأخيرة يصف لنا موقفا وإباء فيه حبيبه ، فيحمل الحبيب مساويه ويتهمه بالنسيان والجفاء . ويروح الشاعر يدافع عن نفسه ، ويقول للحبيب إن روضته جميلة بريئة من الزوان ، وأنه بريء من التهمة التي وجهت اليه وحين يشرح له كيف أن كلامه يقطع الأحشاء ، كما يقطعها أن يجوه لقاء . واحتج الشاعر لبراءته بأن حياته مرهونة بحبيبه ، فإن يفقد الحبيب في استمرار جفائه ، فكيف يبقى بعد رحيله ؟ ولكن قلب الحبيب لم يرق له ، فزجره فلا تولا أليم تجنى لا يحياه ؟

— حتام تصد بهاتي واحتلفه . أما تستحي أن تكون ابن الإمام وأنت محب ختال !

وهنا استحيى الشاعر بهيبته فرد على الحبيب قائلا :

— لست من الأفاضل في شيء إن لم أقبل العذر الذي قال ما قال !

وإن المرء ليخيل اليه أن بعض أولاد الملك في الحواية الأخيرة وما قبلها يحاور بعضهم بعضا .

— — —

ونحن لم نعرف عنها إلا ما قلنا . وقصته مع ابن حاكم صقلية شهادة على قبح أخلاقه . وكان مجونه من أهم العوامل التي أدت الى ابعاده عن الحكم . لكن مجونه في شعره لا يختص بأخلاقه وحدها ، ولا بأخلاق ولاته فقط وإنما يرد جانب منهم الى مجتمع مصر . فلقد عرفت البيئة المصرية المجون الشديد . وحين دخل الشاعر مصر وجد جماعات من الشعراء الماجنين أمثال أبي الرقعمق وصالح بن رشدين وغيرهما (٢) . وقد تمثل مجون مصر أعظم تمثل في ظاهرة المواسم . وتدل أوصافها على أن تشجيع الفاطميين لها قد واجههم بنتائج سيئة اضطرتهم الى التدخل للكشف من غلواء الفاسد ، وللحد من الحوادث التي كانت تقع (٣) . غير أنها كانت تعود أشد قوة وأسوأ حالا . ولم تستطع

---

١ — ديوان تميم ص ٣٥٧   ٢ — انظر هذا البحث ص ٢٢

٣ — المقريزي — الخطط ج ١ ص ٤٦٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأصحاب الحاكم أن تتحمل تلك المظاهر الاجتماعية فيما بعد فوقف في وجهه بعنفها (١) ، وتوجه إلى عبد الصليب ضربة كادت تقضي عليه بعد موت دمه تمسم مقاطعة وتشريد عاما (٢) ، ولكن بقية الأشياء قد سخرت من نزواته ، وماتت بعد موته ، وخلفت بعناية ولاة الأمور الفاطميين ، وإن استدادوا مع الفساد ومحاربته لزراعة الكروم وصناعة الخمور أمور لها مغزاها الاجتماعي .

فالمجتمع المصري محتاج إذن إلى حد ما من شيوع المجون في ديوان تميم لقوة المجون فيه من جهة ، ولوجود تيار خفي ماجن كان موجودة في ذلك الوقت من جهة أخرى . وقد عاش تميم في شبابه وغزلياته أكثرها تماجن :

ولتميم عبارة تتم بالتهكم فيما صنعه الطرديات ، ويشيع فيها الاستهزاء . ولا بد أن يكون لمصر بعد فيها امتازت به عبارته ، إذ لا يصح أن نهمل أثر البيئة السهلة المتحضرة التي كلف بها الشاعر وراح يضرب في جنباتها . وإذا كان الشعر المصري قد اتسعت جملته بما اتسم به شعر تميم منذ خرج من البيداء الناطقة إلى الساحل الأخضر المتحضر (٣) لا يمكن — مع ذلك — إسقاط البيئة المصرية من الحساب وإغفال ما في شعر تميم مغايرة للتيار العام ؛ لأن أثر البيئة حتمي .

ونجد في شعر تميم ألوان بيانية متأثرة بالبيئة المصرية تأثرا يستحق الوقوف عنده . ومن ذلك قوله في [illegible] :

ولم [illegible] ويحث المتلاشي — وقد بلغ الماء أعلى الربى (٤)

ففي شطره الثاني ضمن المثل العربي " بلغ السيل الزبى " . وكان في وسع تميم أن يضع كلمة " السيل " مكان كلمة " الماء " فيستقيم الوزن والمعنى ويسلم له المثل ، لكن بحسه الذي ألف ملك الوادي المنبسط وماء النيل قد أملت عليه أن يحل الماء محل السيل . وكأنما الصورة صدى لمقياس النيل وقد بلغ الفيضان مداه ، والمقياس شهيد بفيضه تميم خير معرفة ، وقد أشار إليه في شعره . (٥)

---

١ — المقريزي — الخطط ج ١ ص ٤٣٦ و ٢٦٦ ٣ — المصدر السابق ج ١ ص ٢٦٧
٢ — الدكتور عبد اللطيف حمزة — بحث بذور الشخصية المصرية — مجلة كلية الآداب ، م ١٥ ج ١ عدد ديسمبر ١٩٥٣ .
٤ — ديوان تميم ص [illegible] ٥ — المصدر السابق ص ١٤٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال تميم يصف الناعورة ، وهذا من شعره المصري حقيقا لأنه قيل في فترة متأخرة من حياته :

كأنما الكيزان في بحرها ... هام ملوك في نواويسها (١)

أي أن كيزان الناعورة تشبه رؤوس الملوك الراقدين في القبور ... والملوك المقصودون هنا هم الفراعنة الذين بقيت أجسامهم المحنطة لم تبلها الأيام . ولا نعجب من قول تميم هذا ونظن أن آثار المصريين وجثثهم ظلت مطمورة حتى طلع عليها العصر الحديث ، فإن بعض علماء الآثار والبحث قد كشف في العصور الوسطى ، وكان يعرف بالمطالب (٢) ، فهنا تشبيه أصيل المصرية .

وقال تميم يصف البدر والنجوم ، وهذا من شعره المصري على وجه التحقيق :

والبدر منتصب في وسط أنجمه ... كأنه ملك في وسط موكبه (٣)

وهكذا يشبه تميم البدر بالملك ، والنجوم حوله بمن يحف بالملك من الجند والشعب . وهذا التشبيه منتزع من البيئة المصرية التي لم تعرف المواكب كما عرفتها في أيام الفاطميين .

ولقد اشتهرت مصر في الماضي بصناعة أنواع من الأقمشة من بينها الشروب وكانت تصنع في القاهرة وتنيس ودمياط ، قال المقريزي عن تنيس " وبها يحاك ثياب الشروب التي لا يصنع مثلها في الدنيا " . وقد وجدت الشروب طريقها إلى ديوان تميم ، فقال وهذا من شعره المصري المحقق :

وقد حجب الشمس الهلال كأنه ... ستارة شرب خلفها وجه من أحب (٤)

فالهلال يستتر عنه الأفق ... كوجه الحبيب تلوح محاسنه من وراء الشرب الرقيق .

وقال أيضا في يوم أنيس جلس يشرب فيه مع إخوانه ، وهذا شعر مصري بقرينة الشرب :

كأن الشمس فيه عروس خدر ... تزف إليهم في ثوب شرب (٥)

---

١ – ديوان تميم ص ٢٤٦ ٢ – مروج الذهب ص ٣١١ ، والخطط جـ ١ ص ٤٠
٣ – ديوان تميم ص ٧١ ٤ – المصدر السابق ص ٦٣
٥ – المصدر السابق ص ٦٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أى كان الشعر فى ذلك اليوم عروس فى هودج ا تلبس لها من ثياب الشعر •
وفى هذا البيت صورة لظاهرة ما زالت باقية فى مصر الى اليوم وهى استخدام
الهودج فى نقل العروس من بيت أهلها الى بيت زوجها يوم الزفاف ! ومما
يستحق الذكر أن الشرب قد تسلل الى شعر الشريف العقيلى ا وظهر فى بيانه (١) •

واذا كانت العامية المصرية قد أثرت فى شعر الشريف العقيلى ا فان
شعر تميم بعض العبارات والألفاظ التى أظن ظنا أنها متأثرة بعامية مصر ا لأنها
ما زالت تجرى على ألسنتها الى اليوم ا ولأنها محرفة من اللغة الفصحى
كثيرا أو قليلا • من ذلك قوله لأخيه :

لو لم يكن لى غير آيات فضله ... لجئت أسعى بلا عذر على بصرى (٢)

وطرف البيت يذكرنا بقول العوام " أحمل الشيء على عينى " •

ويقول تميم يشكر الشيز :

أنا عبدك المخلوق منك وانى ... لمحمل ما أوليت ألف شكور (٣)

وآخر البيت يشد الى الذهن العبارة المألوفة " ألف شكر " •

ويتغزل تميم فيقول :

يمضى ويتركه فى الدجى ... أولعتنى بكتّر وبه (٤)

وهذا يشبه ما تقوله العامة فى مصر " يمضى ويتركه هنا "

وفى طردية يقول تميم من مطاردة البازى للطيور :

حتى ... ستاهنا ... النسر من جنساده (٥)

وفى العامية هذا التعبير " ستاهة النسر "

ويصف شاعرنا الخمر فيقول :

يحلف من يشربها بالمصحف ... بأنها لولم تقع لم تصرف (٦)

وعلى هذا التعبير مسحة عامية •

---

١ — انظر ديوان الشريف العقيلى ص ٣٨ و ٢٣ و ١٣٢
٢ — ديوان تميم ص ٢٢٤ ... ٣ — المصدر السابق ص ٢٠٩
٤ — المصدر السابق ص ١٨ ... ٥ — المصدر السابق ص ٢١
٦ — المصدر السابق ص ، وانظر مثله ص

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي شعر تميم صور للبيئة المصرية كما مر بنا . ولا يهمنا وصفه في هذا المجال ، لأن أي شاعر عابر يستطيع أن يصف النيل أو الشمسة أو الاحتفالات . والذي يهمنا ما في وصفه من الدلالات على مصريته .

تحدث الشاعر عن النيل مرارا ، ويلاحظ على أحاديثه ما يلي :

أولا – أنه يتحدث عن النيل حديث الألف لا الغريب ، فلا يستعمل اسم الاشارة ، ولا نجد عنده مثل قول نصيب :

يبشر أهل مصر فلله أتاهم مع النيل الذي في مصر نيل (1)

فهذا الشاعر لم يألف النيل ، وفي بيته دلالة نفسية على غربته تتمثل في "الذي في مصر" ، وإراده ظن أن المصريين سيختلط عليهم الأمر ، فلا يدرون أيقصد النيل من مزوان بحيلهم أم نهر يجمل العراق ، إن الأمر راجع إلى نفس الشاعر التي لم تألف النهر .

ثانيا – أن الشاعر يصف النيل وصفا يستغرق أبياتا ، وقد يرسم له صورة جزئية طريفة في معرض حديثه عن الخمرة أو غيرها ، كقوله :

يا رب ليل بته ناعما بين ربا المختار فالجسر
أمرح فيه من صبا لهوا وأستحث الخمر بالخمر
ومطربة الألفاظ مترفة ساحرة الأوتار والشعر
وأوجه الأوطار مكشوفة طوع الصبا مرهفة الخصر
كأنما البدر إن في وجهها فهي سماء الشمس والبدر
لم أزل أشرب من كفها وأجتني الشهد من الثغر
حتى تنقضت بي سكرها يلحظ عينيها من السكر (2)
والبدر قد مد على نيله منطقة من خالص التبر

(3) ويطل هنا الفكر العابر متمثلا في الخمريات . وإذا رجعنا إلى خمرية "أسكر" ووصف الشرب مع العبور وقد مل منا – وأننا مثلين . وهذا الفكر العابر ذو دلالة عامة ، فلقد تعود الشعراء أن يلتفتوا إلى الرياض والأزهار والنجوم في تصويرهم الطبيعة فيذكروها ، وما هو تميم يجعل النهر المصري العظيم قسيما لهذه

---

١ – الأغاني ج١ ص٣٠
٢ – انظر ديوان تميم ص ٦١ ، ١١٦ ، ٢١٥١ ، ٣٠٤ ، ٤٢٧ ، ٤٤٤
٣ – ديوان تميم ص ٢١٥

العناصر التقليدية في شعر النصر والمصحح مع تغيير بسيط في بنيتها

وفي ديوان تميم ظاهرة تستوقف النظر، فقد ذهب في الغزل مذهبا طريفا ، فنظم مقطوعات غزلية كثيرة على لسان الشقق (١) والستائر (٢) ، كما نظم مقطوعات أخرى على لسان الجواري وأمر بكتابتها على عصائبهن (٣) . ولابد من المبادرة الى القول : ان احتمال نسبة شيء من هذه المقطوعات يعود الى الظهور ثانية ، فيعترض الحديث ، لكن هذا الاعتراض قد سبق تضمينه . فاذا ملنا الى أن هذه القطع مصرية ، فانها تكون ذات دلالة معينة ، ولعلها تعبيرا عن جنسية الشاعر وأهوائه ، وذكرا لما صون بمنه فقط (٤) . فقد اشتهرت مصر في كل عصورها بالنسيج ، وتفوقت فيه تفوقا عظيما ، ولا سيما في عصر الفاطميين الذين عنوا بالنسيج عناية فائقة ، فنشطت المناسج في كل أرجاء مصر كتنيس والاسكندرية وشطا (٥) ودمياط وفي بعض الدقهلية في الشمال ، والبهنسا ودميرة واخميم وأسيوط في الجنوب . والدليل على عظم هذه الصناعة مبالغة المؤرخين في ذكر الضرائب (٦) التي كانت تفرض عليها في أيام تميم نفسه (٧) . ولقد كان لبعض الأمراء (٨) مناسج خاصة . ولقد نشط الفاطميون صناعة النسيج في صقلية (٩) — كما قلنا — ثم انهم عنوا باستخدام الخط في زخرفة النسيج وغيره . وتحت تأثير التفوق الذي كان لعصر الفاطمية في صناعة المنسوجات بدأ أحد الاقتصاديين تعرضه لأنواع الصناعات المصرية بالحديث (١٠) عن صناعة النسيج (١١) . وقد ذكر عمارة اليمني متحسرا على تلك الكساوى التي كان يوزعها الفاطميون ، وذكر منها تنيس في قوله :

وكسوة الناس في الفصلين قد درست ورث منها جديد عندهم وبلى (١٢)

ثم الطراز بتنيس التي عظمت منه الصلات لأهل الأرض والدول (١٣)

---

١ — ديوان تميم ص ٢٨ ، ٢٣٨ ، ٢٤٤ ، ٢٤٩ ، ٢١ ، ٣٢ ، ٣٩٩
٢ — المصدر السابق ص ١٩ ، ٣٩٦   ٣ — نفس المرجع ص٤ ، ١٢ ، ٢٣٨ ، ٣٤٣ ، ٤٣٥
٤ — الدكتور زكي محمد حسن — كنوز الفاطميين ص١١٨   ٥ — المصدر السابق ص١١٥
٦ — انظر هذا البحث ص ١٦   ٧ — الدكتور زكي حسن — كنوز الفاطميين ص١١٨
٨ — انظر هذا البحث ص١٤   ٩ — الدكتور زكي حسن — كنوز الفاطميين ص ٢٠٢ — ٢٠٦
١٠ — الدكتور راشد البراوي — الحالة الاقتصادية ص١٢٦
١١ — انظر حديث الكساوى في خطط المقريزي جـ ١ ص٤٠٩ — ٤١٣
١٢ — المصدر السابق جـ ١ ص ٤٩٥
١٣ — المصدر السابق جـ ١ ص ٤٩٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تركت هذه الظاهرة الاجتماعية أثرها في عالم الخرافة ، فراح المصريون يحكون أن امبراطور الروم ناشد الخليفة الفاطمي(١) أن يقبل منه مائة مدينة رومية ويدع له تنيس وحدها ، ولكن الخليفة أبى . فما لها لا تترك أثرها في عالم الأدب . نعم لقد عرف الأدب المصري شعرا كان يكتب على النسيج وغيره ، ولكن هذا الشعر المكتوب كان يقال على لسان الشاعر المتغزل أو على لسان الجارية التي تتزين بالنسيج أو تلبسه(٢) . أما تميم فلم يكفه أن يقلد هذين النوعين ، فأضاف نوعا ثالثا وهو انطاق النسيج وإجراء الغزل على لسانه . ولا أعرف لهذا النوع الثالث نظيرا ، وكأنما هو انعكاسات غزلية خاصة أملتها عليه البيئة المتفردة في صناعة النسيج ، المتميزة بالشقق والستائر وغيرهما من المنسوجات .

هذه آثار البيئة المصرية في ديوان تميم ، ظهرت في شعره طابعا ولغة وأسلوبا وانعكاسا ، فاتسم شعره بشيء من الظرف والمجون ، ولانت عبارته وتلونت بما يحيط بها ، وغلب الغزل بقسميه على شعره الخمري ، وأغراه نسيج مصر بإنطاق الشقق . وكان تميم حريا أن يتأثر بالبيئة المصرية أكثر مما تأثر لو لم يقض في المغرب أكثر عمره ، ولو لم يكن أميرا تحول مكانته الاجتماعية بينه وبين الاندماج التام في حياة الشعب .

---

١ - الدكتور زكي محمد حسن - كنوز الفاطميين ص ١١٥
٢ - انظر هذا البحث ص١٠٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

النهضة في شعر تميم

عاش تميم في قرن شاع فيه التكلف في الشعر والنثر معا ، اذ فتنت نفوسهم ألوان البيان والبديع ، فأكثر الشعراء من التشبيه والاستعارة كالوأواء الدمشقي ، وأفرطوا في الجناس كالبستي ، وأخذ الكثير منهم بالطباق وغيره من المحسنات. واشتط بعضهم فجاوز التحسين الى التلاعب كما صنع الصاحب والبديع الهمذاني اللذان جعلا يخطان قصائد تخلو الواحدة منها من حرف من حروف الهجاء (1). وجارى الفاطميون الناظمين في حلبة التحسين . واذا كان سجع النثر يرجع الى أيام الخليفة المقتدر فان ابن العميد — وهو من أدباء القرن الرابع — قد أضاف الطباق الى السجع فيما أضاف ، ونهج الصاحب نهجه فسجع وجانس وطابق واقتبس من القرآن الكريم ، وصنع الخوارزمي صنيعه (2) . ويرى ميتز أن رسائل القرن الرابع هي ذروة ما تمخض عنه الفن الاسلامي ، وأنها تعد من التحف الزجاجية والصينية في الدلالة على ما كان للمسلمين من تقدير للجمال (3) .

ويرد الدارسون ما طرأ على عمارة الأدب في القرن الرابع الى ما عرفته الحياة من بهرجة ، وما طرأ على الثقافة من تعقيد . فكما تأنق الناس في المأكل والمشرب والملبس والمسكن تأنقوا في التعبير ، وكما أوغلوا في التفكير الفلسفي وعقده منهم أمثال ابن سينا وابن الهيثم عقدوا التعبير (4) .

وكانت حياة تميم آية في الزخرف وغاية في التأنق . وكيف ننسى قصور الفاطميين ومبانيهم ! وكيف ننسى ارتباط الاسماعيلية بالعلم ، ورعاية الخلفاء الفاطميين بالثقافة ولا سيما المعز ! وكيف ننسى قبة السيدة تغريد وابنها العزيز ، وابنها تميم الذي كان يعشق الرياض ويذهب نهارها ويكتب عليها الشعر ، والذي كان يزين جدران قصوره ومنازله بالشعر الطريف !

---

١ — الثعالبي — اليتيمة جـ ٣ ص ٢٢٣ ٢ — انظر مقدمة رسائل الصاحب
٣ — آدم متز — الحضارة الاسلامية جـ ١ ص ٣٦٩
٤ — الدكتور شوقي ضيف — الفن ومذاهبه في الشعر ص ١٩٧ والفن ومذاهبه في النثر ص ١٣٥ — ١٣٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بل إن تحصيل تميم (١) البستان وتفتيحه منه مع غروب الشمس أمران مما كان لهما دلالتهما النفسية . ثم إن تميما كان واسع الثقافة كما يدل شعره ولاسيما الجانب الفلسفي منه ، ونقل له هذا البيت في وصف الحيطان : (٢)

مرتبط الرحل بما حوله ... كاللفظ ملتقفا به معنـــاه

وهذه الأسطر في وصف البستان أيضا :

مرتبط الماضي بالظلمان ... بالمهـا والآن في الفيطـآن (٣)

مثل ارتباط اللفظ بالمعاني

فنعلم أنه على علم بمشكلة اللفظ والمعنى ، تلك المشكلة المعروفة التي مــا زالت موضع أخذ ورد الى اليوم .

ويقول تميم مرة في غزله :

شبهتها بالبدر فاستضحكت ... وقابلت قولي بالنكـــر (٤)

ويقول أيضا :

إني وإن قلت من بحري الى أملي ... مني مرنقة تمويق وتشبيهـــي (٥)

تدلنا — وشعره يدلني — على أنه من أصحاب التشبيهات . ولعمت الزينـــة في ديوان شاعرنا وقفا على التشبيه وحده ، بل تشمل محسنات بديعية أهمهـــا — الى جانب التشبيه — الطباق ومراعاة النظير والجناس والسجع والتطـــريز

والتشبيه موجود في الشعر العربي قبل أن يأتي عصر التكلف ، وفي الكتابة العلمية وفي أحاديث العامة صناعة وكنايات . فهو وسيلة من وسائل التعـــبير تقوم على إدراك علاقة تماثل قائمة بين طرفين . ولكنه يعد لونا من ألـــوان الزينة في شعر تميم لأن الشاعر لم يتناوله كما يتناوله الناس . ألا انظـــر قـــوله :

(ألا سقيا لي قهوة ذهبيـــة ... وقد ألبس الآفاق جنح الدجى دعج)

كأن الثريا والظلام يحفهـــا ... عروس لجين قد أحاطها سبـــج

---

١ — ابن خلكان — وفيات الأعيان جـ ١ ص ١٢١ ٢ — ديوان تميم ص ٢٠

٣ — المصدر السابق ص ٤١٨ ٤ — المصدر السابق ص ١٦١

٥ — المصدر السابق ص ٤٠٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(كأن نجوم الليل تحت سواده   إذا جن زنجي تبسم عن فلج)

كأن رقيق الشمس والبدر تحته   زجاج على كف من الصبح منضج

كأن ضوء الصبح في غبراته   صفحة سيف لم تصدأ من المهج

ثم وافى والدلج يحركها   إذا برزت تفكي أوائلها سمج

كأن عليها من حياء أديمها   خلال السندس الفيروز نشرها الأرج

وضحها في الآس رقة ليمه   وإن لم يكن في أنه غيرها غلج (١)

وانظر كيف أكثر من كلمة " كأن " ، واستعار بمعنى أول أحدهما " كأن " ! لقد صنع الشاعر أن يقيم علاقات بين الأشياء فأخرجته كثرتها عن حدود المعتاد . وهو يصنع ذلك كثيراً في شعره .

وليس تتابع التشبيهات وحده هو السبب في اعتبار التشبيه زينة في شعر صنم ، ولكن الطرافة والتركيب فيه سببان آخران في اعتباره كذلك أيا كان العدد ومن ذا الذي يقرأ قوله :

نظرت إلى النيل في مده   يجري بموجه ولا ينعكس

كأن معاطف أمواجه   معاطف جارية ترقص (٢)

ولا يرى في هذا التشبيه زينة مقصودة . ومن ذا الذي يقرأ قوله على لسان المحبوبة :

قالت الورد والله لنقواليه   ر رضابي ولون خدي ووجهي (٣)

ولا يعد هذا التشبيه المركب زينة صنعها الشاعر . فلا بدع أن يقف القدماء عند تشبيهات صنم ، وأن يعدوه من المشبهين (٤) .

وقد عرف صنم عبد الله بن المعتز خير المعرفة ، واضطرته السياسة إلى مناقضته وحمله الإعجاب على معارضته وذكر اسمه أكثر من مرة مع أنه لم يذكر في شعره قط اسم أحد من الشعراء السابقين (٥) . وكان التشبيه شائعاً في القرن الرابع ، بل كان ابن هانئ الأندلسي يشبه . وكيف ننسى نصه الذي كرر فيه كلمة " كأن "

١ — ديوان صنم ص ٨٦
٢ — المصدر السابق ص ٤٠٣
٣ — المصدر السابق ص ٢٥٥
٤ — ابن الابار — الحلة السيراء ، ورقة ١٣٢
وزهر الآداب للحصري جـ٣ ص ١٧٤
٥ — ديوان صنم ص ٨٠ ، ١٤٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عددا كبيرا من الميزات (1). وقد قرن القدماء تشبيه تميم بابن المعتز مع ذلك وكانوا على حق اذ ان للشاعر المتقدم تأثيرا خاصا في تشبيهات المتأخر وان لم تعقد مسايرته للتيار الشاعر، يقول الحصري ان تميما كان " يحتذي مثال ابن المعتز، ويقف في التشبيهات بجانبه، ويفرع فيها على قالبه، ويتشبه بملوك ألفاظ الملوك (2) ". وكأنما يصف الحصري ترف التشبيه بألفاظ الملوك، فلقد كان ابن المعتز يتشبه تشبيها منها كقوله يصف الهلال :

انظر الى حسن هلال بدا ... يهتك من أنواره الحندسا
كمنجل قد صيغ من فضة ... يحصد من زهر الدجى نرجسا (3)

فما شبه الشاعر الأجرام العلوية إلا بما في حوزته. وكان تميم يعيش في قصور الخلافة أيضا، ويعرف الذهب والفضة والأحجار الكريمة، وألف سائر الأزهار، فجعل ما عرف وما ألف عناصر في تشبيهه، اسمعه يقول :

وأنجم الظلماء لم تبدو ... كأنها لآلئ لم تعقد
سابحة في ذلك من صحبه ... وتارة تسبح في زهره
شبه الدراري في أفقه ... كأنها شرار إذ لم تخمد
جمانة في كف عبد أسود (4)

فأنت ترى صنعة ابن المعتز في كف العبد الأسود الذي صوره تميم، وترى الى جانبها اللؤلؤ والذهب والزبرجد (5). ومن ذا الذي يجهل العبد الأسود نفسه في ديوان ابن المعتز (6). وإذا كان ابن المعتز قد حمل الهلال بالعنبر ... فقد نال تميم من النجوم :

كأنها تحت الرواق الأخضر ... صبح في باطية من عنبر (7)

والتشبيهات التي من هذا النوع كثيرة في شعر تميم منها قوله يصف سمك السواقي :

---

1 — تبيين المعاني في ديوان ابن هانئ ص 440   2 — الحصري — زهر الآداب جـ 2 ص 4/7
3 — ديوان ابن المعتز جـ 2 ص 122.   4 — ديوان تميم ص 124
5 — ديوان ابن المعتز جـ 2 ص 97 / 109   6 — المصدر السابق جـ 2 ص 126
7 — ديوان تميم ص 329

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كأن الزاى حين أن علها ... بأذناب كمصر الملتوق
منقبات بكسور لطائف ... بأسلها مقايا من رحيق (١)

وكقوله :

وبمحاضر من الحديث تهدى ... كنبات النسرين بين البهار (٢)

وكقوله يمدح الخليفة :

كأن صدك في إشراق بهجته ... تفتح الورد بين الروض والزهر (٣)

ومما يلاحظ تميم إلى الأجرام السماوية في آخر القطع الخمرية فتشبيهها بشبيهة ما كان يقول مثلا :

جدل عليه بيننا الكؤوس ... بين شدو الغنا وحث الكؤوس
من مدام بها يشفي المصابي ... وتداوي عليلات النفوس
فشفى الشفاه بالراح ولكن ... طلعت في الخدود مثل الشموس
وكأن النجوم في نصف الليل ... حل جمان يلوح في آبنوس (٤)

ومثل هذا الالتفات إلى الأجرام السماوية موجود عند ابن المعتز كما في قوله :

أرى النجم والإصباح ينسرق الدجى بمجرّة لم تنفد يطبخ واحتراق (٥)
وطوالعها والليل كأنها ... جفن نرجس حيا الندامى بها الساقي

فكان تميما يقلد ابن المعتز في النظم .

وفي ديوان شاعرنا بعض أبيات قائمة على التشبيه أخذها بوضوح من ابن المعتز ، على الطريقة الحسية التي كررها " كأن " بيتان لابن المعتز (٦) قولها أشعر في وصف بركة المهتدي قال :

(كأن البركة الشتا ... غدت بالماء منهجة نسيج
وقد لاح الضحى مرآة ... قد انصقلت وهاجها الخليج)
ترى قمر الدجى قمرا حذاه ... طلوعا ما له فيها منعرج
فلا تبعد النصايح بين لهو ... فإن الدهر ذو شغب لهيج (٧)

---

١ - ديوان تميم ص ٣٠٢
٢ - المصدر السابق ص ١٨٣
٣ - المصدر السابق ص ١٠٤
٤ - ديوان تميم ص ٢٤٨ وانظر ص ٦٢ ، ٦٦ ، ٧١ ، ٨٨ ، ١٦٤ ، ٢٠٠ الخ .
٥ - ديوان ابن المعتز جـ ٢ ص ٥٥ وص ٢٧ وص ٣٢
٦ - ديوان ابن المعتز جـ ٢ ص ١٩٩
٧ - ديوان تميم ص ٩٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والبيتان الأولان منسوبان الى ابن المعتز في ديوانه (١).

والطباق كثير في شعر تميم ، يطالعك منذ الصفحة الأولى بل ان أول بيت في الديوان هو :

أصحو ولا يصحو الفؤاد من الهوى ... ولا يطرد الحلم عني الصبا (٢)

ففي الشطر الأول طباق سلب ، وفي الشطر الثاني طباق ايجاب ، لأن الحلم وهو الأناة أو العقل عكس الصبا أي الطيش أو الجهل . ومن أمثلته قوله يمدح :

خلق العالمين مجتمع الـ ... آراء في سلمها وحربها (٣)

أو قوله يتغزل في السابقة :

وطالعتها ... مخطفة الحشا ... معاطفها سلم وألحاظها حرب (٤)

أو قوله يمدح أخاه معزوه :

أصبحت به الدنيا ولودا ولم تزل ... عقيما وأضحى الزمان به الغدا (٥)

والأمثلة كثيرة جدا .

وفي شعر تميم مراعاة للنظير ، منه في الغزل :

وله أوحش من كسـ ... ـره لي برق بلا وعد

يبرق فيها مبسمه ... فروق الثغر المنضد

وغصن القد قد أيـ ... ـنع رمانا من النهد (٦)

فانه لما قرن مبسم الأسنان بالبرق ذكر الرعد وقرن الثغر بالنجم ، ثم عاد فقرن القد بالغصن وجعل النهود رمان الغصن . وفي الديوان أمثلة متعددة كالمذكور (٧) وقد يطيل الشاعر في مراعاة النظير في قوله :

يشفيها من صريع الـ ... ـحسن بالطرف الكحيل

لا يصحو الكم والنفـ ... ـس ولا يحب العذول

ان شرب الراح من ... ـرك مأمولي وسولي

---

١ - ديوان ابن المعتز ج٢ ص١٠٩
٢ - ديوان تميم ص ٨
٣ - المصدر السابق ص ٣٦
٤ - المصدر السابق ص ٤٦
٥ - المصدر السابق ص ٢٣٦
٦ - المصدر السابق ص ١٢٣
٧ - المصدر السابق ص ١٦٥ ، ٢٣٩ ، ٢٨٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقول عز الدولة :

وخالك في عذارك في الليالي   سواد في سواد في سواد (1)

وعند تميم نص واحد فيه تطريز ا ولكنه أطول نص وجدته :

تمتع بالصبوح والشباب   فذا برز الربيع من الحجاب
تجده والزمان وأنت فيه   شباب في شباب في شباب
ندمي على المدام بكف ساق   يدير الخمر من برد عذاب
يدير بعينه ويديه خمرا   شراب في شراب في شراب
كأن يديه حاجب وجنتيه   بنار يصطلى منها لهاب
بداه ثم وجنته وقلبي   شهاب في شهاب في شهاب
إذا ما أكثر العذال فيه   وزاد على تزيد العتاب
عذارهم وعذلهم جميعا   سراب في سراب في سراب
لعمرك إنما الدنيا عروس   جلاها الغيث من تحت النقاب
بنفسجها ونرجسها وورد   خضاب في خضاب في خضاب
لأحمر من دم الأبريق راحا   فإن الغيث ممنوع السحاب
فأبريق وكأسي والمرادي   سحاب في سحاب في سحاب
نعم الشرب إن الصوم فيهم   وللنيروز حظ في الشراب
ورأيه ثم شربه والتراقي   شراب في شراب في شراب (2)

لقد ما قصد تميم هذا النص الذي نظمه في مناسبة النيروز .

وهكذا زين شاعرنا شعره بألوان البديع التي زين بها معاصروه أشعارهم ، فلم يتخلف عن ركب الشعراء في فنه . وكان في سلوكه هذا مسايرا لتيار العصر من جهة وملائما لمتطلبات الحياة المصرية من جهة أخرى .

---

١ – الثعالبي – اليتيمة جـ ٢ ص ٥
٢ – ديوان تميم ص ٥٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تهوة كونتهـــا في　　　روضة الخد الأسهـــل

صترت عكم تنهيـــ　　　ـت عليها بمغــــزلي

ليس لي منها خمـــار　　　غير عتيد العـــذول (١)

وتفسير هذا القول الدائر أن الشاعر يستأذن الحبيب أن يحكي بجمال خديـــه لا بخمرة العنب أو النخل ، ثم تطاهلا يحول اتجاهه الى الفم فيمضي ويتخـــذه خمـــرا كونتها الشفتان في بستان الخــد ، ويلتفت الى أصحابه فيفخر عليهم بتطلبه الذي هداه الى العصـــر النقية التي لا خمار لها لأصداع العـذل .

والجناس من صنوف الزينة في شعر تميم أيضا ، منه قوله يتغزل :

مني ولو بالسلام منمنـــة　　　ثم أخلطي ما منعت بالمـــن (٢)

وهو مولع باللعب بأعلام الأماكن كقوله :

السكري أسكرتني وقـــار　　　فاخلع بها للهو عنك العـــذار (٣)

وقوله :

لكم كرة لي كيلاً شـــديدة　　　دهاهم بها للناكثين كمـــاة (٤)

وربما جاء جناسه أتم مما سبق كقوله :

ستأذني بالراح جيش الهموم　　　وما عال نفسي وما غالهـــا (٥)

أو قوله :

على أن لي جنبات إذا　　　تعرضـــن عضن طوال القنا (٦)

وقد يقع في شعره الجناس التام كالبيت :

لام عذارينا أيلحـــه　　　أخاف حتفي عليه من حتفي (٧)

أي أن الشاعر يخاف على العذار العين أي الاصابة التي مصدرها النظـــر ، فكلمة حتفي الأولى مصدر عائن مضافة الى ياء المتكلم . ومثل هذا البيت قوله لصديقه البرتي وقد رحل الى المكان المعروف بالحي :

شوقنا منه رحلت الحي حتى　　　ليس تخبو له وان بلغت نار (٨)

---

١ - ديوان تميم ص ٤٣٤ وص ١١٠
٢ - المصدر السابق ص ٤٣٢
٣ - نفس المصدر ص ١٦٩
٤ - نفس المصدر ص ١١٨
٥ - نفس المصدر ص ٣١٦
٦ - نفس المصدر ص ٨
٧ - نفس المصدر ص ٤٠٨
٨ - نفس المصدر ص ٢٣١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد قال مسلم بن الوليد :

موف على مهج واليوم ذو رهج كأنه أجل يسعى الى أمـــل (١)

ففي بيته تشابه بين نهايتي " مهج و رهج " و " أجل وأمل " . ويقف البلاغيون عند مثل هذه الظاهرة فيختلفون في تسميتها ، فيسميها قدامة بن جعفر بالترصيع (٢) ويتابعه في ذلك صاحب " الوساطة (٣) " وصاحب " نهاية الأرب (٤) " ، ويسميها آخـــر بالتسميط (٥) ومهما يكن الاصطلاح فان هذه الظاهرة ضرب من السجع ، وقـــد سماها بالسجع بعض البلاغيين (٦) وقد أكثر ابن هانئ من هذا اللون البديعي في شعره (٧) . وللترصيع أمثلة متعددة في شعر تميم منها قوله من الزهان (٨)

فبات أعجز من يسعت وأعجز من فوت وأصعب من عوده بلا وتـــر

أو قوله مفتخرا بنسبه :

آل النبي وأبناء الوصي وأخــ ـوان النبي وسادات الكرام ونا (٩)

وقد يمتد السجع أو الترصيع أكثر مما تقدم فيقول :

أمن تبسمه أبدى ولؤلؤه أم قده مائلا طمورا ومعتــدلا

أم لفظه عسلا أم خده خجلا أم طرفه كحلا أم لحظه قتـــلا

أم صده وجلا أم دمعه خضلا أم شعره رجلا أم خطوه كســلا

أم كبره صلفا أم لينه تيهـــا أم خصره هيفا أم ردفه ثقـــلا (١٠)

ولم يخل (١١) آخر من الزهد في ديوان شاعرنا اسمه التطريز يرجع الى ما يتصل باللون الرابع ، وفي شعر أبي نواس وابن الرومي شيء منه . وفي اليتيمة أمثلة متعددة له ، من منها قول ابن لنكك :

فيم ... شموسه والكؤوس مع الندامى نجوم في نجوم في نجـــوم (١٢)

---

١ ـ ديوان مسلم بن الوليد ص٦
٢ ـ نقد الشعر لقدامة ص ١٤ ـ ١٩
٣ ـ الجرجاني ـ الوساطة ص ٤٥
٤ ـ النويري ـ نهاية الأرب ، جـ ٧ ص ١٠٤
٥ ـ يحيى بن حمزة ـ الطراز جـ ٣ ص ٩٢
٦ ـ المصدر السابق والصناعتين ص ٢٠٣
٧ ـ تجنيس المعاني في ديوان ابن هانئ ص ٣٢٢ ، ٣٢٩٦ ، ٣٧٣ ، ٤٠٠ ... الخ .
٨ ـ ديوان تميم ص ١٨٠
٩ ـ ديوان تميم ص ٢٢٢
١٠ ـ المصدر السابق ص ٣٤٥ ، ٤٧١
١١ ـ يحيى بن حمزة ـ الطراز جـ ٣ ص ٩١ ونهاية الأرب جـ ٧ ص ١٤٨
١٢ ـ الثعالبي ـ اليتيمة جـ ٢ ص ١٢٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــــل الثالـــث

شعـــر تميـــم مـــا له : ومـــا عليـــه

قال ابن خلكان (1) " وكان تميم المذكور فاضلا شاعرا ماهرا ... وأشعاره كلها جميلة " . وهذه الشهادة بحسن أشعار تميم كلها شهادة مبالغ فيها ، فشعره لا يخلو من المساوئ ، شأن الشعراء جميعا ، وشأن الناس فيما يعملون . وعلينا الآن أن نتأمل محاسنه ، ونرى مساوئه اه

لقد عاش تميم في ظل خلافة ممهدة ، ناجحة السياسة ، وافرة الثراء ، آخذة بالعلم والأدب . فوجب على تميم المدح ، واتضحت أمامه مذاهبه . ومـــن الطريف أن المبالغة في المدح — وهي من سمات هذا الفن — تعتبر بعدا عن الصدق ، ويعتبرها الشيعة صدقا إذا تعلقت بالامام مثل العقل الكلي الذي لا تنفد أفضاله ولو كان البحر مدادا .

وكانت البيئة المصرية من خير البيئات روعة وجمالا ، رأى تميم فيها النيل ذا الوادي البهيج ، والمدن العظيمة كالقاهرة والاسكندرية ، وما فيها من حضـــارة وقصور وفنون ، وما يدور فيها من احتفالات متصلة . ورأى في البيئة السمـــاء الصافية الزرقاء الأخاذة ، والشمس السافرة ، والقمر الساطع والنجوم الزاهية ، فحق له أن يصف . ومن الطريف أن المعز كان من هواة الصيد ، وأن بازياره قـــد ترك لنا كتابا في البيزرة [illegible] عبر الينا القرون ، فلا عجب أن يكون للطرد نصيب في شعر تميم .

وكان تميم خبيرا جنسيا ، فصادف بيئة كثيرة الأديرة والخمارات ، شـــديدة المرح والمجون ، فأجابته على ما يحب ، وتهيأ سوء حظه على الخمر والجنس ، فاستعدت نفسه للفيض بالشعر الخمري والغزل .

وكان تميم ماجد العرق ، واسع العلم ، رصين الأدب ، قوي الجنان ، فاستبد فخره من هذا الجانب من [illegible] واقتنه ، كما استمد شكواه من الجانب المظلم مـــن

---

1 — وفيات الأعيان جـ 1 ص 121

ذلك الرائع . وكان كثير الاخوان ، محبا للشعراء ، محبوبا لديهم ، فأتيح لديوانه حظ موفور من الاخوانيات .

وهكذا وجد شاعرنا يلاحظ كذلك الذي أتيح لجرير والبحتري والمتنبي وسائر العباسيين ، ورزق وسطا مترفا كوسط ابن المعتز ، وهبة جميلة كهبة المتنبي ، وسبق الى مجتمع كمجتمع أبي نواس ، وولد لاسرة أورثته مجدا يفوق مجد أبي فراس وضيقا كالذي لازم المتنبي ، فحلت نعمة الصدق في مديحه ، ووصفه (وشعره الخمري) وغزله ، ومراسلته ، وفخره ، وشكواه ، وان تأثر في بعض هذه الفنون بما قيل فيها من الشعر ، وان جنح أحيانا الى التقليد وان اضطره حين افتتاح المديح بالوقوف على الأطلال لضرب من الصدق الفني .

والحيوية من الخصائص الشعرية القوية في شعر تميم . فقد دارت في ذهنه أفكار ، فأجراها على لسان غير الناطق . حين تغزل ومدح ووصف . ومن مظاهر الحيوية أن يخلع الشاعر على موضوعه عواطفه . من ذلك قوله يصف فوارة :

شهدت عليه بقلة الصبر   وبعظم ما يلقى من الهجر
فوارة جمدت مدامعه   وهمو لها فجرت كما تجري(1)
لكن بدت مدامع عاشق   بخفت قبل بأدمع حمر

وفي شعر تميم حفل الشعر بوصف المواعين والأطعمة . وان المرء(2) ليسمع في بعض الشعر الذي قاله المأموني ما تقوله السيدات في المطبخ . ويحقق ذوقا بسيطا ويكشاجم ويحس أنهما قد أدخلا الشعر فيما لا يعنيه ، ويشعر بضعفه من حيث هما من المأكولات ، ويخيل اليه أن الحاجة الى الطعام تزيد عن الحاجة الى الجنس في الأدب . ووصف تميم الشمعة والناعورة ، والطعام أحيانا ، ولكنه يقترب جاهدا من التصوير الشعري بما يحاول خلعه على الموصوف من الحيوية . وتقل عنده أوصاف مستحدثات الحضارة ، ويقل جدا حديثه عن الطعام ، ويتقدم عنده وصف أمثال الجدول واللهف اللذين وصف

---

1 - ديوان تميم ص ٢١٦
2 - الثعالبي - اليتيمة جـ١ ص ١٠٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمثالهما المأمونيه . وكأنما كان تميم ينفر من ذلك الانحطاط الفنى ، والدليل أنك تقرأ حديثه عن الأسرة فتجده لا يكاد يصف ظواهرها الانشائية ، وينصرف الى الحديث عن أسراره .

وتقرأ شعر تميم فتحس سهولة عبارته ، ووضوح معانيه . فلا يمنع المهجور من الألفاظ فى ديوانه اذا استثنينا الأرجاز التى تقبل ذلك . ولا يتفشى فى قصائده غموض أو التواء أو عنت . ولا يشين شعره ولوع بالمحسنات ، أو اصطناع للتعليم. وخير ما يدل على بساطة شعره أول قصيدة مدح بها أخاه ، وأرجوزته النونية ، والكثير من اخوانياته كقوله :(١)

ان تكن قد سلوت عن عهدنا   واطرحت السؤال لنا بعدنا

فأنا حافظ لعهدك راع   لك ما عشت ان حضرنا وغبنا

ما تعرضت جاهدا بكتاب   مثلما يفعل المحب المعنى

لا ، ولا رحت حين غبنا ثلاثا   تشتكى وحشة التفرق منا

خير أهل الوفاء ذو الحفظ بالأفـ   ـعال لا من يقول : أنا وأنا (٢)

ومن طبيعة النفس أن تمل الرتوب ، وتحب التنوع . ويمتاز ديوان تميم بظاهرة التنوع ، فقد نظم الشاعر شعره فى ثلاثة عشر بحرا ، هى : الكامل والخفيف والبسيط والوافر والمجتث والطويل والسريع والمتقارب والمديد والمنسرح والرمل والمديد والهزج والرجز (٣). ومن الطريف أن يلاحظ الزجاج ندرة استعمال البحرين : المقتضب والمضارع (٤) وأن ينكرهما الأخفش (٥)، وألا يذكر الخليل بحر المتدارك فى بحور الشعر . فكأن تميما قد خاض جميع البحور المجمع عليها ، وهجر جميع ما كان موضع نزاع . وكما تنوعت بحوره تنوع رويه ، فشمل حروف المعجم الا الثاء والخاء والذال والضاد والواو . وقلما يكون الحرف من هذه رويا . ومعروف أن ثم علاقة بين الوزن والموضوع ، فلا يصلح أى وزن لكل الملاحمة لأى موضوع . وهكذا أكثر تميم النغم فأتاح الفرصة لمشاكلة القالب للموضوع ، وتخلص من الرتوب الموسيقى أيضا .

---

١ — ديوان تميم ص ١٠٠   ٢ — المصدر السابق ص ٤٢٥

٣ — انظر فهرست القوافى فى آخر الديوان   ٤ — عبد المنعم خفاجه — الشعر ج ٢ ص ١٧

٥ — حاشية المصدر السابق ص ٢٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتنوعت أساليب تميم فاستخدم الأسلوب المباشر ، والأسلوب غير المباشر : القصة والحوار والانطاق ، وهذه خطة تطرد القليل . وتنوعت فنونه كذلك ، فسالح شعر الخمر والغزل والمدح والوصف والفخر والشكوى والحكمة والرثاء والهجاء والاخوانيات . ويصل لكل هذه الفنون أنصبة وافرة من شعره . ويرى الشعر المتهين دائما بأن المدح يشغل جانبا كبيرا منه ، وهو فن ثقيل على النفس لشيوع التكلف والكذب فيه . ولم يطغ المدح على ديوان تميم . وتمتاز مدائح تميم بأن للناظم حظا كبيرا منها أنفقه في شعر الخمر والغزل والفخر وغير ذلك . وقد طعم الشاعر المدح بالمعاني المذهبية ، فأدخل على فن المدح جديدا غريبا غير الكل . وقد تستنكر هذه اللهجة لاعتبارات دينية ، ولكن العنصر الذي أخذته مصدر ارتياح .

تلك محاسن شعر تميم ، فلننظر الى مساوئه أيضا . لقد استعار تميم من الشعراء تقاليد أدبية لنكار الكثير في المدح ، أو استعمال الأساليب المختلفة كالقصة والحوار والانطاق ، وتلك استعارات لا غبار عليها . ولكن ما قد يؤخذ عليه هو الذي يسميه البلاغيون بالسرقات . فقد نظر تميم الى معاني القدماء والمعاصرين ، وغيرها قليلا أو كثيرا ، وأدمجها في شعره . وقد تقدم كثير منا في ديوانه من هذا القبيل . ومن العدل أن نضع الشاعر في اطاره الزمني عند ما ننظر في هذه المسألة . فالسرقة - كما لوحظ - أصبحت طريقة شائعة في القرن الرابع ، فتنبه لها النقاد ، وألفوا فيها كتبا خاصة كالموازنة[1] . ورأى ابن وكيع الشاعر المصري الا أن يسهم في تعقب السارقين ، فألف كتابا في سرقات المتنبي[2] . ويدل الجزء المطبوع من الموازنة على كثرة ما سرق أبو تمام والبحتري قبل عصر تميم . لذلك يقول مؤلفها عن أبي تمام ومع هذا فلم أر المنصفين من هذا الرجل يجعلون السرقات من كبير عيوبه ، لانه باب ما يعرى منه أحد من الشعراء الا القليل[3] . أما عبد العزيز الجرجاني فيرى أن السرقة داء قديم ، وأن الانصاف يقتضي ألا نشتد مع المتأخرين بسببها[4] . ونقرأ في اليتيمة أن السري الرفاء كان حسن السرقة ، ونقرأ[5]

---

١ - الدكتور شوقي ضيف - الفن ومذاهبه في النثر ص ١٧١
٢ - الدكتور محمد كامل حسين - في أدب مصر الفاطمية ص ٢٥٢
٣ - الآمدي - الموازنة ص ١١٥ وكذلك ص ٢٥٠ ٤ - الجرجاني - الوساطة ص ١٦٦
٥ - الثعالبي - اليتيمة جـ ١ ص ٤٥٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في ديوان السري نفسه شكاوي متعددة من سطو الخالديين والملحي وغيرهما على ما يملكه صاحب الديوان . واذا كان الأمر كذلك فتميم ليس بدعا وقد سرق الفحول قبله وفي عصره . ولكن ما قد يؤخذ عليه بشدة انما هو تقمصه لشخصية المتنبي ، وتقليد نفسيته تقليدا مسيئا كما رأينا . ولكن الحقيقة أن هذا التقمص قد حدث في أول حياة الشاعر الفنية ، والدليل انه جلى في القصائد التي مدح بها المعز . فلما ذهبت أيام المعز وجاءت أيام العزيز أحس تميم كيانه ، وهجر التقمص والاعتناء المعيب . وعند ما كان يعارض المتنبي كان يظهر شخصيته . واذا رجعنا الى قصيدة تميم التي مطلعها :

ما قال أوه لفقده واهـــا كمستريح لقـــوله آهـــا (١)

وقارناها بقصيدة المتنبي التي مطلعها :

أوه بديل من قولة آهـــا لمن نأت والبديل ذكراهـــا (٢)

نجد الشاعر المصري متأثرا تأثرا عاما بالمتنبي ، ولاسيما عند ما حن الى وطنه الأول ، وتذكر أيامه هناك . وتأثر تميم في هائيته لا يعاب ، لانه يقف فيها من أبي الطيب وقفة الند . ولا أدل على ظهور شخصيته من انه لم يتقيد بأغراض المتنبي التي سبقت المديح ، فقد تغزل المتنبي وفخر . وتغزل تميم ، ثم ذكر الخمر ، ثم افتخر ، فأضاف عنصرا جديدا يحبه هو ، ويردده في مدائحه . وانظر كذلك قصيدة تميم التي مطلعها :

دليل على أن سوف يرديه ما لقي بأنك لو قد شئت بقياه ما بقي (٣)

فانها معارضة لقصيدة المتنبي التي مطلعها :

لهنيك ما يلقى الفؤاد وما لقي وللشوق ما لم يبق مني وما بقي (٤)

نستجد استقلال تميم وشخصيته .

وقد عارض شاعرنا تميم [...] رائية أبي نواس المشهورة التي أنشدها في مصريين بدى الخصيب ، وانتزع بعض صورها وألفاظها ، ولكنه احتفظ بشخصيته على هذا النحو : افتتح أبو نواس مدحته بالغزل ، ثم انتقل الى المدح ، ثم تحول الى وصف [...] سفره الى مصر ، ثم عاد الى مدح الخصيب . أما تميم

---

١ — ديوان تميم ص ٤٠٤
٢ — ديوان المتنبي جـ ٢ ص ٤٩٨
٣ — ديوان تميم ص ٢٨٨
٤ — ديوان المتنبي جـ ١ ص ٤٥٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد بدأ بالغزل ، ثم افتخر ، ثم مدح العزيز ، ثم هنأه بالعيد ، ثم وصف الاحتفال والخطبة وورع الخليفة ، ثم تحدث عن وفائه لأخيه وانعامه عليه ، ثم أشار إلى الوشاة ، وذكر الخليفة بأنه أخوه الودود ، وختم بالصلاة على الممدوح . فليس هناك تشابه في ترتيب الأغراض الرئيسية في القصيدتين . وفي كلتيهما أجزاء ليست في الأخرى ، فعند أبي نواس محاورة بينه وبين امرأة لعلها زوجته ، ووصف لرحلته ، وليس مثل ما تقدم عند تميم . وعند شاعرنا وصف الاحتفال بالعيد وخطبة المنبر ، وجزء يدور حول علاقته بالممدوح ، ولا نرى شيئا مما تقدم عند أبي نواس . وثم اختلاف آخر في جزئيات الغزل والمديح اللذين اتفق فيهما الشاعران . فأبو نواس يتحدث عن جاريته المجهولة التي تبخل عليه ، ويقف أبوها الغيور بينها وبين الشاعر ، ويذكر أنه لا يستسلم لكل عاطفة ، وانما هو محب ثاقب النظر كالعقاب . ويمدح الخصيب بالشجاعة والكرم والاخلاص للخليفة . أما تميم فيتحدث في غزله عن وصل من يحب عنه ، ويصف محاسن الراحلات ويتحدث عن عفته ، ويمدح أخاه مدحا مصطبغا بالدين والتشيع . ومما مدحه به الشجاعة ، ولكنها الشجاعة التي في خدمة الدين . ومما يستحق أن يذكر أن الشاعر لم يمدح أخاه بالكرم في قصيدته هذه . وليس هناك شك أن اختلاف الظرفين قد أدى الى اختلاف بعض العناصر في كلتا المدحتين . ولكن اختلاف الغزل فيهما لا يرجع الى الظروف ، ثم ان الاختلاف - مهما يكن سببه - علامة استقلال تحسب لتميم .

والحشو مما يؤخذ على تميم ، ففي شعره بعض منه كما في قوله يمدح أخاه :

والذي جل أن يساوى بشمس أو ببدر التمام عند التمام
والذي عم بالجدا والعطايا والنوال لمجتدى كل الأنام
والذي يرتجى لدين ودنيا والمصفى من كل عيب وذام (١)

---

١ - ديوان تميم ٣٦٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فطرف البيت " عند التمام " لا داعى له ، ويكفى من " الجدا " و " العطايا " و " النوال " كلمة واحدة ، ومن " الصيب " و " الذام " اسمها ولا ننسى أن هذه الأبيات من الشعر الذى قيل فى أول حياة الشاعر الفنية • وفى الديوان أمثالها •

وثم لون آخر من الحشو يتمثل فى تكرار المعنى الواحد فى ثنايا القصيدة الواحدة • وفى الديوان قصائد أضر بها هذا اللون من الحشو • ومن أبرزها تلك التى مطلعها :

وخمر ترشفت سلسالها وأجريت فى الشرب جريا لها (١)

وفيها يمدح الشاعر الخليفة المعز بالشجاعة والكرم والبهاء ، يطرق المعنى منها ثم يدعه ، ثم يعود اليه • ومن الأمثلة قوله أولا :

وفرضت نفسى من الصالحات وصيرت فى المجد اعمالها
بأبيض كالبدر طلق اليدين تسابق جدواه سؤالها
هو البحر تغرق أمواجه بحار النوال ونوالها
هو الليث يمسك أحواله زئير الليوث وأهوالها

ثم قوله ثانيا :

ترى البدر والبحر فى سرجه وليث الحروب ورئبالها

فقد قرن الخليفة بالبدر والبحر والليث فى أبيات ثلاثة ، ثم عاد فقرنه بالأطراف المذكورة فى بيت واحد ، وزاد الطين بلة بذكر كلمة الرئبال مع أن ذكر الأسد يكفى • والحق أن القصيدة التى منها الأبيات السابقة متهالكة ، يبدو عليها الارتجال ، فلعل الشاعر قالها مستعجلا ، فانها لا تشبه جملة شعره الذى قاله فى أيام المعز • وتشبيهها فى الضعف الى حد ما المخمسة لما فيها من حشو أيضا (٢) •

وفى الديوان نصوص يشابهها لون ثالث من الحشو يتمثل فى الزيادات الطارئة الضارة ، فقد قال تميم يصف الناعورة مرة :

ناعورة أبدت أنين الهوى لما شكت حر وساوسها
أعينها صرة تديرها ودمعها ماء فؤادها (٣)

---

١ — ديوان تميم ص ٣٦٨ ٢ — نفس المصدر ص ٣٥٥
٣ — نفس المصدر ص ٢٤٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كأطار الحياة على الناعورة الجامدة ، فجعلها ذات نفس أصمتها وساوس الحب ، فجعلت تئن ، ثم عاد فسلب الناعورة الحياة لما ذكر الصرير وماء القواديس".

وفي الديوان لون رابع من الحشو يبدو اذا نظرنا الى الديوان نظرة شاملة ، وهو تكرير المعنى الواحد في نصوص مختلفة تكرارات كثيرة مملة كأحاديث الشجاعة والكرم ، وأحاديث الهاجر وسواد الشعر وعظم الأرداف • ولكن هذا الحشو ليس عيب تميم وحده •

ويجيد تميم التخلص في المديح اجادة فائقة ، فلا يضيق القارئ بانتقاله من الشعر الذي يتناول أهوائه الى الشعر الدائر حول المديح • ولكنه يضيق بانتقاله — في عدة نصوص — من غرض الى غرض ، لأن الشاعر لم يستطع التخلص الحسن • وهذا مثال :

عتبت فانثني عليها العتاب ودعا دمع مقلتيها انسكاب
ومحت نحو خدها بيديها فالتقى الياسمين والعناب
رب يوم قضيتها جمل العتـ ـب رياء وهمه الاعتاب
فاسقنيها مدامة تصبغ الكأ س كما يصبغ الخدود الشباب
ما ترى الليل كيف رق دجاه وبدا طيلسانه ينجاب
وكأن الصباح في الأفق باز والدجى بين مخلبيه غراب
وكأن الجوزاء سيف صقيل وكأن الدجى عليها قراب (١)

فلا صلة بين الأبيات الثلاثة الأولى وبقية النص • وفي ديوانه نص آخر أوله :

ناعورة أنت أنين الهوى لما شكت سر وساوسها

يصف فيه الناعورة والنوفر والخمر والساقي ثم ينتقل الى هجاء الأمويين • ولم يستطع هنا أيضا أن يوفق بين أغراضه في القصيدة •

ويحاول تميم أن ينتقل من موضوع الى موضوع في بعض النصوص فيضطرب شعره •

---

١ — ديوان تميم ص ٦٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والباقية التي تأنس بها ابن المعتز مما وقع فيه التضارب ، يقول فيها :

مزوجتها على أرج مونق ... أنيق الدساكر متشابهــا
تسائل ما بين حوذانهـا ... وطيب ثراها ولبلابهـا
بعذراء شابت ولم تختطب ... وأنحلها طول أحقابهـا (١)

ثم مضى في الحديث عن الخمر والساقية ، ويقول بعد ذلك :

دعاني فلست بمستحسن ... لطرق المجون وآدابهـا !

ويضطرب شعر الشاعر مرة أخرى حيث يقول :

يا صفقة الوصل والصدود بها ... أصبحت نشرا من ابنة الدن
ولم أذقه ولا سمعت بمستحسن ... ذاق ولكنه كـذا ظني
على صفقتها بلا حرج ... كان وقبلتها ولا أكني (٢)

ولا يمكن أن يقال إن مثل هذا التضارب يحدث عفوا ، فالعمد ظاهر ويمكن أن يفسر بأن الشاعر كان يأخذ بالرجوع المعروف في البلاغة قبل عصره ، فقد ذكر ابن المعتز الرجوع في كتابه البديع (٣) . وربما يكون السبب فتضارب أقوال تميم معجب بها .

وقد يدع تميم اللغة المألوفة ، ويحاول غيرها . فقد لاحظ الناشرون أن تميما يؤنث ما اعتدنا تذكيره كما في قوله :

ولما تقابلت المحفلان ... وعاد كمثل الظلام الضحى (٤)

أو يعدي اللازم كما في قوله :

وقد هزم الأسد حتى انتهاك ... فلما رآك غدا لا يرى (٥)

أو يفك المدغم بلا ضرورة كما في قوله :

تضادد الحسن في أبشارهن بما ... تمت لهن به الأوصاف والجمل (٦)

وهذه كلها لغات صحيحة ولكنها شاذة (٧) . وأشاروا إلى حذفه أن المصدرية وأخذه بلغة طيء في استعمال مثل ذي بمعنى الذي (٨) ، واستعماله

---

١ ـ ديوان تميم ص ٧٦ ... ٢ ـ نفس المصدر ص ٤٣٦
٣ ـ ابن المعتز ـ البديع ص ٦٠ ... ٤ ـ ديوان تميم ص ٩ ، ٢٢ ، ٤٩ ، ٧٤
٥ ـ نفس المصدر ص ١١ ، ٣٠٦ وكذلك ٣٦٤ ... ٦ ـ ديوان تميم ، الحاشية ص ٣٤٧
٧ ـ نفس المصدر ص ١٦١ وكذلك ص ١٥٩ ، ٣٣٦ ، ٣٩٨
٨ ـ نفس المصدر ص ١٠٧ وكذلك ص ١٠٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذى باللذين (١) ، وحذفه الواو فى بنائه (٢) ، واخذوا عليه ذكر صور من الأعمال غير معروفة (٣) ، والزمان من الاشتقاق والجمع غير قياسية (٤) ، وأشاروا الى استعماله اللغة المعروفة بلغة أكلونى البراغيث (٥) .

ومن انحرافات تميم الأخرى استعماله الاك بدل الا اياك ، وانى وأنت بدل انى واياك ، وأوسع بدل أوسعه ، وأسكر ، بدل أشد اسكارا ، وكبرى بدون استيفاء شروط التفضيل ، وما أبيض بدون استيفاء شروط التعجب ، والأمات بمعنى الأمهات ، ويشكوان فى محل يشكوا (٦) .

ومما قد يؤخذ على الشاعر اثبات همزة الوصل ، والوقوف على الاسم المنصوب المنون بالسكون ، وحذف فتحة الاسم المنقوص المنصوب ، والفعل المنصوب المعتل الآخر بالواو أو الياء (٧) .

ويجب أن نذكر ما أخذه الناشرون على الشاعر وما أخذته شائع فى دواوين غيره من الشعراء ، فالمتنبى لا يراعى التذكير والتأنيث ، ويستعمل لغة أكلونى البراغيث ، ويحذف أن ، وأما أشبه ما أخذ تميم ، بل لقد اجتمع استعماله للذ بمعنى الذى وهو بمعنى نحو فى بيته :

لو لم تكن من ذا الورى اللذ منك هو (٨) عقمت بمولد نسلها حواء

ومن المعروف أن المتنبى كان يتعمد الشذوذ . أما الوقوف على الاسم المنصوب المنون بالسكون ، وذكر همزة الوصل فمما شاع فى أشعار المحدثين .

ومهما تكن انحرافات تميم فانها لا تشين شعره شيئا كبيرا . ويدل الديوان على أنه كان متمكنا من علوم اللغة العربية . وجدير بالذكر أن فى شعره هذا البيت :

خلافة قد أذلت من يخالفها ودولة عبدت أيامها الدول (٩)

والشطر الأول واضح لا غبار عليه . أما الشطر الثانى فربما توهمنا خطأ نحويا فيه ، اذ نصب الشاعر كلمة " أيامها " ورفع كلمة الدول ، مع أن الأيام

---

١ — ديوان تميم ص ٢٤١ ٢ — نفس المصدر ص ٢١

٣ — نفس المصدر ص ٢٠ ، ٨٧ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ٣٤١

٤ — نفس المصدر ص ١٢٨ ، ٢٩٧ ، ٣٤٧ — ٢٣٩ ، ٢٩٧

٥ — نفس المصدر ص ٤ ، وكذلك ص ٢٠ ، ٤٤ ، ١٢٧ ، ١٤٢ ، ٢٦٤ ، ٣٣٩ ، ٣٤٧ ، ٣٥٦ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ٦ — نفس المصدر ص ٤٣ ، ٢٦٣ ، ٢٦٨ ، ٢٣٠ ، ١٦٤ ، ٢٥٦ ،

[illegible]

هى التى تبدو مستعدة للفرح ، لأن أيام المنيزهى التى أخضعت الدول كما أذلت خلائف المخالفين . وهكذا يخاطب الشاعر مخطئا . ولكن اذا أمعنا النظر وجدنا له مخرجين :
الأول : أن الشاعر لسليقته الواسع بالنحو يعرف كيف يستعمل شواذه . فلا مانع عند النحاة أن ينصب الفاعل ويرفع المفعول اذا أمن اللبس .
والمخرج الثانى ، وهو الأوفق أن كلمة " الدول " ليست جمع دولة بفتح الدال انما هى جمع دولة بضم الدال بمعنى الادالة أو الانتصار ، فيكون معنى الشطر الثانى : ان أيام المنيزه الزاهية بالتى قد روضتها انتصاراته
تلك محاسن فى شعر تميم وهذه مساوئه فيه . ولن يمنعنا ما تقدم من القول : لقد أجاد تميم الخمر والغزل والمدح والوصف ، ونجح فى الفخر والشكوى بعض النجاح ، ولم يبرز فى الحكمة والهجاء ، ولم يحسن الرثاء لشيوع التكلف فيه . ومن خير شعره عيونا الكثير من الحوليات ، والكثير من مدائح المنيزه كتلك التى مطلعها :

ما قال أوه لفقده واها كمستريح للوله آها (١)

وتلك التى مطلعها :

جارية مرخفة القد غالية مظلومة الخد (٢)

والتى مطلعها :

وليل على أن سوق بردية ما لقى بأنه لو قد شئت بلهاه ما بقى (٣)

وتلك التى خاطبت داعى الدعاة . ومنه الأراجيز ولا سيما تلك التى مطلعها :

يا رب ليل عاطر الأردان من نسم النرجس والسوسان (٤)

وهذه الأرجوزة الموسيقية لا تعد من أروع شعر تميم وحده ، بل تعد من أروع الشعر العربى .
وقد عرف القدامى قدر تميم فلزنوه بابن المعتز . قال عنه ابن الأثير : شاعر أهل بيت المهديين غير منازع ولا مدافع . وكان فيهم كابن المعتز فى بنى العباس

---

١ - ديوان تميم ص ٣٤
٢ - نفس المصدر ص ١٠٠
٣ - نفس المصدر ص ٢٨٨
٤ - نفس المصدر ص ٤١٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في بني العباس ، غزارة علم ، ومعاناة أدب ، وحسن تشبيه (١) . وثمة شهادات أخرى كهذه (٢) . ولاشك أن شيئا قد تأثر بابن المعتز في شعره ، ولكن الحق يقتضي أن يقال : ان الشاعر المتأخر قد يسبق المتقدم في جوانب من شعره كالنقيضة الرائعة مثلا ، ويتخلف عنه في جوانب أخرى . واذا حكمنا على شعر شيم المأثور عددناه من الشعراء المجيدين ، واذا حكمنا على شامياته أمكن عدها من الشاميات الممتازة ، بدليل قصائدها الرائعة ، باعتبار ما كان ينتظر منها لو أن الشاعر عاش فترة بعد سن التاسعة والثلاثين .

---

١ ــ ابن الأبار ــ الحلة السيراء ص ١٣٢

٢ ــ ابن خلكان ــ وفيات الأعيان جـ ١ ص ١٢١
وزهر الآداب جـ ٣ ص ١٧٤ ــ مقدمة محقق الديوان

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ه

الخاتمـــــة

تأثر شعر تميم بأخلاقه ومكانته الاجتماعية وباستيطانه مصر كما تأثر بالمذهب الـذي تمسك به أسرته وبقراءاته الواسعة . فكان من أثر أخلاقه التي عرفناها أن جعل للخمر والغزل نصيبين وافرين من ديوانه وتفنن في أساليبهما ومعانيهما وأجاد أيما اجادة فيهما ان اللونان من الحديث يوافقان هواه . ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فقد ظللت الخمر والجنسية عبارته فيخاطب أخاه على هذا النحو :

مزجت بصفو ودك صفو ودى ... فقلبى اليوم منه غير صـــاحى (1)

ويقول عند خرا :

ونطرد بالعز ذل الخمول ... ونشرب ماء المعالي صبوحـــا (2)

ويتحدث عن قطعة للبهمه أى الصحراء فيقول (3)

فبتكسه في ليلة ليـــلاء ا

ويرثى أخاه فيبدأ بهذا البيت غير المناسب :

قسمة الموت قسمة لا تجور ... كل حى بكأسها مخمـــــور (4)

والأمثلة التي من هذا النوع كثيرة ، وكذلك الأمثلة المتأثرة بالجنسية ومنها قوله في يوم سدر عاتى :

عقدت وجمى فيه بالاذكاء ... عقد اللمى بالشفة اللميـــاء (5)

وقوله يمدح أخاه :

ما زلت تخطب للعلياء أنفسها ... دون الملوك ببيض الهند والذهب

حتى جلست على الجوزاء منفردا ... بها وقبلت ما في موضع الشنـــب (6)

واذا كان تميم قد ذكر الخمر في الرثاء فانه قد ذكر الجنسية في تعزية صديقه الحسين الرســـى لما مات أبوه :

واعلم بأن مصابي ... على أبيك وضـــــري

مصاب قيس بليلى ... ووجد خنسا بصخـــر (7)

---

١ ـ ديوان تميم ص ٩٥

٢ ـ المصدر السابق ص٩٢

٣ ـ المصدر السابق ص ١٤

٤ ـ المصدر السابق ص ٢٢٦

٥ ـ المصدر السابق ص١٥

٦ ـ المصدر السابق ص٦٩

٧ ـ المصدر السابق ص ١٥٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا غبار على الشطر الثانى من البيت الثانى . أما الشطر الذى قبله فسخيف .

وأراد تميم مرة أن يصف الاترجة العالقة بالغصن ، فجاء فى قوله بتشبيه تمثيلى خليع ، قال :

أترجة ماد بها غصنها وجادها الطل فأبقاها
كأنما زارت حبا لها فالتف خوف الباه ساقاها (١)

ولا عجب ، فتميم شاعر جنسى باع مستقبله بالجنسية .

ومن الأدلة على سيطرة الخمر والجنسية معا على نفسه أنه كثيرا ما يتحدث عن أحد الطرفين فيذكر الطرف الآخر ، فكأنهما يريدان أن يجتمعا فى عبارته كما اجتمعا فى حياته ، فتراه يقرن الريق أو اللحظ أو الخد بالخمر (٢) . ومن أقوى الأمثلة التى من هذا النوع تلك القطعة التى مرت بنا فى فصل الزينة ، وتحدث فيها عن عصير الحسن وخمر الريق وكرمة الخد وحمار العذول .

ولابد من الاشارة الى أن تلون العبارة الشعرية بالخمر والجنسية موجود فى الشعر العربى قبل تميم ، اذ تجرى الخمر فى عروق شعر السرى الرفاء جريانا عجيبا . وربما احتدت الجنسية فى عبارات بعض الشعراء كما فى قول ابن المعتز : (٣)

وانظر الى دنيا ربيع أقبلت مثل النساء تبرجت لزناة

ولكن هذه الظاهرة ليست قوية عند عند كثير من الشعراء قوتها عند تميم . ولا يتنافى وجودها عند كثير أو قليل منهم مع ربطها بأخلاق تميم . وعجيب أن يزعم "ماسينيون" - يؤيده "جومس" أن العرب يشبهون الانسان بالحيوان فى شعرهم والأزهار بالأحجار الكريمة أى أنهم يشبهون الأكثر حيوية للأقل حيوية والأقل حيوية بالميت مسايرة لايمانهم بأن كل شىء فان (٤) .. وكيف يستقيم لهما هذا الزعم مع أن فى الشعر العربى أمثال تميم .

وكان من أثر أخلاق الشاعر - الى جانب مكانته الاجتماعية - أن راح يفخر بنفسه فخرا تجاوز حدود المعقول أحيانا .

---

١ - ديوان تميم ص ٣٣

٢ - المصدر السابق ص ٣٥ ، ٥٦ ، ٢١ ، ٢٧٦ ، ٣٠١ ، ٤٥٩ ، على سبيل المثال

٤ - غومس - الشعر الأندلسى ص ١١١ - ١١٢

٣ - ديوان ابن المعتز ج٢ ص ٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وكان من أثر مكانته الاجتماعية وحدها أن عرف القصور وزخارفها ، والحدائق وأزهارها ، وألف الذهب والفضة وأمثالهما ، وتعود أن يشم العطور والطيوب صباح مساء . فازدادت عبارته بالحسنات ، وتألقت فيها المعادن النفيسة ، وضاعت فيها الروائح الزكية . وكان لمكانته الاجتماعية أثر آخر ظهر في قلة مدائحه نسبيا ، وانصرافها كلها الى أخيه .

وقديما قيل "ان شرب ماء النيل ينسى الغريب وطنه "(١) . ويقال اليوم ان مصر تمصر الوافدين وتهضمهم . وقد شغل تميم بوطنه الثاني عن الاول ، فلم يتعرض لشيء من حوادث المغرب المعاصرة قط ، بل انه لم يذكره الا مرتين اثنتين في ديوانه كله(٢) . ولعله فعل ذلك في آونتين كان صدره ضيقا فيهما بسبب اشتداد أخيه معه ، فاضطره واقعه المؤلم الى الهرب الى صباه . وقد تأثر تميم في ظرفه بالمصريين ، وازداد مجونه في بيئتهم ، وانتقل ظرفه ومجونه الى شعره عدوى من أبي الرقعمق وأمثاله ، كما تأثرت عبارته بالبيئة المحيطة فلانت واستوت ، وتسربت الى بيانها بعض العناصر الاصيلة المصرية ، ودخلتها بعض العناصر العامية وان لم تتضح اتضاحها في شعر الشريف العقيلي(٣) . وكان لتفوق مصر الباهر في صناعة النسيج أثره في غزل تميم فأكثر من الغزل الذي كان يكتب على الشقق والستائر والعمائب ، وأنطق الانسجة انطاقا لم نعرفه لأحد قبله ، فكان هذا الانطاق لونا طريفا من الغزل ، أفرته به مصر التي تفوقت فيها صناعة النسيج . ولم يفدع النيل من تميم أن يصفه وصفا يستطيع الشعراء العابرون ، فراح تميم يذكره في شعر الشعر الى جوار العناصر التقليدية ذكرا له مغزاه النفسي .

وكان من أثر المذهب الذي تمذهبت به أسرته أن تحدث عن تاريخ الحزب الشيعي ، وتغنى بآماله وردد عقائده . فقد افتخر في معرض حديثه اذ ذاك بأجداده ، وذرف الدموع على الشهداء ، وعرض بالخصوم القدامى والمعاصرين . وراحت أحلام الدولة المهدية تراوده ، ولكن أحلام بغداد كانت أشدها اعتيادا ووضوحا . ونمضي في قراءة فخره بعلي أو رثائه للحسين أو لهجه ببغداد فلا نستنكر شيئا مما يقول ، ولكن مدحه الاسماعيلي لابيه وأخيه قد يستنكر أشد الاستنكار ما لم يفهم في ضوء العقائد الفاطمية .

---

١ - المقريزي — الخطط ج ١ ص ٥٠

٢ — ديوان تميم ص ٣٥ ، ٤

٣ — ديوان الشريف العقيلي . انظر ص ٩٢ و ١٠٤ و ١٥٠ و ١٩٩ حيث توجد عبارات وأمثال عامية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ظهر لقراءة تميم الواسعة صدى في شعره ، فتأثر بابن المعتز في بيانه ، وتأثر بأبي نواس والمتنبي والبحتري في بعض فنونه ، واقترض معاني وأساليب من هذا الشاعر أو ذاك أو هذه المدرسة أو تلك . ولم يؤثر ابن هانئ في شعره تأثيرا يذكر لأن كلا منهما كان يجري في واد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مراجـــــع البحـــث

أ ــ المخطوطــــــة

١ ــ ابن الابار ــ محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي

١ ــ الحلة السيراء ــ نسخة مصورة بجامعة الدول العربية رقم ٢١٩

ــ القاضي النعمان بن محمد بن منصور

٢ ــ تأويل دعائم الاسلام ــ نسخة مصورة بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٦٠٢١

٣ ــ المجالس والمسايرات ــ نسخة مصورة بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٦٠٦٠

ب ــ أبحاث مكتوبة بالآلة الكاتبة

ــ ابراهيم الجابي

٤ ــ القيان وأثرهن في الشعر في العصر العباسي الأول مستنسخة مصورة في مكتبة الجامعة القاهرة رقم ٩١٠٢، ٩١١٦

ــ الدكتور حسن أحمد محمود

٥ ــ دولة بني زيري ــ بحث تقدم به للماجستير

ــ الدكتور محمد كامل حسين

٦ ــ مروان بن أبي حفصة ــ بحث مكتوب بالآلة الكاتبة بمكتبة جامعة القاهرة رقم ١٠٩٣ و ١٠٩٤

جـ ــ المطبوعـــــة العربية

ــ الآمـــدي (الحسن بن بشر)

٧ ــ الموازنة مصر ١٩٥٤

ــ ابن الأثير (علي بن محمد بن محمد)

٨ ــ أسد الغابة في معرفة الصحابة مصر ١٢٨٠هـ

٩ ــ الكامل في التاريخ مصر ١٣٠١هـ

ــ ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي)

١٠ ــ الدجوم الزاهرة دار الكتب

ــ ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد)

١١ ــ طوق الحمامة مصر ١٩٥٠

ــ ابن حوقل (أحمد بن حوقل)

١٢ ــ صورة الأرض ليدن ١٩٣٠

ــ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٣ ـ العبر في ديوان المبتدا والخبر — مصر ١٢٧٤هـ

ـ ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم)

١٤ ـ وفيات الأعيان — مصر ١٢٩٩هـ

ـ ابن الرومي (علي بن العباس بن جريج)

١٥ ـ ديوان ابن الرومي — مصر ١٩١٧

ـ ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه)

١٦ ـ العقد الفريد — مصر ١٢٩٣هـ

ـ ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن)

١٧ ـ التاريخ الكبير — الشام ١٣٣٢هـ

ـ ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحي بن العماد)

١٨ ـ شذرات الذهب — مصر ١٩٥١

ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم)

١٩ ـ الشعر والشعراء — ليدن ١٩٠٢

ـ ابن قيس الرقيات (عبيد الله بن قيس الرقيات)

٢٠ ـ ديوان ابن قيس الرقيات — فينا ١٩٠٢

ابن المعتز (عبد الله بن المعتز)

٢١ ـ البديع — لندن ١٩٣٥

٢٢ ـ ديوان ابن المعتز — مصر ١٨٩١

٢٣ ـ فصول التماثيل — مصر ١٩٢٥

ـ ابن نباته (محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن أبي حسن بن عبد الرحيم)

٢٤ ـ ديوان ابن نباته — مصر ١٩٠٥

ابن النبيه (علي بن محمد بن الحسين)

٢٥ ـ ديوان ابن النبيه — مصر ١٣١٣هـ

ـ ابن هانئ الاندلسي (أبو الحسن محمد بن هانئ)

٢٦ ـ تبيين المعاني في ديوان ابن هانئ — مصر ١٣٥٢هـ

٢٧ ـ ديوان ابن هانئ (كذا الرسالة نعنيها الديوان ... الاسم) — بيروت ١٨٨٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام)

٢٨ - سيرة ابن هشام — ١٢٩٥هـ

- ابن وكيع (أبو محمد الحسن بن على بن وكيع)

٢٩ - ديوان ابن وكيع — مصر ١٩٥٤

- أبو تمام (حبيب بن أوس الطائى)

٣٠ - ديوان أبى تمام — بيروت ١٣٢٣هـ

- أبو العتاهية (اسماعيل بن القاسم)

٣١ - ديوان أبى العتاهية — بيروت ١٩٠٩

- أبو الفرج (على بن الحسين بن محمد)

٣٢ - الأغانى (لمراجعة هذه الطبعة [illegible]) — ساسى

٣٣ - الأغانى — دار الكتب

٣٤ - مقاتل الطالبيين — النجف ١٣٥٣هـ

- أبو نواس (الحسن بن هانئ)

٣٥ - ديوان أبى نواس - رواية حمزة بن الحسن الاصبهانى — مصر ١٨٩٨

٣٦ - ديوان ابن هانئ أبى نواس — مصر ١٩٥٣ (لمراجعة هذه الطبعة [illegible])

- أبو هلال العسكرى (الحسن بن عبد الله بن سهل)

٣٧ - الصناعتين — مصر ١٣٢٠هـ

- أحمد أمين

٣٨ - ظهر الاسلام — مصر [illegible] ١٩٤٥

- أحمد الاسكندرى وآخرون

٣٩ - المفصل فى تاريخ الأدب العربى — مصر ١٩٣٦

- الأخطل (غياث بن غوث بن الصلت)

٤٠ - ديوان الأخطل — بيروت ١٨٩١

- امرؤ القيس بن حجر الكندى

٤١ - ديوان امرئ القيس — مصر ١٩٣٩

- أمين الخولى

٤٢ - فى الأدب المصرى - فكرة ومنهج — مصر ١٩٤٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- بالنثيا (آنخيل جنثالث)
٤٣ - تاريخ الفكر الاندلسي (ترجمه الدكتور حسين مؤنس) مصر ١٩٥٥
- البحتري (الوليد بن عبيد بن يحيى)
٤٤ - ديوان البحتري القسطنطينية ١٣٠٠هـ
- البكري (أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز بن أبي مصعب)
٤٥ - المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب الجزائر ١٩١١
- البهاء زهير (زهير بن محمد بن علي)
٤٦ - ديوان البهاء زهير مصر ١٣١١هـ
- تميم بن المعز (أبو علي تميم بن معد بن اسماعيل)
٤٧ - ديوان تميم بن المعز دار الكتب ١٩٥٧
- الثعالبي (عبد الملك بن محمد بن اسماعيل)
٤٨ - يتيمة الدهر طبعة دمشق
- الجرجاني (علي بن عبد العزيز بن الحسين)
٤٩ - الوساطة بين المتنبي وخصومه صيدا ١٣٣١
- جرير بن عطية الخطفي
٥٠ - ديوان جرير مصر ١٣١٣هـ
- الدكتور جميل سعيد
٥١ - تطور الخمريات في الشعر العربي مصر ١٩٤٥
- حافظ ابراهيم
٥٢ - ديوان حافظ (نشره أحمد أمين وآخرون) مصر ١٩٤٨
- حسان بن ثابت
٥٣ - ديوان حسان بن ثابت ليدن ١٩١٠
- الدكتور حسن ابراهيم (والدكتور طه شرف)
٥٤ - المعز لدين الله مصر ١٩٤٧
٥٥ - الفاطميون في مصر مصر ١٩٣٢
٥٦ - تاريخ الاسلام السياسي مصر ١٩٣٥ - ١٩٤٦
- الدكتور حسين مؤنس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥٧ ـ فتح العرب للمغرب — مصر ١٩٤٧

ـ الحصري (ابراهيم بن علي بن تميم)

٥٨ ـ زهر الآداب — مصر ١٩٢٥

ـ الخنساء (تماضر بنت عمرو بن الحرث بن الشريد)

٥٩ ـ ديوان الخنساء — بيروت ١٨٩٦

ـ الخوارزمي (أبو بكر محمد بن عباس)

٦٠ ـ رسائل الخوارزمي — القسطنطينية ١٢٩٧هـ

ـ الخيام (عمر الخيام)

٦١ ـ رباعيات الخيام

ـ الداعي (الداعي ثقة الامام علم الاسلام)

٦٢ ـ المجالس المستنصرية (تحقيق الدكتور محمد كامل حسين) — مصر ١٩٤٧

ـ داعي الدعاة (هبة الله بن موسى بن عمران الشيرازي)

٦٣ ـ ديوان داعي الدعاة (تحقيق الدكتور محمد كامل حسين) — مصر ١٩٤٩

ـ الدكتور راشد البراوي

٦٤ ـ الحالة الاقتصادية في مصر في عهد الفاطميين — مصر ١٩٤٨

ـ الدكتور زكي محمد حسن

٦٥ ـ كنوز الفاطميين — مصر ١٩٣٧

ـ السري الرفاء (أبو الحسن السري بن أحمد)

٦٦ ـ ديوان السري الرفاء — مصر ١٣٥٥هـ

ـ سليم حسن

٦٧ ـ أدب الفراعنة — مصر ١٩٤٥

ـ الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف

٦٨ ـ مصر في فجر الاسلام — مصر ١٩٤٧

٦٩ ـ مصر في عهد الاخشيديين — مصر ١٩٥٠

ـ السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)

٧٠ ـ حسن المحاضرة — مصر ١٨٦٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

— الشاب الظريف (محمد بن سليمان بن عفيف الدين)

٧١ — ديوان الشاب الظريف — بيروت ١٢٨٧هـ

— الشابشتي (أبو الحسن علي بن محمد)

٧٢ — الديارات — بغداد ١٩٥١

الشريف العقيلي (أبو الحسن علي بن الحسين بن حيدرة)

٧٣ — ديوان الشريف العقيلي — مصر ١٩[illegible]

— الدكتور شوقي ضيف

٧٤ — التطور والتجديد في الشعر الأموي — مصر ١٩٥٢

٧٥ — الفن ومذاهبه في الشعر العربي — مصر ١٩٥٦

٧٦ — الفن ومذاهبه في النثر العربي — مصر ١٩٥٦

— الصاحب (أبو القاسم اسماعيل بن أبي الحسن عباد)

٧٧ — رسائل الصاحب — مصر ١٩٤٧

— الصولي (أبو بكر محمد بن يحيى)

٧٨ — أشعار أولاد الخلفاء — مصر ١٩٣٦

— الطبري (محمد بن جرير)

٧٩ — تاريخ الأمم والملوك — مصر . انتهى طبعه ١٩٢٦

— طرفة بن العبد

٨٠ — ديوان طرفة — شالون ١٩٠٠

— الدكتور طه أحمد شرف (والدكتور حسن ابراهيم)

٨١ — المعز لدين الله — مصر ١٩٤٧

— عباس محمود العقاد

٨٢ — عمر بن أبي ربيعة — مصر ١٩

— عبد العزيز السيد الأهل

٨٣ — عبد الله بن المعتز : علمه وأدبه — بيروت ١٩٥١

٨٤ — التذكرة المصرية — بيروت ١٩٤٨

— الدكتور عبد اللطيف حمزة

٨٥ — الحركة الفكرية في مصر في عهد الأيوبيين والمماليك — مصر ١٩٤٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨٦ — بعض بذور الشخصية المصرية مجلة كلية الآداب والمجلد الثاني سنة ١٩٥٣
— العماد (أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي الرجاء)
٨٧ — خريدة القصر وجريدة أهل العصر مصر ١٩٥١
— عمر بن أبي ربيعة (عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة)
٨٨ — ديوان عمر بن أبي ربيعة مصر ١٣٣٠
— غومس (اميليو جارسيا غومس)
٨٩ — الشعر الأندلسي — ترجمة الدكتور حسين مؤنس) مصر ١٩٥٦
— الفرزدق (همام بن غالب بن صعصعة)
٩٠ — ديوان الفرزدق مصر ١٩٣٦
— القرماني (أبو العباس أحمد جلبي يوسف بن أحمد)
٩١ — أخبار الدول وآثار الأول بغداد ١٢٨٢ هـ
— كشاجم (محمود بن الحسين)
٩٢ — أدب النديم مصر ١٢٩٨ هـ
— الكميت بن عدى
٩٣ — هاشميات الكميت مصر ١٩١٢
— لجران (اميل لجران)
٩٤ — شعر الاسكندرية (ترجمة الدكتور محمد صقر خفاجه) مصر ١٩٥٢
— المالكي (أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله)
٩٥ — رياض النفوس مصر ١٩٥١
— المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد)
٩٦ — الكامل في الأدب ليزج ١٨٦٤
— متز (آدم متز)
٩٧ — الحضارة الاسلامية (ترجمة الدكتور أبو ريده) مصر ١٩٤٠
— المتنبي (أبو الطيب أحمد بن الحسين)
٩٨ — ديوان المتنبي مصر ١٩٣٠
— الدكتور محمد صقر خفاجه
٩٩ — شعر الرثاء مصر ١٩
— محمد عبد المنعم خفاجي
١٠٠ — فن الشعر مصر ١٩٥٠
— الدكتور محمد كامل حسين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

-1 -

drunkard poems of wine and sexual matters take great part of his divan, when he complains he is complaining of a real pain, and so on.

Easiness is the second stamp of the divan. If we let aside the poems of el-radja we shall read easy contexts.

Vivacity is the third stamp. Realy you read in Tamim's divan vivid poetry. When the poet describes the irrigating wheel he imagines it moaning, and compares his pain to her own. He makes cloth and palaces speak.

Variation is the fourth stamp. Tamim deals with many different subjects using different slyles and diffrent rhymes and rhythms. This way increases the value of the poems, and makes the more admirable.

The four stamps are the qualities of the divan. Naturally, there are som demerits in Tamim's poems. The first is depending, some times, on other poets, the second is explotive, the third is disjoining, the fourth is contrast in little poems, the fifth is using words and sentences which are odd or rong in regard to our circulating grammar.

ملخص رسالة ماجستير

شعر تميم بن المعز لدين الله الفاطمي

اعداد

ابراهيم الدسوقي جاد الرب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

beside the ~~treelitiondal~~ traditional elements. This phemomenon must be considered more impontant than long independent portraits of the Nile, because any passing poet can discribe the river but he does not do, without intelion, as Tamim does.

I said that manufaturing Tissue in Egypt was very successful during the fatimid epoch. Tamim describes tissue but such task is not worthy of considring. The poems which Tamim used to have them writen on cloth are very important. The poet adds making the cloth speak to the Arabic poems probably, and makes so many poems to be written on cloth that one can consider this phenomenon the result of the brilliant manufacturing of tissue.

Chapter two

Life was very complicated in the fourth/Hejri century. The Islamic culture was very magnificent. That time was the epoch of Avi-Cinna, El-Mutanabbi, and Ibn -El-Haitham the founder of the modern physics. So the language of verse and prose had been ornamented with pun, antithesis, etc.....

The special life of the Fatimids was complicated also. They had built charm palaces decorated with gold and precious stones. One of those palces had admirable portraits which were rare in the Islamic world in the middle ages. Tamim's life was so complicated that he had poems writen on cloth, salls, and lemons. One result of this setting on the one hand , and the current of ornamenting lilerature on the other hand is ornamentation in Tamim's language.

Similes are natural in speech, but one cannot consider them so in Tamim's divan, because they are complicated and numerous. The old critics insist on saying that Ibn El-Mutez impresses Tamim's poetry. One of them says that the resemblance between the two poets is that they both use the words of Kings. What is evident is that the two poets create luxerious similes. Perhops this is what the old critic means.

There are pun, antithesis, and correlatives in Tamim's poems. There is another sort named El-tatriz in the Arabic rhetoric which may be traslated: "embroider" Tamim has one example of this sort but it is very long.

Chapter three

Truth is one of the stamps in Tamim's divan. Doutless, he lies sometimes, but truth masters his poetry. I mean by truth that the poet does not exaggerate in praising because his father and brother were great rulers, he is not in need of flattery because he is a prince, because he is a sexual

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

He may complain to birds, or God.

Complaining to birds is an Uthri way. We do not miss El-Mutanabbi's impression there also .

Tamim has wise poems which deals with life and death, five elegies, some satire and poems which he sends to his friends. We see El-Mutanabbi's impression on some sections of these subjects, specially on wise poems.

Part three

This part has nothing to do with analysis. It is a mere three sights which cross the whole divan looking for general phenomena. Each sight takes a chapter

Chapter one

This chapter discusses the impression of Egypt on Tamim's divan. This point is a troublesome question in the modern Arabic criticism. Anyhow, enivronment should impress literature Though Tamim had spent the greater side of his life in El-Maghrib, the second home had impressed his poems.

The Egyptian meriment is well known. Decadence was very strong in their ceremonies. Tamim's merriment and decadence are the logic result of the environment. Perhaps one my say: The poet was decadent in El-Maghrib Why then do we cosider that his decendence is Egyptian?

Realy Tamim was always decadent, but there is a diffrence between behaving decadently, and being decadent in verse. The second sort needs invironment where there is a decadent current, to scrape the poet.

The language of the divan is impressed by Egypt. Its softness is the fruit of the fertile straight country. Sometimes we find strange expressions in the divan. Because such expressions are used in the Egyptian slang to day, one can consider that those of Tamim represent the impression of the Egyptian slang on Tamim's language.

There are some similes which are Egyptian. The poet, for example, in describing an irrigating wheel compare its mugs with the heads of dead kings in sarcophaguses . One shoud remember at once Pharaohs corpses.

The arabic poets, and Tamim himself, use to mention stars in the poems of wine, comparing them with some-thing. Our poet adds another element to the same subject, it is the great Nile. So the Egyptian river takes place

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

another piece in which he [illegible] praises the same Khalif.

El-Mutanabbi has very clear impression on many songs of praise in the divan. Though no poet else has the same impression, Abu-Nuwas, Abu-Firas, El-Wawa of Damascus, and Ibn Hani impress Tamim's songs of praise slightly.

In the fourth Hidjri century, the current of the describtive verse was strong. Our poet is one of those who is fond of describing nature and other subjects. He portroys the Nile, the parks, the palaces, the ceremonies, the animals, the deserts..... In his discribtion he uses two languages: the hard beduin one when he deals with deserts often, and the easy civil one when he describes civil sciences.

The notable phenomenon in Tamim's describtive poems is that he had never tried to portray the pyramides or the sphink, although they were not far from him. In fact we rarely find an Egyptien poet in the middle ages who had paid attention to the historic scenes.

The important poet who impresses Tamim's describtive verse is El-Buhtory. The mentioned had described the ceremony of the Abbasid Khalif El-Motawakkil in the feast after Ramadan. Tamim describes the same ~~cere mony~~ ceremony many times, borrowing the most elements of El-Buhtori's portrait.

Tamim is proud of himself and his family. Doubteless, he is well educated and clever. So he has poems in which he boasts of his knowledge, intellegence, poetry, courage, generosity, nobility, etc........

He sometimes boasts as the Arabians used to do, that is to say he boasts of the beduin vrtues, and sometimes boasts in a way which one cannot accept, because exaggeration spoils the poem.

El-Mutenabbi impresses Tamim's poems of boasting. Both are alike in some tones and contents.

We knew that Tamim was not lucky. He had lost the throne and suffered much in his father's life and during his brother's period.

The other thing which pained Tamim was publishing that there were unknowen poets who made poems for the prince. So Tamim complains of people and life.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Some are white, some are yellow and others are black or dark skinned. Tamim loves free presons and some slaves. He has acceptable dialects and bad others. The slyles which he uses are: direct speech, dialogue, narrating, and making others speak. I mean by the last style the poems which Tamim ordered to be written on the pieces of cloth used by slave-girls. These poems are of two kinds: the first kind appears as if it is pronounced by the slave girls, and the second seems as if the cloth itself pronounces it.

Tamim's contents and styles, except one which is making cloth speak, are traditional. You can see in the divan the famous Uthri-tone and the pre-Islamic one. Umar Ibn Abi-Rabia, Abu Nuwas, Ibn-El-mutaz, El-Mutanabbi and some other poets impresses Tamim to some degree.

In poems of wine the poet describes wine, its spots, the butlers, the fellow-drinkers, the time and place of drinking, and the effect of wine. He prefers the old liquor, gentle fellow-drinkers, and drinking in the morning in a park where a singer sings. ~~Some times~~ Sometimes his butleris a female, or a girl in an artificial shape of a boy.

There are some tales in Tamim's poems of wine. There are also advocating to enjoy pleasures of life widely. The poet is not an atheist, He is a sinner depending on God's forgivness.

Tamim's poems of wine resemble what the Arabic poets had versified in the past. Abu-Nuwas, impresses Tamim's verse that concerns wine. The Fatimid poet imitates the Abbasid one and borrowes some peculiarities from him. Some other poets, like Ibn Sukkara, impress Tamim's poems of drinking.

Songs of praise are the third important side in the divan. Tamim sings the praises of his father and brother only. His social status hinders him from singing the praises of more persons. El-Aziz takes the great part of the poems of praise for two reasons: first, El-Aziz treated his eldest brother kindly, secondly the poet had lived along time while his brother was a Khalif.

Tamim in praise make the Khalifs genrous, courageous, wise ...., just, Kind, pious, eloquent ...., and praises them in Ismaili way. In praising El-Aziz, Tamim speaks again and again about his eloquence and his beauty. In the divan there is dialogue deals with praising El-Aziz and

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Chapter one

I goes round three centres in this chapter: the history of the sect is the first, the Shite wide state is the second, and the Ismaili doctrines are the third.

Once he boasts of the battle of Siffin . He describes the tragedy of Karbla twice and attacks the Umayyads . There is an independent poem in thediwan which is a mixure of satire directed to the Umayyads and boasting of the ancestors.

History tells that the Abbasides had treated the shites fiercely in many times. Tamim knowes that of course. So he reminds the cousins with their crimes and attacks them.

The Abbasid poets use to sing the praises of El-Abbas and assure that his descedentants are the divine rulers of the Islamic world. In such occations, they usually insult the shites and mention the infidelity of Abu Talib. The contemporary shite poets use to answer them and repel their insulting. Tamim is one of these who falsifies the Abbasid Khalifate and defends the shite divine right. He boasts of Ali's heroic attitudes and prefers him to El-Abbas. Knowing that El-Abbas had joined Islam late, he mentions that fact in the divan, but he can not defend Abu-Talib

The Fatimids had a theorical aim. It was to rule the whole world to lead it to the straight way. Ibn Hani had spoken about the theorical state of his masters. Tamim also mentions in short sentences, the same state, but he expresses the desire of taking Baghdad again and again in a severe dialect or delicate one.

There are special doctrines in Ismailism which concerns the Ismailians only. Tamim mentions numerous doctrines in his poems . If we do not put in mind "the theory of Mater and Material" we shall consider Tamim a heretic and miss what he intends.

Chapter two

This chapter analyses the poems which are not sectary. Tamim has several sorts of peoms which deal with sexuality, wine, praise, decribtion, boasting, complaint, wisdom, elegising, satire, and verse which he used to send to his friends.

The erotic poems take great part of the divan Tamim speaks in them about his feelings towards the two sexes, describes their bodies and manners, and tells some narratives. He has no pointed love. We see him mentioning sorts of different beloved persons.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

when Coathar saw Abd-Al-Lah, it seems it was the first time he had seen him since the Khalif told him the secret, he was perplexed dismounted before Abd-Al-Lah, and kissed the ground. That was a clear sign of Abd-Al-Lah's succession. Ibn Hani had mentioned the knowen secret in a poem which had been said in 360 A.H.

In 362 A.H. Tamim found himself in a different environment, it was the Environment of Egypt, which had charm nature, many parks, numerous wine-shops a great number of monasteries and cot.nual festivals. The new country admired the poet very much. He went on enjying nature, wine, sex and the feasts, paying no attention to his father's feelings.

The crown price died in 364 . The calamity had little effect on Tamim. So his elegy was cold . El-Moez chosed El-Aziz to be his successor neglecting our poet for the second time. After a short period El-Moez Himself died, and Tamim elegised him with a cold elegy.

In the days of El-Aziz the generous humane ruler, Tamim lived a luxurios life. He sang the praises of his prother and took his gifts, and went on enjoying his life and singing.

Sladerers, some times, annoyed Tamim by showing the Khalif that the prince is doubtfut, and making him ill-treated him. There are no sufficient prooves which assure that Tamim was a plotter in Egypt as he was in El-Maghrib.

The other thing which annoyed tamim was taking part in putting down the revolters in El-Sham. What he wanted, after leaving the throne, was to be tel in piece enjoing a calm life.

Tamim's cares and manners had effected his health. [illegible]ein, wine and sexual matters had weakened his body early. We hear him compleining of houtiness when he was thirty five years old. No sooner had two years passed than death had put him to sleep.

Part two

This part analyses the poems of Tamim , to show what subjects he deals with , what styles he uses, and to what degree h. is impressed by the Arbic poems. As a Shite poet Tamim wrote some Shite poems, but the greater part of his diwan is not Shite. Chapter one analyses the sectary part, while chapter two analyses that which is not sectory.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Chapter two

The life of Tamim is not distinct, because bibliographie do not offer sufficient details which concern him. Putting in mind this fact, I tried to throw some light upon Tamim's life by the aid of his poems. Ibn Hani's* divan had afforded me some aid.

Ibn Khallikan tells that Tamim was born in 337 A.H., and he is trustworthy, because Tamim says in a poem which he had made in 357.A.H. that he is thirty years old.

We know nothing about those who had taught our poet. Also we see no clear relation between Tamim and Ibn Hani, the poet of the court, although both were drunkards. Realy there is a great difference between the poetry of Ibn Hani and that of Tamim. We see the latter well educated in his divan. That is the fruit of the intended education. No doubt El- Moez had taken great care of educating his eldest son, who was going to be The imam after him. We know that the Ismaili imam should be knowledgeable to teach his subjects and solve the religious problems which my face the faithful.

Tamim lived in the charm plalaces of Sabra, The capital which had been built in 337, the year in which he was born, and in the old capital El-Mahdia. In his divan we see his father angry with him, because he once was in need of him while he was in the parks of Sabra. It seems that he was sinning in the parks becaus the Khalif refused to see him when he returned.

Tamim's divan tells us that he was fond of wine and homosexuality. In "Sirat El-ustath Gowthar" there is a tale concerns Tamim's sexual oddity which caused great sorrow to El-Moez. The poet was an edge in the scandal and Tahir, son of the ruler of Sicily, was The other edge Behaving in such a way, Tamim had angered his father, and obliged him to think seriously in choosing his second son Abd-al-Lah to be his successor. Knowing that, Tamim began to take part in the plots the opposive relatives of El-Moez were making. Gowthar, El-Moez's secretary, suspected the connection between Tamim and the opposive Fatimid persons. So he asked his master's parmetion to read secretly the letters exchanged between the poet and the rest of the plotters. The Khalif refused at first, but he ordered him to realise his thought later on.

Some day El-Moez told the secretary that he had chosen Abd-Al-lah to be his successor, and asked him not to tell anyone. After some monthes the Khalif told some friends his choice and asked them to be secretive.

Once Gowthar walked towards the capital. El-Moez ordered his sons and employers to meet him outside the city.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

guests as a sign of generosity, and says that Abu-Abd-Allah the Shite had tried hard to stop this bad habit but he failed.

We know little about the ceremonies of the Fatimids in El-Maghrib. Once history tells us some details about the ceremony of circumcising Abd Al-lah, Nizar, and Akil sons of Al-Moez. The Khalif was very generous in that occation. He ordered that every boy in the state should be circumcised on his account. Millions of dinars were spent in the occation. El-Macdisi once tells us that the people of El-Maghrib had a yearly feast but he does not show the finger of the Fatimids in it.

When the Fatimids departed to Egypt they found a society consisted of Christians, Moslems and some Jews. The Christians were the majority. As a reslt the Coptic language was widely spread. No doubt, there were a great number of Arabs and slaves living beside the Copts.

The phenomenon of ceremonies was one of the clearest social phenomens in the society of Egypt. The Egyptians used to make ceremonies in many feasts. The Fatimids had added many other feasts, and increased the glory of the ceremonies. It was the habit of the Egyptians to drink wine and commit vices in the festivals. Some times they were so decadent that the government was obliged to interfere to stop the vices

Monasteries were places of decadence also. The decadent used to visit them for drinking wine and ~~satisf ying~~ satisfying their sexual instinct. ~~The cultural state:~~

The cultural state:

There is a strong connection between Ismailism and culture. This principle depends on the old philosophy and many other branches of the humane knowledge. So when the Ismaili propagandists were teaching the people their doctrines they were offring them a mixure of cultures.

The islamic civilzation was brilliant in the fourth Higri century. Science and literature were very active in Cordove and other centres. Encouraging scientific and literary movements was the natural attitude of the fatimids. Sabra, and Cairo lateron, were two cultural centres. Both El-Maghrib and Egypt had Known famous authors and poets like Jaafer Ibn Mansur El-Yaman, El-Kadi El-~~Nomany~~ Numan El-Shabashti, Ibn Hani, Tamim ibn El-Moezli-Din-El lah, etc ..... We would have had an admirable legacy if the the Fatimid culture had not been got rid of.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Baghdad itself.

Tzimisces being afraid of the Fatmid Imperialism who became his neighbours resumed the traditional policy of his state.

The economic state:

The Fatimid state was properous. El-Maghrib, specialy Tunisia, is famous for its gardens and orchards. No doubt, the Fatimids had paid great attention to the agricultural affairs because they were economic rulers.

It seems that industry was not progressive in El-Maghrib, because El-Moez, Seeing El-Nasir broast of the tissue of El-Andalus, answered in a way which may show that he had no glorious indstry.

Commerce was active in El-Maghrib. The justice of the govenment aided it in the country and the strength of the navy protected it in seas.

When the Fatimids took Egypt they found it a good agricultural, industrial and commercial province. Taking care of these economic sides, the Fatimid government activated them more and more . The industry of tissue was so successful that Egypt exported coth to several Nations.

The riches of the rulers was very great . History tells us many tales about their wealth which one cannot trust on. El-Makrizi, for example, tells that invading Egypt had costed El-Moez 24 000 000 dinar. The number is not trustworthy of course; but exaggeration is the shaddow of truth any how. No doubt building palaces in Sabra and Cairo, making continual costing ceremonies, offering great gifts and living luxuriously are real signs of wealth. It is the thought of one respectable Arabic writer that the fatimids had lived more luxcusly than the Abbasides in their golden days.

The social state:

The Moors were the majorty of the inhabitants of El-Maghrib. Some Arabs and some other races, like Roman slaves were living among them. Most of the inhabitants were Moslems, some were Chistians or Jews. The Moslems were two parts : Sunnites and Shites. A great number of the Kharidjites Were living there the famous revolter Abu Yazid was an educated Kharidjhite.

Some people in El-Maghrib were of good manners like generosity and some of them were of bad manners or savage Ibn Hawkal in his book

"Swrt-El-Ard" tells us about a sort of homosexuality which he had seen in El-Maghrib. He says that the people of the western Maghrib used to offer themselves to their

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

When El-Moez Li- Din-El-Lah became a Khalif the state reached the top of its glory. He put a limit to the Umoyyad opposive movements. El-Nasir the great Umoyyad Khalif had used to interfere in the Fatimids' affairs and creat problems for them, since Ubid-Al-Lah Al-Mahdi succeeded in establishing his Khalifate, because El-Mahdi and his successors were cosidering him an illegal ruler. So he encouraged the revolutionary men and aided them from the days of El-Mahdi to the days of El-Moez.

In the days of El-moez the struggle was fierse. Not only did El-Nasir encourage the revolutionary men in El-Maghrib but also he fought the fatimids. His navy had attacked the shores of El-Maghrib and the Fatimid ships. El-Moez's navy attacked the Umoyyad shores as a vengeance.

Seeing that El-Moez is a strong opponent, El- Nasir asked the Byzantines to fought beside him against the Fatimids who were the enemies of the both sides

Sinse El-Mahdi became a Khalif Sicily had become a fatimid island, and Italy had been liable to the fatimid raiding So the Byzantines' authority there was in danger. Considing this attitude, the Byzantines fought the new rulers of sicily alone and beside the Umoyyads, but their luck, specialy in the island, was bad. Failure on the one hand and the Auto's policy which intended to unite Italy and get rid of the fatimids and the Byzantines on the other hand had obliged the Byzantines to send an apostle to El-Maghrib to obtain a treaty.

In those days invaiding Egypt was easy, because the Fatimids were very strong, the Ismaili propaganda was active in El-Mashrik, Egypt was in bad conditions, and the danger of the Byzantines was ceasing. Gawhar marched Towards Egypt in 358, A.H. and conquered the Ikshids easily. After that the Fatimids made a victorious progress in Palistine and Syria. Mecca and El-Medina became two Fatimid cities.

In El-Mashrik many political problems appeared. The rest of the Ikshidiles and the Egyptiens revolted many times. The citizins and the tribes of El-Sham made many violent revolts. The Karmatids took part in the revolutionary movements, and the Khalifate of Baghdad blessed the revolters and aided them. Two factors were responsible for the bloody events : the politics and the religious principles. The new Khalifate had get rid of the local governements and the Abbasid authoroty in Egypt and in a wide territory in El-sham. It hoped to raid the rest of the east and capture

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit